الدر المنثور

من المأثور وغير المأثور

تأليف

الفقيه المحدث المفسر

علي بن محمد بن الحسن بن زين الدين

الجبعي العاملي

الجزء الثاني

الدّرّ المنثور

من المأثور وغير المأثور

تأليف

الفقيه المحدث المفسر

على بن محمد بن الحسن بن زين الدين

الجبعى العاملى

(الجزء الثانى)

الطبعة الاولى
مطبعة مهر ـ قم
١٣٩٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلاته على خير خلقه محمد وآله الطاهرين .

وبعد : فهذا الجزء الثاني من كتاب (الدر المنثور) وفق الله لاكماله بمحمد صلى الله عليه وآله .

[حديث كون الصيام ثلاثين يوماً]

ومن ذلك ما رواه الصدوق رضي الله عنه في كتاب العلل وغيره باسناده الى الحسن بن عبدالله عن آبائه عن جده الحسن بن على بن ابى طالب عليهما السلام قال : جاء نفر من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله اعلمهم عن المسائل، فكان فيما سأله أن قال: لاي شيء فرض الله عزوجل الصوم على أمتك بالنهار ثلاثين يوماً وفرض على الامم السالفة اكثر من ذلك ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله : ان آدم لما اكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً ففرض الله على

ذريته ثلاثين يوماً الجوع والعطش والذي يأكلونه تفضل من الله عزوجل عليهم ، وكذلك كان آدم يصوم ثلاثين يوماً ففرض الله ذلك على امتي ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الاية «كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون* أياماً معدودات »[1] قال اليهودي: صدقت يامحمد ، فما جزاء من صامها؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله : مامن مؤمن يصوم شهر رمضان احتساباً الاأوجب الله له سبع خصال : اولها يذوب الحرام من جسده ، والثانية يقرب من رحمة الله ، والثالثة يكون قد كفر خطيئة ابيه آدم ، والرابعة يهون الله عليه سكرات الموت ، والخامسة أمان من الجوع والعطش يوم القيامة ، والسادسة يعطيه الله براءة من النار ، والسابعة يطعمه الله طيبات الجنة . قال : صدقت يامحمد .

اقول : ربما توهم أن الجواب في هذا الحديث غير مطابق للسؤال حيث ان السؤال وقع عن فرض ثلاثين على أمته واكثر على من تقدمها من الامم .

ويدفع هذا التوهم أن الجواب يتضمن تكذيب اليهودى والرد عليه في ذلك بأن الصوم لم يكن الأثلاثين فقط على أمته وعلى من تقدمها ، واليهودى اراد اختباره وامتحانه بأنه هل يوافقه على ذلك أم لا ، مع كون اليهودى عالماً بما اجابه ظاهراً بسبب تصديقه اياه على ذلك. فقد أجابه عليه السلام على وجه صدقه ورضي به ولم يكذبه صريحاً لكرم أخلاقه ، بل نبهه على أحسن وجه وأتمه بحيث لم ينفر خاطره من أول الامر .

وهذا ظاهر لاغبار عليه ، ونظيره قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام « فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي »[2] وقوله تعالى « قل ان كان للرحمن ولد

---

١) سورة البقرة : ١٨٣ ــ ١٨٤ .

٢) سورة الانعام : ٧٧ .

فانا اول العابدين »[1] ومثل هذا يقع كثيراً في مثل هذه المقامات لاجل مما شاة الخصم وجذبه الى قبول الحق والالزام . وفي حديث الرضا عليه السلام مع المأمون: ان قول ابراهيم « هذا ربي » على الانكار لا الاخبار ، فلايكون من هذا الباب .

وفي الحديث دلالة على ماذهب اليه الصدوق رحمه الله من كون شهر رمضان ثلثين يوماً ، والجمع بينه وبين ما تقدم مما دل على امكان النقصان غير خفي.

وقوله عليه السلام « والذي يأكلونه تفضل من الله عزوجل عليهم » يحتمل وجهين :

احدهما: أن فرضه عليهم الجوع والعطش لايتوهم منه انه تعالى منعهم بذلك ما هو حق لهم ، بل كل ما يأكلونه ويشربونه وغيره تفضل منه تعالى ، فقد فرض عليهم أن يمتنعوا منه هذه المدة .

الثاني : ان ما يأكلونه اذا أفطروا بعد كل صوم تفضل منه تعالى عليهم ، بأن يصوموا النهار ويفطروا الليل ويأكلوا ما يشتهون ، فلو فرض عليهم صوم يومين او أيام مثلا من غير افطار يتخلل بين ذلك بحيث يمكنهم صوم الثلاثين ولو بمشقة زائدة او أباح لهم اكلا قليلا او مخصوصاً كان ذلك اليه تعالى ، فما يأكلونه كل ليلة تفضل منه . والله اعلم .

|حديث انه تعالى لم يجعل شيء الا بشيء|

ومن ذلك ما رواه في الكتاب المذكور باسناده عن جميل بن دراج عن ابي عبد الله عليه السلام أنه سأله عن شيء من الحلال والحرام . فقال : انه لم يجعل شيء الا بشيء .

١) سورة الزخرف : ٨١ .

اقول: الذي يظهر من معنى هذا الحديث أن السؤال وقع عن التحليل والتحريم هل يكونان بمجرد ارادته واختياره تعالى كون هذا الشيء حلالا وهذا حراماً كما هو مذهب الاشاعرة ام لا ؛ فأجابه عليه السلام بأن الحلال لايكون حلالا والحرام لايكون حراماً الا لعلة تقتضي ذلك وغرض يتعلق به بالمعنى المقرر عند أهل العدل .

ففيه دلالة على اثبات الحسن والقبح العقليين وعلى كونه تعالى انما يفعل ما يفعل لغرض وغاية يعود نفعها على المخلوق ونحو ذلك لالغير ذلك، وقوله تعالى« لايسئل عما يفعل »[1] لاينافي ذلك فليفهم. والله اعلم .

[تفسير آية انه ليس من أهلك]

ومن ذلك مارواه فيه في قوله تعالى لنوح عليه السلام «انه ليس من أهلك»[2] عن ابى عبد الله عليه السلام : ان الله عزوجل قال لنوح عليه السلام انه ليس من اهلك لانه كان مخالفاً له وجعل من اتبعه من اهله . قال : وسألني كيف تقرأون هذه الاية في ابن نوح ؟ فقلت : يقرؤها الناس على وجهين انه عمل غير صالح وانه عمل غير صالح . فقال : كذبوا هو ابنه ، ولكن الله عزوجل نفاه عنه حين خالفه في دينه .

اقول : تكذيبه عليه السلام لهم من حيث القراءتين وانه ليس الاقراءة واحدة وهي كون عمل فعلا ماضياً فان معناه حينئذ ـ والله اعلم ـ انه عمل عملا غير صالح بمخالفته لابيه ، لا ان عمل مصدر بمعنى المفعول ليكون ولد غيره فيكون عملا غير صالح .

---

١) سورة الانبياء : ٢٣ .

٢) سورة هود : ٤٦ .

ومثل هذا يستعمل في مثل هذا المعنى . والله اعلم .

حديث تأخير استغفار يعقوب لبنيه

ومن ذلك ما رواه فيه بسنده الى اسماعيل بن الفضل الهاشمي قال : قلت لجعفر بن محمد عليه السلام : أخبرني عن يعقوب عليه السلام لما قال له بنوه « ياابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين * قال سوف استغفر لكم ربي »[1] فأخر الاستغفار لهم. ويوسف عليه السلام قالوا له « تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين * قال لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين »[2] قال لان قلب الشاب أرق من قلب الشيخ ، وكانت جناية ولد يعقوب على يوسف وجنايتهم على يعقوب انما كانت بجنايتهم على يوسف ، فبادر يوسف الى العفو عن حقه وأخر يعقوب العفو لان عفوه انما كان عن حق غيره، فأخرهم الى السحر ليلة الجمعة .

أقول : أما كون قلب الشاب ارق فوجهه ظاهر ، ومعنى باقي الحديث أن الجناية ومباشرتها انما كانت على يوسف وبسبب ذلك حصلت الجناية على يعقوب من الحزن وبياض عينيه من البكاء وغيره، فكان ذلك باعثاً على تأخير الاستغفار الى وقت ترجا فيه الاجابه .

وقول يوسف لهم كان متقدماً على طلبهم من ابيه، فيحتمل انه لم يكن علم بذلك فأخر استغفاره لهم ثم طلبه منه تعالى في وقت يمكن فيه اجابة الدعاء وتعويض صاحب الحق عن حقه . وهذا يقتضي عدم الاسراع الى الاجابة، بخلاف اجابة صاحب الحق نفسه ، فان له أن يترك حقه من غير وجه يقتضي التأخير .

---

١) سورة يوسف : ٩٧ ــ ٩٨ .

٢) سورة يوسف : ٩١ ــ ٩٢ .

والحاصل انه لما كان الحق لغيره أخر طلب اسقاطه الى وقت رجا الاجابة .

فان قلت : مـاوجه الجمع بين قوله عليه السلام « وجنايتهم على يعقوب انما كانت بجنايتهم على يوسف » وقوله « لان عفوه انماكان عن حق غيره » ، والاول يدل على أن جنايتهم كانت على يعقوب ايضاً لكنها بسبب الجناية على يوسف، فيعقوب له حق ايضاً بهذه الجناية وبولايته عليه اذ كان طفلا، وقوله « والعفو انما كان عن حق غيره » ظاهره انه لم يكن ليعقوب حق يعفو عنه .

قلت: قد سمي ماتستلزمه الجناية جناية لكونه مترتباً عليها، فعبر أولا بجنايتهم على يعقوب، ولما كانت الجناية الحقيقية التى وقعت بالمباشرة هى الجناية على يوسف كان عفوه عن حق غيره ، فلوقتل شخص ولد آخر فجزع الوالد جزعاً أهلكه أو حصل له منه آفة لم يكن ذلك مضموناً على قاتل الولد وان أمكن حصول الاثم بذلك . وربما كان طلبهم من يعقوب الاستغفار بسبب مافعلوا بيوسف عليه السلام، والذى يظهر من سياق الحديث هذا، وهو ان يستغفر لهم بسبب ماجنوا على يوسف ، فلاينافى طلبهم منه الاستغفار بسبب ماترتب له من الحزن وغيره فى غير هذا المقام او عدمه . والله تعالى اعلم .

[حديث خروج النور من بين أصابع يوسف]

ومن ذلك مارواه فيه بسنده عن أبى عبدالله عليه السلام قال: لما أقبل يعقوب عليه السلام الى مصر خرج يوسف عليه السلام ليستقبله ، فلما رآه يوسف هم بأن يترجل ليعقوب ثم نظر الى ماهو فيه من الملك فلم يفعل ، فلما سلم على يعقوب نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال له: يايوسف ان الله تبارك وتعالى يقول لك منعك أن تنزل الى عبدي الصالح ماأنت فيه أبسط يدك، فبسطها فخرج من بين أصابعه نور، فقال: ماهذا ياجبرئيل؟ فقال : هذا انه لايخرج من صلبك نبى

أبداً عقوبة لك بما صنعت بيعقوب اذ لم تنزل اليه .

اقول : معنى النور الذي خرج من بين أصابعه ان النور الذى يكون فى صلب الانبياء ويخرج من صلبهم الى نبى آخر ولو بواسطة اخرج من بين أصابع يوسف عليه السلام ، فلم يبق معه نور يخرج من صلبه ليكون منه نبي او انبياء .

هذا ونحوه صدوره عن الانبياء يأول بما لا ينافى مرتبة النبوة كقوله عليه السلام « اذكرنى عند ربك »[1] وغيره مما صدر من الانبياء واجيب عنه، وتفصيل ذلك فى كتاب تنزيه الانبياء لسيدنا المرتضى رضى الله عنه وغيره من كتب أصحابنا ان صح هذا الحديث ونحوه والله اعلم .

ومعنى ترجل نزل عن دابته فصار راجلا خلاف الراكب .

[حديث بكاء شعيب النبى]

ومن ذلك مارواه فيه بسنده عن انس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بكى شعيب عليه السلام من حب الله عز وجل حتى عمى فرد الله عزوجل عليه بصره، ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره، فلما كانت الرابعة أوحى الله اليه : ياشعيب الى متى يكون هذا ابداً منك ان يكن هذا خوفاً من النار فقد أجرتك وان يكن شوقاً الى الجنة فقد ابحتك. فقال : الهى وسيدى أنت تعلم أنى مابكيت خوفاً من نارك ولاشوقاً الى جنتك، ولكن عقد حبك على قلبى فلست أصبر او أراك. فأوحى الله جل جلاله اليه: أما اذا كان هذا هكذا فمن هذا سأخدمك كليمى موسى بن عمران . قال الصدوق طاب ثراه : يعنى بذلك لاأزال ابكى او أراك قد قبلتنى حبيباً .

اقول قوله تعالى «ان يكن هذا» الخ، لاينافى علمه تعالى بمافى ضمير شعيب

---

١) سورة يوسف : ٤٢ .

عليه السلام من عدم قصده ذلك ، لاحتمال ان يكون معناه ان بكاءك ان كان لاجل ما ذكر فقد أجرتك او أبحتك . وهذا لاينافي العلم ، بل يفيد ان هـذا ان كان مطلبك فقد أجبتك اليه ، فيفيد ان مثل هذا يجيب به تعالى اذا قصده .

ويحتمل وجهاً آخر ، وهو اختبار شعيب عليه السلام وامتحانه بأنه اذا سمع ذلك ربما عدل عن مقصده الا صلي اليه اذا سمعه، وعلمه تعالى بعدم عدوله لا ينافي ذلك كما هو جار في نظيره من التكليف بالأمر والنهي ، فان الثبات على هذا ونحوه مع سماعه ما يمكن معه العدول مع ثبوت الاختيار مما يترتب عليه زيادة الرفعة والثواب وعلو الدرجة .

ونظير ذلك مثلا مالو قال السلطان لبعض عبيده ان كنت تخدمني لاعطيك مالاعظيماً فقد بذلته لك وان كان لخوف من احد فأنا ظهرك، مع علمه بأن خدمته ليكون مقبولا عنده وحاضراً لديه اذا اراد لالماقاله ، فاذا اخبره بذلك ولم يطمع فيما ذكره له تأكد عنده ماقصده وأقبل عليه زيادة عن الأول .

ومثـل هذا قد يجعله تعالى وسيلة الى زيادة القرب والاقبال منه وتحقـق العبودية وثباتها من عبده ، فيرتب له على هذا الجواب هذه المنزلة العظيمة من خدمة موسى عليه السلام في الدنيا فماظنك بمنزلة الأخرة .

ونظير هذا الحديث قوله تعالى لعيسى عليه السلام «أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين »[1] وقوله عليه السلام « ان كنت قلته فقد علمته »[2] فانه يحتمل ان يكون القصد به الى ان يظهر من عيسى التبرى مماافتروه عليه من ذلك مع عدم علمه به . والله اعلم .

وقول الصدوق أو أراك قد قبلتني حبيباً اراد به دفع ما يتوهـم من ارادته اراءة البصر، وهذا ان كان تأويلا منقولا والافالظاهر أن حمله على معنى ماورد في

١ – ٢) سورة المائدة : ١١٦ .

كلام امير المؤمنين عليه السلام أقرب الى هذا اللفظ ، وهو قوله لمن قال له هل رأيت ربك ؟ ما كنت أعبد رباً لم أره، لا تدركه العيون فى مشاهدةالابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان. فيكون شعيب عليه السلام طلب رؤيته تعالى بهذا المعنى ، ولاينافيه لزوم كون شعيب خالياً من هذه الرؤية ، لأن المراد بها حينئذ الرؤية زيادة عما كان عنده منها[1].

وبهذا المعنى احاديث فى كتاب التوحيد فى معنى رؤية النبي صلى الله عليه وآله ربه بقلبه ، وذكر الصدوق رحمه الله هناك هذا بعد قول ابى عبدالله عليه السلام رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه فقال يعنى بقلبه ، وذكر حديثاً يدل على هذا المعنى .

بقي احتمال لقوله عليه السلام « اوأراك » وهو ان يكون اراد بذلك الى انقضاء الاجل ورؤيتك فى الاخرة بالمعنى المقرر عند اهل الحق. والله اعلم .

| حديث الناس يعقلون ولا يعلمون |

ومن ذلك مارواه فيه بسنده عن معمر بن يحيى قال : قلت لابى جعفر عليه السلام : ما بال الناس يعقلون ولا يعلمون ؟ قال : ان الله تبارك وتعالى حين خلق آدم جعل أجله بين عينيه وامله خلف ظهره ، فلما اصاب الخطيئة جعل امله بين عينيه واجله خلف ظهره، فمن ثم يعقلون ولايعلمون .

أقول: الظاهر أن المراد بجعل الاجل بين عينيه والامل وراء ظهره وبالعكس انه سبحانه جعل نظره دائماً الى اجله وموته، ومن هذا القبيل قولهم « فلان جعل

---

١) بين وجه قبوله تعالى منه الرؤية ومناسبة خدمة موسى عليه السلام ان هذا الامر مترتب على ما طلبه ، فلا يتوهم عدم المناسبة ، ومناسبة ذلك على تفسير الصدوق ظاهرة « منه » .

الموت نصب عينه »، ومن كان كذلك كان دائماً طالباً للعلم مهتماً بتحصيله، فان الانسان اذا كان الأجل في فكره لنظره اليه دائماً كان ذلك باعثاً على تحصيل ما ينفعله قبل حلوله ومع ذلك لايدري متى يحل فيجهد نفسه في تحصيل ماهو مطلوب منه من العلم ، بخلاف ما اذا كان وراء ظهره فانه حينئذ غائب أو كالغائب عنه، فلاجل ذلك لايهتم لتحصيل العلم ويتناسى الموت وقربه فيفتر عزمه عن العمل ويسوف ذلك الى وقت آخر وهكذا، اذ لامحرك له حينئذ على ذلك .

ونحوه الامل، فانه اذا كان وراء ظهره لم يكن بباله حيث لم يره فيقصر أمله ويزيد علمه وعمله، واذا كان الامل بين عينيه كان محط نظره وتناسى الاجل فلا يتعلم ولايعمل ماهو مطلوب منه .

وهذه كنايات او استعارات تشبيهاً لهما بمايلقي وراء ويكون منظوراً دائماً ، وهو من فصيح الكلام وبليغه .

ولما انعكس الامر في آدم عليه السلام قبل حصول النسل منه كان أولاده كذلـك .

والمراد منه السؤال عن عدم العلم مع ثبوت العقل ، ولاينافي هذا ثبوت العلم لبعض الافراد بالتفاوت، لان العلم المنتفي هو العلم الحاصل لكل عاقل بقدر عقله، وهذا انتفاؤه وتفاوته يكونان بمراعاة الامل والاجل، فبقدر زيادة التغافل ونقيصته يقل ويزيد، فالعلم الذي ينبغي لكل أحد لم يحصل باعتبار تقدم الامل وتأخر الاجل ، ولاينافيه حصوله دون ذلك متفاوتاً . وفي تقديم الامل وتـأخير الاجل من الحكمة البالغة مالايخفى .

هذا ، والنسخة التي نقلت الحديث منها سقيمة ، وفيها « يعلمون » بتقديم اللام على الميم، ويحتمل أن يكون محرفاً والاصل « يعملون » بتقديم الميم على اللام، وكأنه انسب بالمقام ، وحينئذ فالعلم داخل تحت العمل . والله اعلم .

[حديث تسمية الحسن والحسين عليهما السلام]

ومن ذلك ماوراه فيه باسناده عن عكرمة قال: لما ولدت فاطمة عليها السلام الحسن جات به الى النبي صلى الله عليه وآله فسماه حسناً، فلما ولدت الحسين عليه السلام جاءت به اليه فقالت يارسول الله هذا أحسن من هذا فسماه حسيناً .

اقول : هذا يحتمل وجهين :

احدهما انه عليه السلام سماه حسيناً بزيادة الياء لكون زيادة البناء تدل على زيادة المعنى ، فزاد في اسمه الشريف الياء لذلك .

والثاني: ان التصغير قد يكون لذلك، فانه يستعمل في نظيره كثيراً فكذا فيه، فيكون فيه اشارة الى زيادة حسنه. ومن ذلك قول الشاعر :

ما قلت حبيبي من التحقير　　　بل يعذب اسم الحب بالتصغير

وقول الاخر :

يا ما أميلح غزلا ناشدن لنا

ووقوع مثل هذا مشهور . ويحتمل أن يكون المراد ان الحسن عليه السلام أحسن فلذلك صغر اسم حسين ليفيد أنه دونه في الحسن مع عدم ارادة تحقير في التصغير بل للعذوبة والملاحة ونحوهما. ففيه حينئذ مايدل على كونه دونه مع تحسين في مقابلة ذلك .

وقولها عليها السلام « هذا أحسن من هذا » يدل على ان الاثنين كانا معها ذلك الوقت . والله اعلم .

[حديث خير الصفوف في الصلاة والجنازة]

ومن ذلك ما رواه فيه باسناده عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : خير

الصفوف في الصلاة المقدم ، وخير الصفوف في الجنائز المؤخر . قيل : يا رسول الله ولم ؟ قال : سترة للنساء.

أقول : الظاهر ان السؤال بلم عن كون خير الصفوف في الجنائز المؤخر ، فان كون خيرها في غيرها المقدم معلوم أو كان معلوماً للسائل .

ووجهه ان المصلي قد لا يعرف كون الذي يصلي عليه رجلا او امرأة، وكلما كان الرجل بعيداً عن المرأة كانت مستورة عنه بغيره ، فاطرد الحكم لاجل ذلك وان كان الذي يصلي عليه رجلا . والله اعلم .

[علة صوم ثلاثة ايام في كل شهر]

ومن ذلك ما فيه في علل الفضل بن شاذان رحمه الله في صوم ثلاثة ايام في الشهر قال : فان قال فلم جعل أول خميس في العشر الاول وآخر خميس في العشر الاخر وأربعاء في العشر الاوسط. قيل : اما الخميس فانه قال الصادق عليه السلام تعرض كل خميس أعمال العباد على الله عزوجل فأحب ان يعرض عمل العبد على الله وهو صائم . فان قيل : فلم جعل آخر خميس ؟ قيل : لانه اذا عرض عمل العبد ثلاثة أيام والعبد صائم كان اشرف وافضل من أن يعرض عمل يومين وهو صائم[1] ، وانما جعل أربعاء في العشر الاوسط لان الصادق عليه السلام اخبر ان الله عزوجل خلق النار في ذلك اليوم وفيه اهلك الله القرون الاولى وهو يوم نحس مستمر فأحب الله ان يدفع العبد عن نفسه نحس ذلك اليوم بصومه .

اقول : هذه العلل مذكورة في عيون الاخبار ، وقد وقع في النسخ تحريف في قوله « عمل العبد ثلاثة ايام » فحرف ثلاثة بثمانية فأشكل معناه لذلك ، وكنت

---

١) المراد أن العرض يقع لجميع الاعمال من كل خميس لا لأعمال الاسبوع فقط ، وهو منشأ توهم كونها ثمانية « منه » .

قد كتبت عليه قبل أن أراجع كتاب العلل ان هذا اللفظ محرف من النساخ لقرب لفظ ثمانية من ثلاثة اذا كتبا بغير الف ، ثم رأيته في العلل ثلاثة .

وقوله فيه « أما الخميس » الخ ليس التعليل فيه للاولية والاخرية والوسط ، بل لكون الثلاثة الايام التي يستحب صومها في أول الشهر وآخره ووسطه خميساً واربعاء وخميساً ، فالخميس الاول ليعرض العمل وهو صائم والاربعاء لما ذكر وصوم خميس آخر في آخر الشهر مع انه حصل صوم خميس في اوله ، لان عمل الشهر اذا عرض وفيه صوم ثلاثة أيام كان اشرف وافضل من أن يعرض وفيه صوم يومين وهما الخميس الاول والاربعاء ، فمعنى فلم جعل آخر خميس فلم يصام مع اليومين يوم آخر . والله اعلم .

[شبهة حول البراءة الاصلية]

ومن ذلك شبهة أوردت في كون البراءة الاصلية لا تصلح للاستدلال بها وحاصلها انه ورد في الحديث ما معناه « ان في كل شيء حكماً حتى في أرش الخدش والجلدة ونصف الجلدة » ، واذا كان لكل شيء حكم فكيف يقال ببراءة الذمة بعد أن ورد ما يقتضي اشتغالها .

أقول : قد أجبت عن ذلك من سألني بأنا مكلفون بما يصل الينا حكمه على وجه يجوز لنا العمل به ، وقد نهينا عن قبول خبر الفاسق والمخالف لدين الحق ، وقد ورد عنهم عليهم السلام « كل شيء مطلق حتى يرد فيه نهي » و « الناس في سعة مما لم يعلموا » و « لا ينقض اليقين بالشك ابداً » و « ما حجب عن العباد فهو مرفوع عنهم » و « اليقين لا يرفعه الا يقين مثله » و « انظروا علمكم هذا عمن تأخذونه ، فان في كل خلف منا عدولا ينفون عنه تحريف الغافلين وانتحال المبطلين » .

وفي حديث علي بن حبيب قال : كتب ابو الحسن الاول عليه السلام وهو في السجن : واما ما ذكرت يا علي ممن تأخذ معالم دينك لاتأخذن معالم دينك عن غير شيعتنا ، فانك ان تعديتهم اخذت دينك عن الخائنين الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم، أنهم ائتمنوا على كتاب الله جل وعلا فحرفوه وبدلوه، فعليهم لعنة الله ولعنة رسوله ولعنة ملائكته ولعنة آبائي الكرام البررة ولعنتي ولعنة شيعتي الى يوم القيامة ـ الحديث . وغير ذلك .

وقد ورد ايضاً : كل شيء لك حلال حتى تعرف الحرام بعينه فتدعه، وكل شيء طاهر حتى تعلم أنه قذر . ونحوه مما فيه تأييد لذلك .

وما ورد مما تضمن النهي عن تكذيب ما جاء عنهم عليهم السلام وان اتى به قدري أوغيره ممن خالف دين الحق ، لادلالة فيه لان النهي فيه عن التكذيب وهو الجزم بكونه كذباً ، وهو لايدل على العمل به ، كيف وقد نهوا عن الاخذ عن غير العدل وعدم التكذيب شيء آخر . ووجهه ظاهر ، فانه محتمل للصدق فكيف يحكم فيه بالكذب .

وهذا لايدل على العمل به ، والا لعمل بخبر كل مخبر ، ودين الله وأمناؤه يجل عن ذلك . على أن العمل بذلك يلزم منه الرد على الله وعليهم ، وبمثل هذا يحصل التساهل من امر الدين، فانه لايحتاج الى ماحققه العلماء بل ينظر الى كل ما ورد ويعمل به حيث انه ورد عنهم .

نعم اذا حصلت قرائن تدل على صدقه عمل به من حصلت له لذلك، ولهذا كان المتقدمون رضوان الله عليهم يعمل الواحد منهم بخبر لايعمل به الاخر ولا يعتمد على مجرد روايته له أو العمل به، كما يظهر من عدم عمل الصدوق بكل مايرويه محمد بن يعقوب بمجرد نقله في كتابه، وكما يرد الشيخ الطوسي أخباراً كثيرة يرويها الكليني والصدوق ويظهر منهما الاعتماد عليها تارة بالضعف وتارة

بكونها اخبار آحاد لاتوجب علماً ولا عملا وان اختلف الاصطلاح فى معنى الضعيف ، وكمايعمل به الصدوق مخالفاً لمايعمل به والده ، وكمايغلط الفضل ابن‌شاذان فى عدة مسائل فى الميراث .

وبالجملة فمن تتبع كلام المتقدمين رأى مدارهم على ما ترجح عند كل واحد العمل‌به بقرائن حصلت له من غير اعتماد على‌مجرد نقل الاخر ، حتى ان السيد المرتضى لم يجوز العمل بالاخبار من حيث هى لكونها اخبار آحاد كما صرح به فى رسالة خبر الواحد وغيرها . فالعجب من دعوى حصول علم لم يحصل لمتقدم ولا متأخر ولم يوافق عليه احد .

اذا تقرر ذلك فهب ان كل شيء ورد فيه حكم فنقول : اما أن يكون ذلك الحكم موافقاً لحكمه قبل ذلك او مخالفاً ، وذلك اما ان يكون التحريم أو الوجوب أو الاباحة أو الكراهة أو الاستحباب أو غير ذلك من أحكام الوضع ونحوها ، ومن المعلوم عند كل عاقل أنا غير مكلفين بذلك الحكم ما لم يصل الينا ، وقد نهينا عن أخذه ممن لا يعتمد على قوله ، فاذا لم ينقل الينا اصلا وكنا مكلفين به حينئذ لزم تكليف مالا يطاق وهو باطل ، وان وصل الينا ممن نهينا عن الاخذ عنه لم نكن مكلفين بذلك بمقتضى قولهم عليهم السلام المتقدم ونحوه .

فمن لم يعمل بالخبر الضعيف عنده ويستند الى البراءة الاصلية مراده بها هذا، وكذا من يستند اليها مع عدم ظهور خبر أصلا .

فظهر أن مرادهم بالبراءة الاصلية عدم تحقق التكليف بذلك الحكم حتى يصل اليهم على‌وجه يقتضى التكليف به ، فمالم‌يصل حكمه مرفوع ، ومن عمل بخبر ضعيف حف بقرائن مثل شهرة العمل‌به وغير ذلك كان مما نقل‌به الحكم عن الاصل المذكور ، وهذه القرائن قد تحصل لمكلف دون آخر ، فيعمل به

من حصلت له دون غيره ، وعليه بناء المتقدمين والمتأخرين ، وهومن وجـوه الاختلاف الذي وقع منهم .

فظهر أن ليس المراد الاصل الذي هو الاباحة قبل أن يحكم الله تعالى بشيء في هذه الشريعة .

على انه اذا قيل بأن الاصل في الاشياء الاباحـة بهذا المعنى ولم نعلم ان الحكم الذي وقع في نفس الامر موافق لهذا أو مخالف له ، وقد امرنا بالتثبت في العمل به ونهينا عن العمل كانت ذمتنا بريئة من التكليف به الى ان يحصل موجبه ، ومجرد احتمال كون الحكم الوارد في الواقع مخالفاً لهذا لايقتضـي شغل ذمتنا بذلك ، غايته احتمال ان يكون الامر في الواقع هكذا ، وهو لايفيد حتى لو فرض أن جميع ذلك قد نقل عن الرسول والائمة عليهم السلام ولـم يصل بعضه الى المكلف على وجه يسوغ له العمل به وكان الواجب عليه التفحص عن ذلك ، فقبل ان يصل اليه مع بذل جهده أي عاقل يكلفه بما في نفس الامر وخصوصاً في مثل هذا الزمان وذهاب كثير من كتب الحديث بسبب الجور على اهل الحق .

وماتضمنه بعض الاخبار من ان الاحكام وردت عنهم عليهم السلام لئلا يضيع من في اصـلاب الرجال وأرحام النسـاء لاينافي ذلك ، فانه يمكن ورود ذلك عنهم لاجل ذلك ولكن باهمال المكلفين او عدم قدرتهم وتمكنهم ذهب بعض الاحكام وليس هذا بأعظم من كونهم عليهم السلام منصوبين لاقامة نظام الدين وارشاد الخلق مع عدم انقيادهم جميعاً اليهم وعدم تمكنهم بذلك مما نصبوا له ، فقد نصب تعالى للمكلفين الدليل وأقام لهم الحجة ، وعدم تمام ذلك من تقصير المكلفين لا من المكلف ، ولو أطاعوهم كما هو حقهم لانتشرت جميع الاحكام على وجه

العلم واليقين، وقد قال تعالى « ما خلقت الجن والانس الاليعبدون »[1] فترك من ترك العبادة باختياره كتضييع من ضيع نفسه باختياره وتقصيره فكما لاينافي ترك العبادة ماخلق لاجله لاينافي تضييع المضيع ماكان لاجل عدمه .

وحيث لم يحصل ذلك بتمامه ولم يبق ما يلتجأ اليه في كل شيء على وجه اليقين والخصوص التجأ الخائفون من الله سبحانه الى المقدور من استخراج الاحكام مما هو موجود ما أمكن ، مع التحفظ بتقوى الله ومراعاة الاحتياط في العمل ، وذلك قديختلف بحسب فهم المكلفين وتفاوت أنظار الناظرين ، ولا يكلف الله نفساً الا وسعها .

ومع هذا كله لم يحصل الضياع بحمدالله بالكلية لمن بذل جهده ولم يضل عن الحق من اتبع اهل الحق ، وقد مهد العلماء ما يحصل به النظام ان اتبع الحق بحسب المقدور .

ونرى من نشأ في هذا الزمان وما قاربه ممن يدعون انا نعمل بالحديث لا يكاد يوافق واحدمنهم الاخر ولم يسلكوا طريقة أحد من المتقدمين والمتأخرين، يظهرذلك لمن عرف وتتبع مع دعواهم عدم الاختلاف في هذا الطريق ، ولا يعترف واحد منهم بما أفتى به الاخر الا لامرما ، ولا يتحرج فيما يقوله انهذا مراد الله ورسوله والائمة عليهم السلام مع ظهورقدر بضاعتهم وفهمهم لمعاني الحديث وعدم اتفاقهم ، فكل من سلك طريقاً مع دعواه العمل بالحديث سلك الاخر خلافه .

واذا اشتهرت مسألة افتى كل واحد بما يخالف الاخر، ولو افتوا بجميع المسائل لقل اتفاقهم على أمرواحد ، ومن انصف وتتبع ظهر له صحة ذلك ، وقد اغتربهم العوام والجهلة والمائلون الى التساهل في الدين وفي تحصيل العلوم

---

١) سورة الذاريات : ٥٦ .

التى لا يعرف كلام الله ورسوله الا باتقانها ، فضاعت كتب الحديث الموجودة لعدم ضبطها ممن له اهلية الضبط ، وموهوا على ضعيفى العقول بأنا نقول لكم كلام المعصوم ومراده .

والمجتهدون يتكلمون من عند انفسهم وحيث لم يفرقوا بين الاجتهاد المذموم فى الحديث وغير المذموم تمسكوا بالذم الوارد ووقفوا فى اجتهاد غير معقول ورأي غير صواب، وألقوا مثل ذلك الى من لم يكن ذا نقد يعرف ان كلام المجتهدين انما صدر عنهم بعد الفحص عن كلام الله وأمنائه وتكلمهم بما ورد عنهم بحسب ماوصل اليه جهدهم ووسعهم وكان راجعاً الى كلامهم عليهم السلام .

وهذا نظير القاء الصوفية الى الجهلة ورعاع الناس واشباه البهائم انهم يلقون اليهم عن الله بغير واسطة وعلماء الشرع يتكلمون بوسائط يمكن عدم صدقها .

فقد ضيعت هاتان الفرقتان احكام الله عند الجهلة ومن ينقاد اليهم ، وسعوا على هدم الدين جهدهم ، وأوقعوا الناس فى التساهل فى تحصيل ما يجب تحصيله وضبط مايجب ضبطه ، وسهولة ذلك مع تصويره بصورة الحق أفضت الى الكسل والتساهل .

لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادى

ونسأل الله الهداية لنا وللمؤمنين، ونعوذ به من الاملاء والغواية ، وهذا قليل من كثير اقتضاه المقام ولتمامه محل آخر افردته فى رسالة برز منها ما برز . والله الموفق لاتمامها ، وقد ذكرت طرفاً من هذا فى شرح الروضة البهية وشرح اصول الكافى .

[حديث معنى كان عزيزاً ولا عز]

ومن ذلك مافى كتاب التوحيد للصدوق رضى الله عنه من جملة حديث عن

ابي جعفر عليه السلام مع الشامي حيث قال : أخبرك ان الله علا ذكره كان ولا شيء غيره وكان عزيزاً ولاعز لانه كان قبل عزه، وذلك قوله « سبحان ربك رب العزة عما يصفون »[1] وكان خالقاً ولا مخلوق ـ الحديث .

اقول : معناه ـ والله اعلم ـ انه كان موصوفاً بكونه عزيزاً أي غالباً وقاهراً ولاعز بفتح العين أي لاغلبة ولاقهر، اذ لاغلبة الابمغلوب والحال انه لم يكن مغلوب ولا قهر الا بمقهور ولم يكن مقهور ، فقد كان عزيزاً وخالقاً قبل العز والخلق .

وقوله عليه السلام« وذلك قوله » الخ ، يحتمل ان يكون المراد به انه رب العزة وهذا الوصف سابق على ما يصدق معه الغلبة كسائر أوصافه تعالى ككونه سميعاً اذ لا مسموع وبصيراً اذ لا مبصر وخالقاً اذ لا مخلوق ونحو ذلك . والله تعالى اعلم .

[مسألة تقلص الظل وامتداده]

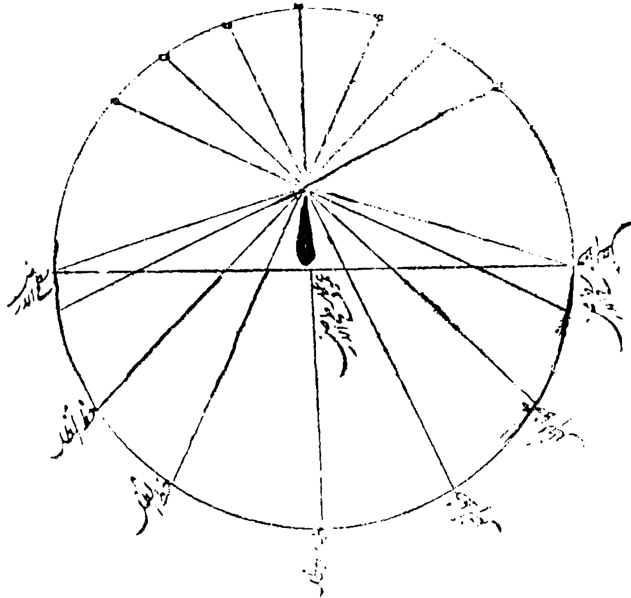
ومن ذلك قول القاضي البيضاوي في تفسيره عند قوله تعالى في سورة الرعد « ولله يسجد من في السماوات والارض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والاصال »[2] وتخصيصه الوقتين لان الامتداد والتقلص فيهما أظهر .

وأراد بالوقتين الغدو والاصال ، وقد سئلت عن هذا في مكة المشرفة وكان السائل يتوهم أنه لا ينبغي التفاوت بين الوقتين وغيرهما ومع كون حصول التفاوت ظاهراً وجدانياً ، كتبت له مايوضح ذلك بوضع دائرة تتوقف معرفتها على هذه المقدمة، وذلك :

١) سورة الصافات : ١٨٠ .

٢) سورة الرعد : ١٥ .

انا لو نصبنا شاخصاً على سطح دائرة الافق وجعلنا مدار الشمس دائرة مقاطعة لها على زوايا قوائم فاذا برزت الشمس عن دائرة الافق كان ظل ذلك الشاخص واصلا الى دائرة الافق من جهة المغرب ، فنفرض الشعاع خطاً مستقيماً لولا الشاخص لوصل الى الدائرة فيمتد ظله من حيث هو الى الدائرة ، فاذا ارتفعت الشمس درجة مثلا مر الخط الشعاعي برأس الشاخص وانحط عن دائرة الافق بمقدار ما ارتفع والمفروض انه درجة فينحط درجة ، وهكذا كلما ارتفع درجة مثلا انحط كذلك، فاذا وصل الظل الى دائرة الافق حصلت زاوية حادة ضلعاها خطان احدهما من رأس الشاخص اليها والآخر من اسفله اليها والخط الاسفل كلما ارتفعت الشمس قاطعة الخط الاعلى وهو خط الظل بمقدار ما ينتهي به الى دائرة مدار الشمس من أسفل ، فيحصل من أسفل زاوية حادة ثم لاتزال تنفرج بارتفاع الشمس الى ان تصير قائمة عند الزوال ، فاذا زالت الشمس انعكس ذلك تدريجاً



بقدر ماحصل أولا لتساوي الحركة ، فبمرور خط الظل على سطح دائرة الافق بالطريق المذكور يعلم تفاوت ذلك ويظهر تفاوت الامتداد والتقلص . وهذه الدائرة المذكورة فتأملها يظهر لك وجه ذلك .

| حديث لم يزل الله يعلم |

ومن ذلك مارواه الصدوق رضى الله عنه في كتاب التوحيد باسناده الى حماد بن عيسى قال : سألت ابا عبدالله عليه السلام فقلت : لم يزل الله يعلم ؟ قال: انى يكون يعلم ولامعلوم. قال : قلت فلم يزل الله يسمع ؟ قال : انى يكون ذلك ولا مسموع . قال : قلت فلم يزل يبصر؟ قال : انى يكون ذلك ولامبصر قال : ثم قال : لم يزل الله عليماً سميعاً بصيراً ذات علامة سميعة بصيرة .

اقول: معنى قول السائل لم يزل الله يعلم لم يزل يتجدد علمه بتجدد المعلوم ووجوده ، لدلالة صيغة الفعل ولو فى مثل هذا المقام على التجدد والدوام ، فيلزم من هذا كون بعض المعلوم قديماً او كون علمه تعالى حادثاً متجدداً اذ لم يتصف بالعلم الا بوجود المعلوم .

فأجابه عليه السلام بأن كونه تعالى عالماً ثابت له اذلا معلوم، وكونه سميعاً ثابت له اذلا مسموع ، وكونه بصيراً ثابت له اذلا مبصر ، فليس علمه ثابتاً له بالمعلوم ليكون المعلوم قديماً او يكون علمه حادثاً بل علمه عين ذاته وقد كان ولامعلوم .

ومنه يعلم معنى لم يزل يسمع ولم يزل يبصر وجوابهما. وفي قوله عليه السلام « أنى يكون » بصيغة المضارع مايدل على ذلك .

ومعنى قوله « لم يزل عليماً سميعاً بصيراً » انه لم يزل كذلك مع وجود

المعلوم وتعلق علمه به وعدمه ومع وجود المسموع والمبصر وعدمهما. ويوضح معنى هذا قول ابى عبد الله عليه السلام فى الحديث الذي قبله : لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولامعلوم والسمع ذاته ولامسموع والبصر ذاته ولامبصر والقدرة ذاته ولامقدور ، فلما أحدث الاشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور ـ الحديث .

فان قلت : اذا كان تعالى لم يزل عالماً بكل شيء يلزم منه تعلق علمه بكل معلوم ، فيلزم منه قدم المعلوم .

قلت : هذه شبهة لا وجه لها ، فان علمه تعالى بحدوث الحادث وتعلق علمه به لا يلزم منه قدم ذلك الحادث وهو ظاهر .

ومعنى قوله عليه السلام « أنى يكون يعلم ولامعلوم » متى يصدق عليه تعالى انه دائماً يعلم بالمعنى الذى تقدم والحال انه تعالى كان عالماً قبل المعلوم ، لأنه عالم بالمعنى الذى ذكره السائل . والله اعلم .

[حديث من مات ولم يشرك بالله دخل الجنة]

ومن ذلك مارواه الصدوق رضى الله عنه فيه بسنده عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات ولايشرك بالله شيئاً أحسن اوأساء دخل الجنة .

اقول: هذا الحديث لاينافى دخول بعض المسيئين النار بقدر جزاء اساءتهم اولا ، فانه لابد من دخوله الجنة بعد عذابه بمايستحقه لئلا ينافى ماورد ممايدل على ذلك كتاباً وسنة ، او أن الاساءة قد يحصل منها ولو أدنى الشرك ولو عند الموت كما تضمنه بعض الاخبار ، فغير المشرك لابد من دخوله الجنة . أو تحمل الاساءة

على مايكون معه عفو أو أن كرم الله تعالى وعفوه اوسع من ذلك. والله اعلم .

احديث خلق الايمان والجحودا

ومن ذلك مارواه رضي الله عنه فيه باسناده الى عبد الرحيم القصير قال : كتبت على يدي عبد الملك بن أعين الى ابي عبدالله عليه السلام الى ان قال عليه السلام من جملة الجواب : فاعلم رحمك الله أن المعرفة من صنع الله عزوجل في القلب مخلوقة ، والجحود صنع الله في القلب مخلوق ، وليس للعباد فيهما من صنع، ولهم فيهما الاختيار من الاكتساب فبشهوتهم الايمان اختاروا المعرفة فكانوا بذلك مؤمنين عارفين ، وبشهوتهم الكفر اختاروا الجحود فكانوا بذلك كافرين جاحدين ضلالا. وذلك بتوفيق الله لهم وخذلان من خذله الله، فبالاختيار والاكتساب عاقبهم الله واثابهم ـ الحديث وهو طويل وهذا موضع الاشكال فيه.

اقول : معنى هذا ان الله من صنعه معنى معرفته ومعنى جحوده ، وقد دل عبده على المعنيين من قبيل « وهديناه النجدين »[1] فهو مثل قولك : الطريق الموصل الى الخير والطريق الموصل الى الشر من صنعه تعالى . فقد صنع في قلب العبد معنى المعرفة ومعنى الجحود ، وعرفه حسن هذا وعدم حسن الاخر وما يترتب له على متابعة كل منهما، واعطاه القدرة والاختيار والاستطاعة لسلوك كل منهما باختياره، فهو باختياره يختار مايريد منهما، فاذا علم الانسان ودل على الايمان ما هو وعلى الكفر ما هو وعلم ما يترتب له على المتابعة فاختار أحدهما لم يكن اختياره الايمان أو الكفر منه تعالى ، بل من العبد بالاختيار والاستطاعة اللتين ملكه اياهما .

والتوفيق لمن اختار الايمان والخذلان لمن اختار الكفر لاينافيان الاختيار

١) سورة البلد : ١٠ .

بل من أتباع اللطف من المؤمن حصل لهزيادة اللطف والتوفيق والعناية ، ومن عدم اتباع اللطف من الكافر حرم الزيادة من ذلك ، فالكفر الذى لم يكن منه تعالى هو كون الكافر كافراً باختياره الكفر . فظهر الفرق بين خلق معنى الكفر والدلالة عليه وخلق الكفر فى العبد .

وبهذا يندفع ما قد يتوهم من موافقة هذا الحديث لما يقوله أهل الجبر.

ومعنى قوله عليه السلام « وبشهوتهم الايمان » الخ ان الله تعالى ركب فيهم الشهوة ، وجعل بأيديهم متابعة ما تدعوهم اليه ومخالفته ، فباشتهائهم وارادتهم الايمان اختاروا المعرفة وبشهوتهم وارادتهم الكفر اختاروا الجحود مع دلالتهم على ما يترتب على كل منهما عقلا وسمعاً .

وفى باب القضاء منه عن ابى عبد الله عليه السلام : كما ان بادىء النعم من الله عزوجل وقد نحلكموه فكذلك الشر من أنفسكم وان جرى به قدره .

وبما تقرر يظهر معنى خلقه تعالى الشر في بعض الاخبار ، وان ذلك لايدل على أن الشر الذي يفعله العبد من فعله تعالى . والحاصل ان كل ما ورد من هذا القبيل فالمراد منه ما ذكر . والله اعلم .

[معنى البداء]

ومن ذلك قول الصدوق رضى الله عنه فى باب البداء من كتاب التوحيد : ليس البداء كما يظنه جهال الناس بأنه بدا ندامة تعالى الله عن ذلك ، ولكن يجب علينا أن نقر لله عزوجل بأن له البداء معناه ان له ان يبدأ بشيء من خلقه فيجعله قبل شيء ثم يعدم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره ، أو يأمر بأمر ثم ينهى عن مثله أو ينهى عن شيء ثم يأمر بمثل ما نهى عنه ، وذلك مثل نسخ الشرائع وتحويل القبلة وعدة المتوفى عنها زوجها ، ولايأمر الله عباده بأمر فى وقت الا وهو يعلم

أن الصلاح لهم في ذلك الوقت في أن يأمرهم بذلك ، ويعلمان في وقت آخر الصلاح لهم في أن ينهاهم عن مثل ما امرهم به ، فاذا كان ذلك الوقت أمرهم بمايصلحهم، فمن أقرلله عزوجل بأن له أن يفعل مايشاء ويؤخر مايشاءويخلق مكانه ما يشاءويقدممايشاء ويؤخر مايشاء ويخلق مكانهمايشاء ويقدممايشاء ويؤخرمايشاء ويأمر بما يشاء كيف شاء فقد أقر بالبداء ، وما عظم الله عزوجل بشيء افضل من الاقرار بأن له الخلق والامر والتقديم والتأخير واثبات مالم يكن ومحو ماقدكان، والبداء هو رد على اليهود لانهم قالوا ان الله قدفرغ من الامر ، فقلنا ان الله كل يوم هو في شأن يحيي ويميت ويرزق ويفعل مايشاء ، والبداء ليس من ندامة وانما هو من ظهور أمر ، تقول العرب بدالي شخص في طريقي أي ظهر ، وقال الله عزوجل « وبدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون »(1) اي ظهر لهم .

ومتى ظهر لله تعالى ذكره من عبد صلة لرحمه زاد في عمره ، ومتى ظهر له منه قطيعة لرحمه نقص من عمره، ومتى ظهر له من عبد اتيان الزنا نقص من رزقه وعمره ، ومتى ظهر له منه التعفف عن الزنا زاده في رزقه وعمره . ومن ذلك قول الصادق عليه السلام « مابدالله بداء كما بداله في اسماعيل ابني » يقول ما ظهر له أمر كما ظهر له في اسماعيل ابني اذ اخترمه قبلي ليعلم بذلك انه ليس بامام بعدي ، وقدروى لي من طريق ابي الحسين الاسدي رضي الله عنه في ذلك شيء غريب ، وهو أنه روى أن الصادق عليه السلام قال : ما بدا لله بداء كما بداله في اسماعيل ابي ، اذ أمر اياه بذبحه ثم فداه بذبح عظيم . وفي الحديث على الوجهين جميعاً عندي نظر ، الا اني أوردته لمعنى لفظة البداء والله الموفق للصواب – انتهى كلامه .

اقول : الذي يستفاد من الاخبار ان البداء هو القول بخلاف ماقالته اليهود

1) سورة الزمر : ٤٧ .

من كونه تعالى فرغ من الامر ولم يظهر شيئاً بعد ذلك ولم يحدث شيئاً ، لانه قدر كل شيء على وفق علمه من غير أن يحدث بعده شيئاً . وحاصل الرد عليهم: انه تعالى يتجدد له تقديرات وارادت كل وقت ويظهر بحسب المصالح الذى يريدها .

وبذلك فسره الرضا عليه السلام في حديث سليمان المروزي حيث انكر البداء فقال له : ضاهيت اليهود في هذا الباب قال : اعوذ بالله من ذلك وما قالت اليهود؟ قال: قالت اليهود « يدالله مغلولة » يعنون ان الله قدفرغ من الامر فليس يحدث شيئاً ، فقال الله عزوجل « غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا »[1].

فظهر أن معنى البداء ان الله سبحانه يحدث الاشياء ويقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء - الى اخر ما ذكره الصدوق رحمه‌الله . وهو معنى قوله تعالى « بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء » فهذا هو البداء والله اعلم، وماذكره الصدوق مضمونه مذكور في هذا الحديث .

اذا تقرر ذلك فالبداء لماكان بمعنى الظهور والظهور قد يكون بمعنى بروز الشيء الى الوجود مع العلم به قبل ظهوره كما يظهره تعالى، وقد يكون بمعنى بزور الشيء الى الوجود مع خفائه او خفاء وجهه قبل ظهوره عمن ظهر له ، وهذا محال نسبته اليه تعالى .

والظهور بالمعنى الاول منه تعالى بمعنى الاظهار، فصار الشيء بذلك ظاهراً منه تعالى ، كاحداث ما أراد احداثه وانشاء ما اراد انشاءه ومحو ما اراد محوه واثبات ما اراد اثباته ونحو ذلك ، وقد يكون الظهور من غيره تعالى كما اذا ظهر من العبد مثل صلة الرحم أو قطيعته أو صدقة ونحو ذلك ، فيظهر منه تعالى ما جعل ذلك الشيء متعلق ارادته وحكمته .

١) سورة المائدة : ٦٤ .

ومن المعلوم ان حكمة الله سبحانه اقتضت ربط بعض الاشياء ببعض وسببية بعض الاشياء لبعض ووقوع ما يريده تعالى اذا علقه بوجود شيء ، فاذا ظهر من العبد صلة رحمه زاد في عمره الذي كتب له معلقاً على هذا ، وكذا اذا نقص من عمره فيمحو الله ما يشاء ويثبت من هذا ونحوه كمحو ماثبت من الشرائع ونسخه واثبات غيره .

واذا ورد مثل هذا من مخبر صادق ثبت صدوره عنه تعالى فأي عاقل يتصرف بمقتضى عقله الناقص ويقول أي فائدة في هذا وما وجه هذا . على أن مثل هذا جار في خلق الكافر وعلمه تعالى بعدم ايمانه فتتصرف العقول الناقصة بأن تكليفه غير جائز مع علمه تعالى بذلك أو بنسبة جواز تكليف ما لايطاق اليه تعالى .

وبعد ثبوت الاختيار وحكمة التكليف وعدم تأثير العلم في المعلوم واثبات العدل له تعالى وتنزيهه عن القبيح والظلم والعبث ، يظهر فساد ذلك .

واقول : ان من حكمة التكليف لطف الله تعالى بالعبد وايصال التكاليف الى المكلف ، فاذا بلغه أن صلة الرحم تزيد في العمر كان ذلك باعثاً على فعلها، واذا بلغه ان الزنا ينقص الرزق كان ذلك باعثاً على تركه ، وقس على هذا . فمقتضى الحكمة أن يكتب لهذا رزق معلوم ولذلك أجل معلوم ، وقد منحه الله ما يقدر به على تحصيل تلك الزيادة أو فعل ما يقتضي نقص ما كتب بحيث لم يكن محتوماً فأي بعد في هذا . فاذا بلغ المكلف ذلك ففعل أو ترك باختياره ترتب له ما ذكر .

واهل الحق قائلون بتكليف الكافر بالاصول والفروع، وهذا مثله، والجواب عن الشبهة فيهما واحد. فظهر أن علمه تعالى بكون زيد مثلا يصل رحمه لايقتضي كون الاجل المقرر له المعلق على ذلك لافائدة فيه .

ويوضح هذا ما اذا قال شخص لعبده الذي يعلم منه العصيان ان اطعتني

في أن تفعل كذا أعطيتك كذا درهماً وان عصيتني ضربتك عشرين سوطاً وكان غرض السيد بذلك اظهار عذره في ضربه ، فان ضربه من غير آمر ومخالفته يعده العقلاء ظالماً ، فاذا أمره فلم يأتمر لم يلمه عاقل على ضربه . ومثله مالو علم انه يطيعه فاذا امره واعطاه ماقرره له كان معذوراً غير سفيه في الاعطاء لظهور استحقاق المطيع مثل ذلك ، غايته الفرق بينهما بأنه لو اعطاه من غير امر كان تفضلا منه وقد لا يذم عليه لكن معرض لنسبته الى السفه ممن لا يطلع على حقيقة امره .

والله سبحانه وتعالى ليس من هذا القبيل ، فانه اذا تفضل بشيء لم يتهم بما يتهم به عبده ، والمفروض ان هذا من نحو باب التكليف وربط شيء بشيء ، ونحو هذا ما لو أمر بعض السلاطين أن يكتب كاتبه ويثبت ان كل من كان من خدمه وعماله يعمل كذا كان له من الاحسان زيادة كذا عما هو مقرر منه لخدامه، فثبوت ذلك في دفاتره ونحوها ووعده بذلك يقوي داعي من أراد تحصيل هذا النفع بذلك العمل مع قدرته عليه ، ومن تكاسل عن ذلك العمل وتركه فقد حرم نفسه ذلك النفع باختياره[1] . ففي اثبات ذلك وتقريره من الفائدة ما هو ظاهر في غيره تعالى فما ظنك به وبحكمته وصدق وعده وعدم خلفه .

والحاصل ان البداء الذي امرنا باعتقاده هو الظهور بالمعنى الذي تقرر ، وهو موافق لمعناه لغة وعرفاً ، فانه اذا صدق بهذا مع التصريح من أئمتنا عليهم السلام به كان هو المراد .

---

١) قال الشيخ المفيد قدس الله روحه في كتابه المشتمل على جواب احدى وخمسين مسألة : المعنى في قوله عليه السلام « ما بدا لله في شيء كما بدا له في اسماعيل » يعني ما ظهر له تعالى فعل من أحد من اهل البيت عليهم السلام ما ظهر له في اسماعيل ، وذلك أنه كان الخوف عليه من القتل مشتداً والظن به غالباً ، فصرف الله عنه ذلك بدعاء الصادق عليه السلام ومناجاته منه فيه ، وبهذا جاء الاثر عن الرضا عليه السلام ـ انتهى كلامه عفى الله عنه «منه» .

وأما المعنى الاخر وهو الظهور بعد الخفاء على من ظهر له المقتضى لعدوله عن غيره اليه لذلك ونحو ذلك، فأي عاقل يعرف الله سبحانه ينسبه اليه، وقد دل العقل والنقل على انه لايعزب عن علمه شيء.

وفى باب البداء من كتاب التوحيد عن ابى عبد الله عليه السلام حيث سأله منصور بن حازم هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله ؟ قال لا، من قال هذا فأخزاه الله. قلت: ارأيت ماكان وماهو كائن الى يوم القيامة أليس فى علم الله؟ قال بلى. قيل: ان يخلق الخلق فكيف يخبر بهذا من يأمر بالقول بالبداء ويعنى به ما نسبه غيرنا الينا من حمله على معنى ان ينشأ اويحدث شيء لم يكن ظاهراً عنده تعالى الله عن ذلك.

وبالجملة فاذاكان بمعنى الظهور ـ وهو يختلف معناه بحسب ما يتعلق به ـ فيقال بدامنه امر اذا ظهر فقط، ويقال بداله اذا ظهر اما بعد خفاء او نشأله رأى غير الاول أو بالمعنى الاخر، ويقال ظهر عليه بهذا المعنى، فالحمل على مايليق حمله بجنابه تعالى متعين لايجوز غيره مما يقع من الممكن الناقص المحتاج.

اذا تقرر هذا فقول الصدوق طاب ثراه: ومتى ظهر لله تعالى ـ الخ كان الظاهر أن يقول بدله: ومتى ظهر من العبد صلة لرحمه ظهرت من الله الزيادة فى عمره اوزاد الله فى عمره. فانه انسب بما تقرر، لكنه لماوجده فى قول الصادق عليه السلام ما بدا لله بداء كما بدا له فى اسماعيل اتى بهذه العبارة، الا انه قال: وفى الحديث على الوجهين جميعاً عندى نظر. وكأن وجه النظر ما فيه من قوله «لله» حيث يشعر بتقدم الخفاء وان كان غير مراد، فعلى هذا كان ينبغى ترك قول الصدوق لله.

وربماكان مراده عدم ثبوت الحديث عنده بالطريقين على وجه يعتمد عليه، وحينئذ معنى الظهور لله والبداء لله أن ظهور الاشياء له تعالى ليس على حد ظهورها

لغيره، فان كون الفعل خالصاً مثلا غير مشوب بشيء يقتضي المنع مما يترتب عليه مخصوص به تعالى ، فظهور حقيقة كل ظاهر له دون غيره ، فلهذا قال « لله » فليفهم .

ومنه يعلم معنى مابدالله في الحديث. والاولى ان يقال في هذا التركيب من الحديث : انه من قبيل قولك ماظهر لزيد علم كما ظهر له في هذا اليوم أو بهذا الكلام ونحوه، بمعنى ظهور علمه الان زيادة عن غيره ، فظهور البداء منه تعالى في اسماعيل لم يظهر له أي منه مثله بالنسبة الى من اخترم اجله لا الى كل شيء.

وهذا وجه لطيف منطبق على معنى البداء وكونه متعلقاً به تعالى، فان ظهور مايقتضي البداء من غيره تعالى وادخاله في معنى البداء المبحوث عنه لا دخل له الامن حيث ترتب البداء عليه، فانتظم معنى الحديث وظهر أن استدلال الصدوق رحمه الله على أنه بمعنى الظهور ثم قوله بعده « ومتى ظهر لله » الخ كما ترى. اللهم الا ان يكون مراده بالظهور من العبد مالا دخل له بالبداء الا ترتب البداء عليه كما يأتي في قوله « ان له ان يبدأ بشيء من خلقه » .

وبالجملة فكلامه هنا وهناك مشعر بادخال الابتداء والظهور من العبد في البداء، وكأنه فهمه من حديث الرضا عليه السلام وحديث مابدا لله ولم يلاحظ الفرق ومعنى الحديثين قد ظهر لك بما قررته وبما يأتي انه ليس من هذا . ويمكن التوجيه بما ذكرته مع بعده فتدبر .

فان قلت : مقتضى الحديث أن ظهور الأشياء يتفاوت بالنسبة اليه تعالى ، وهو يقتضي تفاوت علمه .

قلت : التفاوت في مثله يرجع الى ذلك الظاهر ، كما تقول لم يحدث مثل هذا بمعنى أن هذا يتميز عن غيره مما أحدثه. ومعنى الحديث انه لما حصل من جماعة اعتقاد أن الامام بعد الصادق عليه السلام ابنه اسماعيل ظهر منه اخترامه قبل ابيه

وقد كان كتب له اجلا أزيد من هذا ليزول سبب اعتقادهم، ولابعد في كونه تعالى جعل له عمراً ازيد من هذا معلقاً على عدم وجود السبب المذكور ، فاذا حصل السبب وظهر نقصه كما ينقص عمر من قطع رحمه عما قدر له لو لم يقطع الرحم ونحوه أمر الزيادة، فانه تعالى قد يعطي قدراً من العمر معلقاً على أن لا تحصل صلة الرحم، فاذا حصلت وظهرت بوجودها وتحققها له تعالى زاده عن ذلك القدر اما قدراً آخر أو ما كان معلقاً على ذلك أو ما يقتضيه جوده وكرمه من التفضل عليه .

وأي بعد في هذا بعد أن نصب للمكلفين من هو واجب الطاعة والاعتقاد فيه أنه امام ، فاذا فعلوا باختيارهم ذلك وفاه عمره ، واذا تركوا وعدلوا باختيارهم مع علمهم بأن صفات الامام فيه دون غيره نقصه . وقد تقدم مايوضح هذا .

واعلم ان قوله رحمه الله « يجب علينا أن نقر لله عزوجل بأن له البداء »وقوله « معناه ان له ان يبدأ بشيء من خلقه فيجعله قبل شيء ثم يعدم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره » يمكن حمله على أنه ليس المراد به ان هذا معنى البداء باعتبار هذا اللفظ ، فان هذا من بدأ المهموز بمعنى ابتدأ ومعناه غير المعنى المذكور للبداء غير المهموز وان ذكره لكونه من افراد البداء وداخلا تحته من حيث ترتب البداء عليه ، وقد أخذه من قول الرضا عليه السلام لسليمان المروزي في اثبات البداء « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده »[1]« وبدأ خلق الانسان من طين »[2]، فان الظهور حصل من هذا الابتداء .

ولا يخفى ان ما في الحديث لايتوهم منه ما يظهر من كلام الصدوق طاب ثراه ، فراجع الكلامين وتأمل تجد الفرق بينهما .

ومن كلام الرضا عليه السلام واحتجاجه على سليمان في اثبات البداء قوله:

١) سورة الروم : ٢٧ .
٢) سورة السجدة : ٧.

وما انكرت من البداء ياسليمان، والله عزوجل يقول « أولم يرالانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً » [1] ويقول عزوجل « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده » ويقول « بديع السماوات والارض » [2] ويقول عزوجل « يزيد في الخلق مايشاء » [3] ويقول « وبدأ خلق الانسان من طين » ويقول عزوجل « وآخرون مرجون لامرالله اما يعذبهم واما يتوب عليهم » [4] ويقول عزوجل « ومايعمر من معمر ولاينقص من عمره الا في كتاب » [5]. ثم قال عليه السلام : رويت عن ابي عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال: ان لله عزوجل علمين علماً مخزوناً مكنوناً لايعلمه الاهو من ذلك يكون البداء ، وعلماً علمه ملائكته ورسله، فالعلماء من اهل بيت نبيك يعلمونه.

ومن هذا الحديث اخبرني أبي عن آبائه انرسول الله صلى الله عليه وآله قال: ان الله عزوجل أوحى الى نبي من أنبيائه: ان اخبر فلان الملك اني متوفيه الى كذا وكذا. فأتاه ذلك النبي فأخبره، فدعا الله الملك وهو على سريره حتى سقط عن السرير وقال: يارب اجعلني حتى يشب طفلي واقضي أمري ، فأوحى الله عزوجل الى ذلك النبي انائت فلان الملك فأعلمه اني قد أنسيت في اجله وزدت في عمره خمس عشرة سنة . فقال ذلك النبي : يارب انك تعلم أني لم اكذب قط . فأوحى الله عزوجل اليه انما أنت عبدمأمور فأبلغه ذلك والله لايسأل عما يفعل ــ الحديث .

وهذا من قبيل ماتقدم فانه تعالى قد يعلق الزيادة على دعاء العبد وطلبه ،

١) سورة مريم : ٦٧ وأول الاية « أولا يذكر الانسان » .

٢) سورة البقرة : ١١٧ .

٣) سورة فاطر : ١ .

٤) سورة التوبة : ١٠٦ .

٥) سورة فاطر : ١١ .

وقد قال تعـالى « ادعوني استجب لكم »[1] فاذا سأله العبد الزيـادة في العمر وغيره واجابه تعالى يكون قد محاما كتب لهأولا وأثبت غيره. وفائدة هذا توجه العبد الى الله عزوجل بالطلب والدعاء ونحو ذلك . فافهم هذا وتدبره فانه مهم في معرفة البداء والله تعالى اعلم .

وبه يندفع ما نسبه الينا من خالفنا من المعنى القبيح على أنهورد من طرق العامة بهذا المعنى . قال في النهـاية فيحديث الاقرع والابرص « بد الله ان يبتليهم » أي قضى بذلك ، وهو معنى البداء هنا - انتهى .

ولايخفى عليك ان ارادة البداء بالمعنى المقرر من هذا الحديث ظاهرة ، وان حمله على القضاء انما هو لتوهم المعنى القبيح وفهمه منه ، ومعه لايحتاج الى اخراجه عن معناه الى معنى آخر لايدل عليه هذا اللفظ ولاتركيبه .

[حديث الرد على القدرية]

ومن ذلك مـارواه الصدوق رضى الله عنه في الكتـاب المذكور في باب الاستطاعة باسناده عمن سأل ابا عبد الله عليه السلام فقال له : ان لى اهل بيت قدرية يقولون نستطيع أن نعمل كذا وكذا ونستطيع ان لا نعمل. قال: فقالابو عبد الله عليه السلام : قل له تستطيع أن لاتذكر ما تكره وان لاتنسى ماتحب ، فان قال لافقد ترك قوله وان قال نعم فلاتكلمه أبداً فقد ادعى الربوبية .

أقول: أحاديث هذا الباب وغيرها تدل على ثبوت الاستطاعة للعبد، ويظهر منهذا الحديثأنهم ادعوا الاستطاعة فى كلمايريدون ممايدخل تحته مثل هذا، بقرينة قوله عليهالسلام قلله كذا ، وقوله فان قال لا فقد ترك قوله وان قال نعم فلاتكلمه ـ الخ .

١) سورة غافر : ٦ .

ولم يتعرض لما هو من باب الاستطاعة التي تكون للعبد فيما يقول له ، لأن الاستطاعة الثابتة له من الله انما تكون فيما يتعلق بتكليف العبد ، فدعوى ثبوتها في غير ذلك باطلة ومن ادعى مثل ذلك كان مدعياً للربوبية . فان هذا ونحوه ليس من مقدور العبد ولا ممــا كلف به، فلامنافاة بين هذا الحديث ومادل على ثبوت الاستطاعة .

وفي هذا المقام كلام لصاحب المغرب في معنى القدرية قال : وأما القدرية فهم الفرقــة المجبرة الذين يثبتون كل الامر بقدر الله سبحانه وتعــالى وينسبون القبائح اليه سبحانه،وأماتسميتهم بذلك أهل العدل والتوحيد والتنزيه فمن تعكيسهم لان الشيء انماينسب اليه المثبت لا النافي ، ومن زعم انهم يثبتون القدر لانفسهم فكانوا به أولى فهوجاهل بكلام العرب ، فكأنهم لماسمعوا ماروي انه عليه السلام قال « القدرية مجوس هذه الامة » هربوا من الاسم وان كانوا قد ارتكبوا مسماه.

وعن الحسن عن حذيفة ان النبي عليه السلام قال « لعنت القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبياً . قال : قيل ومن القدرية يارسول الله ؟ قال : قوم يزعمون ان الله قدر عليهم المعاصي وعذبهم عليها .

وعن مالك : يستتاب القدرية . قال : يعني الجبرية .

وعن الحسن : ان الله بعث محمداً الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله ، وتصديقه في قوله تعالى « واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لايأمر بالفحشاء »[1] اعاذنا الله من المجازفة والمكابرة والالحاد في آياته تعالى ـ انتهى كلام المغرب .

ومما يصدقه قول أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الشيخ بعد منصرفه من صفين: وتظن انه كان قضاء حتماً وقدراً لازماً، انه لو كان كذلك لبطل الثواب

---

١) سورة الاعراف : ٢٨ .

والعقاب والأمر والنهي والزجر من الله وسقط معنى الوعد والوعيد ، فلم يكن لائمة للمذنب ولامحمدة للمحسن ، ولكان المذنب أولى بالاحسان من المحسن ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب تلك مقالة اخوان عبدة الاوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان وقدرية هذه الامة ومجوسها، ان الله تبارك وتعالى كلف تخييراً ونهى تحذيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً ولم يملك مفوضاً ولم يخلق السماوات والارض وما بينهما باطلا ولم يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثاً ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار .

وفي رواية أخرى للصدوق في كتاب التوحيد زيادة قوله : فقال الشيخ يا أمير المؤمنين فما القضاء والقدر اللذان ساقانا وما هبطنا وادياً ولا علونا تلعة الا بهما فقال امير المؤمنين عليه السلام: الامر من الله والحكم، ثم تلا هذه الاية «وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً »[1] أي امر ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً ـ الحديث ففيه دلالة على ان القدرية هم المجبرة .

واقول: انه خطر لي وجه في قوله عليه السلام «ولكان المذنب أولى بالاحسان» الخ ، وهو أنه لو كان الامر كذلك لكان هذا الفعل لايصدر عن عادل بل عن ظالم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، والمناسب بمن هذا شأنه عقوبة المحسن والاحسان الى المسيء اعمالا بمقتضى الظلم ، لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، فيكون المذنب أولى بالاحسان باعتبار فعل الظالم ، والمحسن أولى بالعقوبة لذلك . وهذا وجه لطيف .

وقد سئل بعضهم عن معنى الظلم فقال : هو أن تضع العصا موضع السيف والسيف موضع العصا ، وكلامنهما موضع الزجر بالكلام وعكسه .

---

١) سورة الاسراء : ٢٣ .

والحديث المذكور فيه أهل بيت قدرية لادلالة فيه على أن كل من يقول بالاستطاعة يكون قدرياً ، فان هذا وقع في كلام السائل وجوابه عليه السلام تعلق بما قالوه . وربما كان قول السائل قدرية من باب السب لهم لااخباراً عن اعتقادهم المقتضي لكونهم قدرية ، ولكن روى في باب القضاء والقدر من هذا الكتاب عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ان القدرية مجوس هذه الامة ، وهم الذين أرادوا ان يصفوا الله بعدله فأخرجوه من سلطانه ، وفيهم نزلت هذه الاية «يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * انا كل شيء خلقناه بقدر »[1] فقد دل هذا الحديث على أن منكري القدر قدرية .

ووجه الجمع بين هذا وما تقدم أن هذا يدل على ذم من أنكر القدر،وذاك دل على اثبات القدر على وجه لايكون للعبد فعل ويكون مجبوراً وان كلامنهما قدري مذموم ، وأما من قال بالقدر واثبت الاستطاعة للعبد وهو النمط الاوسط فهو خارج عن الامرين مثبت للقدر على وجه لاينافي الاستطاعة ولايستلزم الجبر والقدر، اما بمعنى علمه تعالى بمقادير الاشياء أو الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء كما فسره به الرضا عليه السلام او غير ذلك مما لايحصل منه الجبر .

وبالجملة فمقتضى الحديثين كون منكري القدر مجوساً ومثبتي القدر على وجه يستلزم الجبر وعدم الاستطاعة مجوساً ، وقد استفيد من الاخبار غير هذين الخبرين مذمة كل من يعتقد ذلك ، وحينئذ فقول راوي الحديث الاول « ان لي اهل بيت قدرية » الخ معناه ظاهر مما تقرر . واعتقاد المعتزلة ان كان موافقاً لما في الحديث الثاني من كون الاستطاعة من العبد لامن الله قبلت فيهم شهادة الجبرية كما تقبل شهادتهم في حق الجبرية بالمجوسية . والله تعالى اعلم .

---

١) سورة القمر : ٤٨ .

[حديث الاستطاعة بالله]

ومن ذلك ما رواه في الكتاب باسناده الى ابراهيم عليه السلام قال: مر امير المؤمنين عليه السلام بجماعة بالكوفة وهم يختصمون في القدر، فقال لمتكلمهم أبالله تستطيع أم مع الله ام من دون الله تستطيع، فلم يدر مايرد عليه، فقال امير المؤمنين عليه السلام: ان زعمت انك بالله تستطيع فليس لك من الامر شيء، وان زعمت انك مع الله تستطيع فقد زعمت انك شريك معه في ملكه، وان زعمت أنك من دون الله تستطيع فقد ادعيت الربوبية من دون الله عزوجل. فقال: يا امير المؤمنين بل بالله استطيع. فقال: أما انك لو قلت غير هذا لضربت عنقك.

اقول: معنى قوله عليه السلام بالله تستطيع بالاستطاعة التي أعطاك الله اياها، وحينئذ ليس له من الامر شيء، أي من الاستطاعة بحيث تكون من عنده، واذا كانت الاستطاعة منه تعالى وأعطاها لعبده ليعمل بها ويستعملها فيما يريد مما يكون مقدوراً له لاينافي ذلك الاختيار ولا يلزم منه الجبر كما يتوهمه من لم يتأمل هذا.

ومنه يظهر معنى الشركة واختصاص العبد بها وانهما شريكان، أوان العبد ادعى الربوبية يكون هذه الاستطاعة لم يخلقها له ولم يعطه اياها بل هو مستقل بها. ونحو هذا القدرة وغيرها، فان الانسان اذا فعل بقدرته شيئاً كان فعله بالقدرة التي اعطاه الله اياها وجعل له الاختيار في التصرف بها وليس للعبد في هذه القدرة صنع بل هي منه تعالى وحده، وقد منحه اياها يتصرف بها كيف شاء، فلا دلالة فيه على نفي الاستطاعة وفعل العبد.

ونظير هذا من أعار غيره آلة ليستعملها كيف شاء، فاستعملها كذلك، فهذا

الاستعمال لايدل على أنها له ولانه صار بالاستعمال شريكاً لصاحبها، بل انما استعمل آلة الغير وقد جعل له التصرف بالانتفاع بها .

فان قلت : تقدم في حديث آخر ما يدل على ان الله تعالى ملكه الاستطاعة، فلا يناسب التنظير بالعارية .

قلت : التنظير من حيث أن المملك له سلبها واخذها منه اذا أراد بحيث لايكلفه بدونها ، فاشبهت العارية وأشبه تمليكها تمليك منافع العارية ، ولو لم يكن من هذا القبيل لم يدل التمليك على ان للعبد في الاستطاعه صنعاً بل دل على عدمه . وهذا ظاهر والله اعلم .

[حديث الفرار من القضاء الى القدر]

ومن ذلك ما رواه في الكتاب بطريقه الى الاصبغ بن نباتة قال : ان أمير المؤمنين عليه السلام عدل من عند حائط مائل الى حائط آخر ، فقيل له : ياامير المؤمنين تفر من قضاء الله ؟ فقال : أفر من قضاء الله الى قدر الله عزوجل .

اقول : معناه انه كان من قدر الله أنه عليه السلام ينجو بالعدول ومن قضاء الله المعلق على أنه ان بقي اصابه ضرره وان عدل خلص من ضرره ، فقد قدر تعالى سلامته بذلك . وكذا كل من رأى سبب الهلاك ونحوه ففر منه .

ومن المعلوم ان كل احد قادر على القاء نفسه الى التهلكة ونحوها ، فاذا لم يفعل يكون قد فر من القضاء بالمعنى المذكور ، مع أنه يجب على كل مكلف الفرار من مثل هذا القضاء بالهرب والدفع عن النفس ونحوه ، فلا اشكال فيه . والله اعلم .

[حديث لاتسبوا الدهر]

ومن ذلك ما قيل انه ورد في الخبر : لاتسبوا الدهر فان الدهر هو الله[1].

اقول : على تقدير صحة الخبر معناه يحتاج فهمه الى تفصيل ، وهو انه قد تقرر أن بعض ما يحدث في الدهر من فعل الله سبحانه وبعضه من فعل غيره ، ومن المعلوم المقرر اتساع باب المجاز والاستعارات وورود ذلك كثيراً في القرآن وغيره ، فاذا كان الاثر منه تعالى كان سب الدهر كأنه سب له تعالى ، واذا كان من غيره لم يكن في سبه والشكاية منه حرج باعتبار وقوع ذلك فيه مجازاً .

ويوضح ذلك مالو كان لانسان ولدفمات بأجله فهذا ممالايجوز سب الدهر فيه ، ولو قتله قاتل وسب الدهر او حصلت الشكاية منه كانت الشكاية حقيقة ممن وقع منه ذلك في الدهر ، وقد اسند مثل « عيشة راضية » الى غير من هي له ، ونحوه « اسأل القرية » و«انبت الربيع البقل » وهو كثير .

وعلى الثاني يحمل ما نقله مصنفو مقتل الحسين عليه السلام كابن طاووس رحمه الله وابي مخنف لوط بن يحيى وغيرهما من أنه عليه السلام لماحمل على الاعداء أنشد هذه الابيات :

يا دهر أف لك من خليل ... كم لك بالاشراق والاصيل

من طالب بحقه قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل

الابيات ، فان الشكاية فيها من الدهر شكاية من أهله .

ومن هذا القبيل مذمة امير المؤمنين عليه الصلاة والسلام للدنيا وشكايته منها

١) نقل هذا الحديث السيد المرتضى رضي الله عنه في كتابه المجالس ، وقد رأيته بعدما كتبت ما هنا « منه » .

كما هو ظاهر لمن تتبع كلامه ، ولا يليق نسبة مثلهم الى الشكاية من الدهر باعتبار ماوقع فيه منه تعالى. وحمل الكلام على اطلاقه لايناسب مذهب اهل الحق ويرجع الى مسألة القضاء والقدر والجبر والاستطاعة ، ومذهب اهل الحق معلوم فيها.

وقد وقع كثيراً فى كلام العلماء والشعراء الشكاية من الدهر والزمان والدنيا والمعانى واحدة أومتقاربة وقد ذم تعالى من قال وما يهلكنا الاالدهر .

ومن لطيف ما قيل فى ذلك لمناسبة فى الجملة :

الدهر عندي لا محالة أحـول　　　فاسأل به من كان طبـاً عاقـلا
يرنو ليلحـظ عاقلا فيرده　　　حول بعينيـه فيلحـظ جاهلا

وقال آخر :

يا من عـلا و علـوه　　　اعجوبة بين البشـر
الـدهـر دولاب　　　وليس يدور الابالبقر

وقال ابن دريد رحمه الله :

لاتحسبن يا دهر أنـي ضارع　　　لنكبة تعرقنـى عـرق المـدى
مارست من لوهوت الافـلاك　　　من جوانب الجو عليه ما شكا

وقال آخر :

والدهر كالميزان يرفع كل ناقص

وقال آخر :

مستحدث النعمة لايرتجى　　　احشـاؤه مـملـوءة فقـر
جن له الدهر فنـال الغنى　　　ياويحـه ان عقـل الدهـر

ولولا الاطالة لنقلت كثيراً من ذلك . والله اعلم .

|حديث رؤية الهلال قبل الزوال|

ومن ذلك ما رواه الشيخ رضى الله عنه في الاستبصار بطريقه الى محمدبن عيسى قال : كتبت اليه عليه السلام جعلت فداك ربما غم علينا هلال شهر رمضان فنرى من الغد الهلال قبل الزوال ، وربما رأيناه بعد الزوال، فترى أن نفطر قبل الزوال اذا رأيناه ام لا كيف تأمر في ذلك . فكتب عليه السلام : تتم الى الليل فانه ان كان تاماً رؤي قبل الزوال .

اقول هذا يحتمل وجهين :

احدهما : وهو الأظهر باعتبار اضافة الهلال الى شهر رمضان أن يكون المعنى انه اذا صام الانسان ذلك اليوم على انه اول شهر رمضان أو محتمل لذلك ثم رؤي الهلال فيه قبل الزوال هل يجوز افطاره بناء على كونه من غير شهر رمضان أم لا بناء على كونه منه بسبب رؤية الهلال ؟

وجوابه عليه السلام على هذا حاصله انه اذا كان شهر رمضان تاماً رؤى هلاله فى أوله قبل الزوال فلا ينبغى افطاره .

الثانى : ان تكون الاضافة الى شهر رمضان المراد منها هلال شوال ، والاضافة يكفى فيها ادنى ملابسة ، ومعنى الجواب حينئذ انه لاينبغى الافطار ، فان شهر رمضان اذا كان تاماً رؤي هلال شوال فيه قبل الزوال ، فيكون ذلك اليوم من شهررمضان . وكأن هذا اقرب والله اعلم .

|حديث فرار موسى من أمه|

ومن ذلك حديث نقله الصدوق رضى الله عنه وأظنه فى كتاب العلل فى معنى قوله

تعالى« يوم يفر المرء من اخيه * وامه وابيه »[1] الاية . وفيه ان الذى يفر من أمه موسى عليه السلام .

وقد خطر لي فيه وجه ، وهو أن الانبياء عليهم السلام فيهم من الطباع البشرية ما فى غيرهم فى الجملة ، وموسى عليه السلام لما ألقته امه فى اليم ربما خطر بباله وقوع ذلك منها فيفر لذلك .

ويؤيد هذا قوله تعالى « يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى * فأوجس فى نفسه خيفة موسى »[2] فقد خاف ممالا حقيقة له باعتبار غلبة الطبع البشرى. والله تعالى اعلم .

ابيات للمؤلف فى المعمى

ومن ذلك من جملة مانظمته فى عنفوان الشباب أبيات من باب المعمى منها بيتان فى اسم مراد :

يا كاملا فى هواه   اتفقت روحى ومالى
أردت سقم فؤاد   اذ لات حين وصال

ومنها بيتان فى اسم سليمان :

ايام حسنك كم أودى بها دنف   مثلى و كم ثم قلب فيك قدعلقا
يا من لهفى فؤادى منزل حسن   رحب اذا يدعيه الغير ماصدقا

ومنها فى اسم مروان :

وقائلة هل أنت مضنى بحاجبى   ام الثغر ام اضناك هجر الحبائب
فقلت لها جودى بوصلك واتركى   حديثاً مضى مابين ثغر وحاجب

١) سورة عبس : ٣٤ ــ ٣٥ .

٢) سورة طه : ٦٦ ــ ٦٧ .

حل الأول بحسب اصطلاحات اهل المعمى العربى : أن اردت رديفهرمت وسقم رديفه فى الجملة داء وفؤاد رديفه قلب ، والمراد بالقلب العكس فى كل من رمت وداء ، فاذا اسقطت التاء من رمت حين وصال مرباد حصل مراد .

وحل الثانى ان المراد عددكم وهو ستون والسين بستين ، والمراد بكم ثم قلب نقص ثم المقلوبة من مثلى فقد حصلت السين واللام والياء من مثلى بعد نقص ما ذكر ، وتتمة الاسم تحصل من ما صدق فانه بمعنى كذب ورديف كذب مان .

وحل الثالث ان المراد بالثغر الميم وبالحاجب النون والحديث الماضى حدث ورديف حدث روى ، فاذا ترك أى وضع روى مابين الميم والنون صار مروان .

ولم يتفق لاحد من اهل هذه الصناعة حل الابيات المذكورة فلهذا ذكرت حلها .

[حديث النافلة التى تزاحم الفريضة]

ومن ذلك ما رواه الشيخ رضى الله عنه فى التهذيب بسنده الى اسماعيل بن عيسى قال : سألت الرضا عليه السلام عن الرجل يصلى الأولى ثم يتنفل فيدركه وقت العصر من قبل أن يفرغ من نافلته فيبطى بالعصر ثم يقضى نافلته بعد العصر أو يؤخرها حتى يصليها فى وقت آخر ؟ قال : يصلى العصر ويقضي نافلته فى يوم آخر .

أقول : لايبعد ان يكون فيبطىء محرفاً والأصل فيبتدىء فانه قريب منه فى الصورة . وهذا موافق لنظم السؤال وموافقة الجواب له .

ويؤيده فى الجملة تكرير « ابدأ » فى احاديث الباب ، وأما يبطىء فلايكاد يتصور له معنى خال من التكلف ، وغاية ما يتكلف له أن يكون المعنى فيتم

النافلة ويبطى بالعصر حينئذ ثم يقضيها بعد أن صلاها . ويكون السائل ظن أو توهم أن مثل ذلك جائز من حيث أنه لما شرع فيها لزمه ان يتمها ثم يقضيها.

أو يقال ان ثم بفتح المثلثة والمعنى فيبطى بالعصر لو أتم النافلة فيؤخرها عن وقت الفضيلة أيقضى نافلته بعد العصر في هذه الصورة او يؤخرها ـ الخ .

وقوله عليه السلام « ويقضى نافلته في يوم آخر » ربما كان وجهه ان القضاء لما كان بمعنى الاتيان بالفعل من قبيل « فاذا قضيت الصلاة » وبمعنى القضاء المعلوم ، كان ذكر اليوم الآخر لدفع توهم ارادة المعنى الأول . والله اعلم.

[حديث مجاري العيون]

ومن ذلك ما ورد في بعض الأخبار ان مجاري العيون مع مهب الشمال.

اقول : خطر لي توجيه لذلك ، وهو أنه قد تقرر ان جهة الشمال باردة يابسة وجهة الجنوب حارة رطبة ، فسيلانه الى جهة الجنوب لموافقته لما ذكر كما لو وضعت قطعة من الماء الجامد في مكان وكان في احدى الجهات نار قريبة منها فان الماء يسيل منها الى جهتها .

ويمكن اعتبار وجه آخر ، وهو أن الله سبحانه جعل بمقتضى حكمته للشمس والقمر تأثيراً في العالم السفلي بحيث يكون له بهما تمام التعلق ، وتأثيرهما في ذلك ظاهر ، ومن ذلك مايظهر من توجه ورق الاشجار والنبات وميله الى جهة الشمس ونموه بمشاهدتها ، فالماء يمكن أن يكون من هذا القبيل ، ومن المعلوم أن الشمس لاتتجاوز الميل الكلي من منطقة البروج ، فما تجاوز مسامته تمام الميل من جهة الشمال يكون طالباً جهة الشمس ، ولما كانت تنتهي الى الميل الجنوبي مع كون المعمور شمالياً عن خط الاستواء الا ماقل[1] كان ماعدا ما تجاوز الميل الشمالي

---

١) احترز بما قل عن بعض أطراف الزنج والحبشة ، فانه لا يزيد عرضها عن ثلاث درجات « منه » .

متوجهاً الى جهتها ايضاً ، فلهذا كان الماء يجرى من الشمال الى الجنوب، فما كان جارياً علىوجه الارض وجهه على هذاظاهر ، ولايبعد ان يكون ما فى بطن الارض طالباً للجهة المذكورة .

ومما يقرب ذلك انك ترى شجرة مغروسة فى مكان لاتقابل فيه الشمسفلا تزال تمتد طلباً لمشاهدتها وان لم تشاهدها ، وترى شجرة قريبة من حائط تميل عن جهته طلباً لذلك ، وتأثير القمر على نحوذلك . ولم أر من تعـرض لذكر هذين الوجهين والله تعالى اعلم .

[قول الصدوق وينام فى المسجد]

ومن ذلك قول الصدوق طاب ثراه فى الفقيه فى أحكام الجنب : وينام فى المسجد ويمر فيه .

اقول : ينسب الى الشيخ بهاء الدين طاب ثراه انه حمله على النوم حـال العبور من غيرلبث، وهذا بعيد .

وقد خطر لىوجه كتبته فى حواشىالفقيه ، وهو أنه مبنى على جوازاللبث فى المسجد للمتيمم ، فمادامًمستيقظاً كانلبثه جائزاًواذا نام ارتفع عنهالتكليف. فتأمـل .

[وجه تغطية الرأس وقت التخلى]

ومن ذلك ماذكره علماؤنا رضوان الله عليهم من تعليل تغطية الرأس وقت التخلى بالحذر من وصول الرائحة الخبيثة الى دماغه .

اقول : يمكن أن يقال فى وجه وصول الرائحة الى الدمـاغ مع الكشف وعدم وصولها مع التغطية ان الشعر له مسام ينفذ منها البخار ونحوه ، فاذاكان

مكشوفاً دخلت الرائحة الى الدماغ بخلاف ما اذا كان مغطى فان المسام تكون حينئذ مسدودة بالغطاء .

ويدلك على ذلك ما اذا كان لمكان بابان فانه بذلك يتحرك الهواء وينفذ ، بخلاف الباب الواحد . والله اعلم .

[حديث ان العلماء ورثة الانبياء]

ومن ذلك ما رواه محمد بن يعقوب رضي الله عنه في الكافي أن العلماء ورثة الانبياء ، وذاك انالانبياء لمبورثوا درهماً ولادينارا وانمااورثوا أحاديثمن احاديثهم، فمن اخذ بشيء منها فقد اخذ حظاً وافراً .

أقول : قدذكرت مايتعلق بمعنى هذا الحديث فيشرح اصول الكافي وهو الدرالمنظوم من كلام المعصوم وحاصله : ان هذا الحديث يدل على خلافما ادعى من معنى قوله صلىالله عليه وآله « نحن معاشرالانبياء لانورث » ، وذلك لانه عليهالسلام لما قال : ان العلماء ورثة الانبياء ربما توهم من هذا الكلام ان الانبياء لايورثون صاحب الميراث المالي ، فاستأنف عليه السلام ذلك وعلله بقوله « وذاك ان الانبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً » الخ . ومعناه ان الوارث هنا انما يرث وان كان اجنبياً من حيث النسب ، لان الانبياء لم يتركوا لوارث المال شيئاً مما ذكر يصل اليه بالميراث النسبي ونحوه حتى يكون مختصاًبهم بل ورثوا احاديث من احاديثهم ، وذلك لايختص به الوارث للمال .

وحمل التوريث علىماذكرهو الذى يقتضيه المقام وسياق الكلام ، فلايرد انه عدل عن غيره مع احتمالهما اوظهورالمعنى الآخر .

والدرهم والدينار يحتمل أن يكون المراد بهما النوعان ، وان يكونا كناية عن المتروكات أوعن الشيء المعتد به .

وان ثبت توريث بعض الانبياءعلى احد الاوجه أجيب ببعضهااو بتخصيص العام وان الحكم باعتبار الاغلب ، وطلب فاطمة عليها السلام الميراث يمكن أن يكون طلباً لحقها من هذه الجهة حيث منعت من غيرها .

قال والدي طاب ثراه : قد يقال انهذا الخبر يدل على مادعى لاجل منع فاطمة عليهاالسلام ، والحال ان الاصحاب لم يتوجهوا اليه. ويمكن الجواب بأن المراد نفي التوريث من حيث النبوة ، وأما من حيث غيرها فالميراث منهم ، ويدل عليه ارث العلماء منهم فانه انما يتعلق من حيث النبوة ، حيث ان العلماء ورثة الانبياءفي هذا الخبر، فلماذكرعليهالسلام ذلك أراد نفي ارادة توريث المال بل العلم ـ انتهى كلامه أعلى الله مقامه .

رأيته بعد ماكتبت مضمون ماتقدم في حاشية المعالم .

[الاضداد اللغوية]

ومن ذلك ماانتخبته مختصراً من كتاب الاضداد للصغاني :

(الالف)

المأتم : للنساء المجتمعات على الحزن وعلى الفرح .

الازر : القوة والضعف .

اسد : اذا جزع وجبن واذا جسر كالاسد .

افد : اذا اسرع واذا ابطأ .

الا : اذ جهد واذ قصر .

امر اصم : اذا كان صغيراً واذا كان كبيراً .

لا ام له : يكون مدحاً ويكون ذماً .

الامة الواحد الصالح والجماعة .

الامين المؤتمن والمؤتمن .

امرأة أيم : اذا كانت بكراً لم تتزوج واذا مات عنها زوجها .

(الباء)

ابتر : اذا اعطى واذا منع .

البتر : القليل والكثير .

برح : اذا ظهر واذا استتر .

برد برد واسخن .

البسل الحلال والحرام .

البطانة : البطانة والظهارة .

بعد بمعنى بعد وبمعنى قبل .

بعض الشيء بعضه وكله .

البكر التى لم يدخل بها والتي دخل بها .

بلج بشهادته كتمها واظهرها .

البلهاء الناقص العقل والكاملة .

بان عاش واذا هلك .

بيضة البلد مثل فى المدح والذم .

بعت الشيء وابتعته اذا بعته واذا اشتريته .

البين الوصل والقطع .

(التـاء)

التبيع التابع والمتبوع .

ترب كثر ماله وقل .

التلعة ما ارتفع وما انحدر من الارض .

(الجيـم)

جبا طلع واستتر .

جد: أعطى وسأل.

الجعفر النهر الكبير والصغير .

جفأت الباب واجفأته : اذا فتحته واذا أغلقته .

الجلل الصغير والكبير .

اجل ضعف وقوى .

الجن: الجن والملائكة .

الجون الابيض والاسود .

(الحـاء)

حرس الشيء حفظه وسرقه من المرعى .

الحرف الناقة العظيمة والمهزولة .

حسب شك وايقن .

الاحمر الاحمر والابيض .

الحميم الماء الحارد والبارد .

الاحوى الاخضر والاسود .

(الخـاء)

خبت النار: اذاسكنت واذا حميت .

الخجل المرح والكسل .

الاخضر الاخضر والاسود .

الاخفاء الاظهار والكتمان .

خلت بمعنى الشك وبمعنى اليقين .

(الدال)

دون بمعنى تحت وفوق .

(الراء)

الرجا والارتجا الخوف والطمع .

مرحبا بفلان اذا ارادوا قربه واذا لم يريدوا قربه .

ارديته اهلكته واعنته .

الرس الاصلاح والافساد .

الركوب الراكب والمركوب .

رنق اذا كدر واذا صفى .

اراح الرجل اذا مات واذا استراح .

(الزاي)

الزبية الحفرة والمكان المرتفع .

الزوج الزوج والفرد .

الزاهق السمين والمهزول .

زال المكروه اذا تنحى وزاله اذا نحاه .

(السين)

سبد شعره اذا حلقه واستأصله واذا اكثره وطوله .

الساجد المنحني والمنتصب .

المسجود: المملوء والفارغ .

سجرت البحار ملئت وفرغت .

الساحر المذموم المفسد والمحمود العالم .

السدفة الظلمة والضوء .

أسررت أظهرت وكتمت .

الساقب القريب والبعيد .

السليم السالم والملدوغ .

الاسود الاسود والابيض .

سمته بعيرى اذا عرضته ليشتريه، وسمته بعيره اذا اردت اشتراه منه، وكذلك استمته .

سوى الشيء نفسه وغيره .

(الشين)

المشب المسن والشاب .

الشجاع القوى والضعيف .

الاشراط الاشراف والاراذل .

الشرف الارتفاع والانحدار .

الشراء والاشتراء الشرى والبيع .

الشعب الجمع والتفريق .

الشف الفضل والنقصان .

اشكيته الجأته الى الشكاية وازلتها عنه .

الشمم القرب والبعد .

امرأة شوهاء حسنة وقبيحة وواسعة الفم وصغيرته .

(الصاد)

تصدق اذا اعطى واذا سأل .

الصارخ المغيث والمستغيث .

الصريم الليل والصبح .

صرى اذا جمع واذا قطع واذا تقدم واذا تأخر واذا علا واذا سفل .

الصلاة مسجد المسلمين وكنيسة اليهود .

(الضاد)

الضد الخلاف والمثل .

ضعف الشيء مثله ومثلاه .

ضاع الشيء غاب وفقد وظهر وتبين .

(الطاء)

الطرب الحزن والفرح .

الطاعم الكاسي للفاعل والمفعول .

اطلبه اعطاه ماطلب والجأه الى الطلب .

طلع طالع وغاب .

طل دمه اذا بطل وطل فلان دمه اذا ابطله .

طمر اذا علا واذا سفل .

(الظاء)

المتظلم الظالم والمظلوم .

الظن اليقين والشك .

الظهري المعين والمطرح الذى لايلتفت اليه .

الظهارة الظهارة والبطانه .

(العين)

اعتذر اتى بعذر واذا لم يأت به .

عزرته اكرمته ولمته .

عزرته ادبته وعظمته .

العسعسة اقبال ظلمة الليل وادبارها .

العاصم العاصم والمعصوم .

عفا كثر ودرس .

اعقل الرجلين اذا كانا عاقلين ، واحدهما اكثر عقلا ، واذا كان احدهما احمـق .

اعند صاحبه عارضه بالخلاف والوفاق .

(الغيـن)

الغابر الماضى والباقى .

الغريم الطالب والمطلوب .

(الفـاء)

المفجوع المفجوع والفاجع .

افرطته اذا قدمته واذا أخرته .

افرع وفرع اذا صعد واذا انحدر .

تفكه تلذذ وتندم .

فازنجا وهلك .

والمفاوزه المنجاة والمهلكة .

فوق اعلى ودون .

افاد مالا استفاده وافادمالا اذا كسبه غيره .

(القاف)

القرء الحيض والطهر .

قرظ مدح وذم .

القريع الكريم والمرذول .

المقرن القوى والضعيف .

قرع اسرع وابطأ .

قسط جار وعدل .

القشيب الجديد والخلق .

استقصيت الحديث اذا اختصرته واذا لم تدع منه شيئاً .

قعد اذا قعد واذا قام .

القانع الراضي بما قسم له والسائل .

القنوع الصعود والهبوط .

المقوي الكثير المال والذي لامال له .

(الكاف)

الكأس الاناء الذي يشرب فيه والماء المشروب .

الكري المستأجر والمستأجر .

الطاعم الكاسي اذا كانا فاعلين واذا كانا مفعولين .

كل بمعنى كل وبمعنى بعض .

كان للماضي وللمستقبل .

(اللام)

اللحن الخطأ والصواب .

لطع اسمه اثبته ومحاه .

(الميم)

المسيح عيسى عليه السلام والدجال .

(النون)

نؤت بالحمل اذا نهضت به وناءبي الحمل ايضاً .

الندا، الضد والمثل .

نسيت غفلت عن الشيء وتركته متعمداً .

النقد الكبار من رذال الضأن والصغار منه .

الناهل العطشان والريان .

الناس من الانس ومن الجن .

النائمة الميتة والحية .

(الواو)

وثب قام وجلس .

اودعته اعطيته مالا وديعة وقبلت وديعته .

اوزعته اغريته ونهيته .

الوصي الذي يوصي والذي يوصى اليه .

المولى المنعم والمنعم عليه .

الوامق المحب والمحب .

(الهاء)

الهاجد والمتهجد المصلي والنائم .

هجد نوم واسهر هوى اذا صعد واذا نزل .

[الافعال التي هي بالواو والياء]

ومن ذلك ما احببت نقله في هذا الكتاب وهو الافعال التي جاءت لاماتها بالواو والياء، وقد عقد لها ابن السكيت باباً في اصلاح المنطق وابن قتيبة باباً

في ادب الكاتب ، ولا يخلو المنتسخ منه من سقم فينبغي مراجعة بعض ألفاظه
وقد نظمها ابن مالك فقال :

قل ان نسيت عزوته وعزيته ... وكنوت احمد كنية وكنيته
وطفوت في معنى طفيت ومن قنى ... شيئاً يقول قنوته وقنيته
ولحوت عودى قاشراً كلحيته ... وحنوته عوجته كحنيته
وقلوته بالنار مثل قليته ... ورثوت خلا مات مثل رثيته
واثوت مثل اثيت قله لمن وشى ... وشأوته كسبقته وشأيته
وصغوت مثل صغيت نحو محدثي ... وحلوته بالحلى مثل حليته
وسخوت ناري موقداً كسخيتها ... وطهوت لحماً طابخاً كطهيته
وجبوت مال جهاتنا كجبيته ... وخزوته كزجرته وخزيته
وزقوت مثل زقيت قله لطائر ... ومحوت خط الطرس مثل محيته
أحثو لحثي الترب قل بهما معاً ... وسحوت ذاك الطين مثل سحيته
وكذا طلوت طلي الطلى كطليته ... ونقوت مخ عظامه كنقيته
وهذوتم كهذيتم في قولكم ... وكذا السقا مأوته ومأيته
مالى نما ينمو وينمى زاد لى ... وحشوت عدلى ناقتى كحشيته
واتوت مثل اتيت جئت فقلهما ... وفي الاختبار منوته كمنيته
ونحوته ونحيته كقصدته ... فاعجب لبرد فضيله وشتيته
واسوت مثل اسيت صلحاً بينهم ... واسوت جرحي والمريض اسيته
ياء وواو للحليب خثوره ... واذوت مثل حلبته واذيته
وبأوت ان تفخر بأيت وان تكن ... من ذاك ابهى قل بهوت بهيته
والسيف اجلوه واجليه معاً ... وغطوته وغطيته غطيته
وجأوت برمتنا كذاك جأيتها ... وحكوت فعل المرء مثل حكيته

ونجوت مثل نجيت قل متفطناً ... و دأوته كختلته و دأيته
وخفاؤه وخفاته لطفاً به ... و حبوته و حبيته اعطيته
وحزوت مثل حزيت حينك مسرعاً ... و دهوته بمصيبة و دهيته
ومعا اذا اعترض السحاب بروقه ... ودحوت مثل بسطته ودحيته
ودنوت مثل دنيت قد حكيا معاً ... وكذاك يحكى فى شكوت شكيته
واذا ما كل باب مالهم ذرا ... وذروت بالشيء الصبا وذريته
وكذا اذا ذرت الرياح ترابها ... وذروت شيئاً قله مثل ذريته
واو وياء ذاحين يسرع غاية ... وفتحت فى سحوته وسحيته
ووطوتها ووطيتها جامعتها ... واذا انتظرت بقوته وبقيته
وربوت مثل ربيت فيهم ناشياً ... وبغوت جرماً جاء مثل بغيته
وسأوت ثوبى قل سأيت مددته ... وشروت اعنى الثوب مثل شريته
وكذا سنت تسنو وتسنى نوقنا ... ونجا بنا ورعوته ورعيته
والضحو والضحى البروز لشمسنا ... وعشوته المأكول مثل عشيته
ظبو وظبى غيرته النار او ... شمس كذابهما مصوت رويته
وطبوته عن رأيه وطبيته ... و كذا طبوت صبيئنا وطبيته
والله يطحو الارض يطحيها معاً ... و طحوته كدفعته وطحيته
يطمو ويطمى الشيء عند علوه ... وفأوت رأس الشيء مثل فأيته
عنواً وعنياً حين تنبت ارضنا ... وكذا الكتاب عنوته وعنيته
عجواً وعجياً ارضعت فى مهلة ... وفلوته من قمله وفليته
عمواً وعمياً حين يسقف بيته ... و غطوته ألممته وغطيته
غفواً اذا ما نمت قل هو غفية ... وقفوت جئت وراءه وقفيته
وعدوت للعدو الشديد عديت قل ... بهما كروت النهر مثل كريته

نضـواً ونضيـاً جئتـه متستـراً ... ولصـوتـه كقـذفتـه ولصيتـه
ومشوت ناقتنا كـذاك مشيتها ... واذا قصدت نحوته ونحيته
ومقوت طستي قـل مقيت جلوتـه ... واذا طليت عروته وعريته
ونأوت مثل نأيت حين بعدت عن ... وطني وعودى قـل بروت بريتـه
ونسوت مثل نسيت نشر حديثهم ... وكذا الصبى غذوتـه وغذيتـه
لغو ولغي الكلام وهكـذا ... خفو وخفي قادر ما ابديته
عيني همت تهمو وتهمى دمعها ... وحموته المأكول مثل حميته

[نبذة مستحبة من لباب الاداب]

ومن ذلك نبذة مختصرة مختارة من كتاب لباب الأداب للثعالبي وبضعهامن كتاب سر الادب له ايضاً :

الجموح الذي يركب رأسه لايثنيه شيء، وهذا من الجماح الذي يردمنه بالعيب . والجموح النشيط السريع ، وذلك ممدوح .

المطية اسم جامع لكل مايمتطى من الابل، فاذا اختارها الرجل لمركبه على النجابة وتمام الخلق وحسن المنظر فهي راحلة ، وفي الحديث « الناس كأبل مائة لاتكاد تجد فيها راحلة » .

اذا سار القوم ليلا ونزلوا نهاراً فهو الاسآد ، فاذا ساروا نهاراً ونزلوا ليلا فهو التأويب، فاذا ساروا من اول الليل فهو الادلاج ، فاذا ساروا من آخر الليل فهو الادلاج بتشديد الدال ، فاذا ساروا مع الصبح فهو التغليس ، فاذا نزلوا للاستراحة في نصف النهار فهو التغزير، فاذانزلوافي نصف الليل فهو التعريس .

ترتيب احوال اللبن عن الائمة : اول اللبن اللبائم الصريف فاذاسكنت رغوته فهو الصريح ، فاذاخثر فهو الرائب ، فاذا أخذ اللسان فهو القارص ، فاذا مخض واستخرجت منه الزبدة فهو المخيض ، فـاذا حلب بعضه على بعض من ألبان

شتى فهو الضريب .

الجمـوع التى لاواحد لها من بناء جمعها النسا الابل الخيـل الفور وهو الظبـاء الصور الحابس وهو جماع النخل المساوى المحاسن المقابح المقاليد الابابيل المذاكير المسام .

ثوب شف اذا كان رقيقاً يستشف منه ماوراه ، ثم سابرى اذا كان لابسه بين المكشي والصريان ، ومنه قيل « عرض سابرى » ، ثم لهله اذا كان نهاية في رقة النسـج .

الدرع مذكر للنساء خاصة ، فأما درع الحديد فمؤنثة .

القى الأرض القفر .

المرمر حجرالرخام. الصيداء حجر ابيض يتخذمنه البرام .

من سنن العرب ان تقول رأيت زيداً وعمراً وسلمت عليه اى عليهما، قال الله عز ذكره « والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله »[١] تقدير الكلام ولاينفقونهما ــ انتهى .

اقول : يمكن ارجاع الضمير الى الكنوز المفهوم من يكنزون نحو قوله تعالى « اعدلوا هو اقرب »[٢].

قال و كما قال الله تعالى « واذا رأوا تجارةاو لهواً انفضوا اليها »[٣] وتقديره اليهما ــ انتهى .

اقول : يمكن ارجاع الضمير الى الرؤية كالسـابق بتقدير مضاف ، نحو « اسأل القرية »[٤].

---

١) سورة التوبة : ٣٤ .

٢) سورة المائدة : ٨ .

٣) سورة الجمعة : ١١ .

٤) سورة يوسف : ٨٢ .

من سنن العرب اذا ذكرت شئين من اثنين ان تجريهما مجرى الجمع نحو الحسنين عليهمـا السلام ، وكما قـال عز ذكره « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما »[1] ولم يقل قلباكما ، وكما قال « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما »[2] ولم يقل يديهما اقامة الواحد مقام الجمع .

من سنن العرب تقول قررنا به عيناً اى أعيناً ، وفى القرآن « فان طبن لكم عن شيء منه نفساً »[3] اي انفساً « ثم يخرجكم طفلا »[4] اى اطفالا « وكم من ملك فى السمـاوات لاتغنى شفاعتهم شيئـاً »[5] اى كم من ملائكة « فانهم عدولي »[6] و« هؤلاء ضيفي »[7] ولم يقل اعدائى ولا اضيـافى « لانفرق بين احد منهم »[8] والتفريق لايكون الا بين اثنين ، والتقدير لانفرق بينهم « يا ايها النبى اذا طلقتم النساء »[9] و« ان كنتم جنباً فاطهروا »[10] « والملائكة بعد ذلك ظهير »[11] ، ويقولون للرجل العظيم والملك الكبير انظروا فى امرى لان السادة والملوك يقولون نحن فعلنا وانا امرنا ، فعلى قضية هذا الابتداء يخاطبون فى الجواب كما قـال تعالى عمن حضره الموت « رب ارجعون »[12] يراد بالجمع الواحد .

---

١) سورة التحريم : ٤ .
٢) سورة المائدة : ٣٨ .
٣) سورة النساء : ٤ .
٤) سورة غافر : ٦٨ .
٥) سورة النجم : ٢٦ .
٦) سورة الشعراء : ٧٧ .
٧) سورة الحجر : ٦٨ .
٨) سورة البقرة : ١٣٦ .
٩) سورة الطلاق : ١ .
١٠) سورة المائدة : ٦ .
١١) سورة التحريم : ٤ .
١٢) سورة المؤمنون : ٩٩ .

من سنن العرب الاتيان بذلك ، كما قـال عز ذكره « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله »[1] وانما اراد المسجد الحرام « واذ قتلتم نفساً »[2] والقاتل واحد، تقول العرب سر كاتم اي مكتوم، مكان عامر اى معمور، وفى القرآن « لاعاصم اليوم »[3] اى لامعصوم « خلق من مـاء دافق »[4] اى مدفوق « عيشة راضية »[5] اى مرضية « حرماً آمناً »[6] اي مأمونا فيه عكسه « كان وعده مأتياً »[7] اي آتياً « حجاباً مستوراً »[8] اى ساتراً، اجراء الاثنين مجرى الجمع « هذان خصمان اختصموا »[9].

من سنن العرب تذكير المونث وتأنيث المذكر « وقال نسوة »[10] «وقالت الاعراب »[11] حمل اللفظ على المعنى فى تذكير المؤنث وتأنيث المذكر .

من سنن العرب كما يقولون ثلاثة أنفس على معنى الشخص أو الانسان، وقال عمر بن عبد الله بن ابى ربيعة :

فكان مجني دون من كنت اتقى ثلاث شخوص كأعبان ومعصر

فحمل على انهن نساء ، وقال الأعشى :

شرابهم قبل تنقادها انت الشراب

---

١) سورة التوبة : ١٧ .

٢) سورة البقرة : ٧٢ .

٣) سورة هود : ٤٣ .

٤) سورة الطارق : ٦ .

٥) سورة الحاقة : ٢١ .

٦) سورة القصص : ٥٧ .

٧) سورة مريم : ٦١ .

٨) سورة الاسراء : ٤٥ .

٩) سورة الحج : ١٩ .

١٠) سورة يوسف : ٣٠ .

١١) سورة الحجرات : ٤٠ .

لكونه في معنى الخمر ، كما ذكر الكف وهي مؤنثة في قوله :

أرى رجلا منهم اسف كأنما   يضم الى كشحيه كفاً مخضبا

فحمل الكلام على العضو ، وقال تعالى « وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً »[1] وهو مذكر ثم قال « اذا رأتهم من مكان بعيد »[2] فحمله على النار « فأحيينا به بلدة ميتاً »[3] حملا على المكان « والسماء منفطر به »[4] حملا على السقف .

العرب تزيد وتحذف حفظاً للتوازن كما قال تعالى « وتظنون بالله الظنوناً »[5] « فأضلونا السبيلا »[6] « والليل اذا يسر »[7] « الكبير المتعال »[8] « ويوم التلاق »[9] « ويوم التناد »[10] قال لبيد :

وبأذن الله ريثي وعجل

وقال الأعشى :

اذا ماذهبت له انكرن

العرب تقول مافعلتما يافلان ، وفي القرآن « من ربكما ياموسى »[11] « ولا يخرجنكما من الجنة فتشقى »[12] .

---

١) سورة الفرقان : ١١ .

٢) سورة الفرقان : ١٢ .

٣) سورة ق : ١١ .

٤) سورة المزمل : ١٨ .

٥) سورة الاحزاب : ١٠ .

٦) سورة الاحزاب : ٦٧ .

٧) سورة الفجر : ٤ .

٨) سورة الرعد : ٩ .

٩) سورة غافر : ١٥ .

١٠) سورة غافر : ٣٢ .

١١) سورة طه : ٤٩ .

١٢) سورة طه : ١١٧ .

من سنن العرب اضافة الشيء الى صفته ، تقول صلاة الاولى ومسجد الجامع وكتاب الكامل وحماد عجرد وعنقاء مغرب ويوم الجمعة ، وفي القرآن « ولدار الاخرة خير »[1] « ان هذا لهو حق اليقين »[2].

من سنن العرب الغاء جواب لو اكتفاء بما يدل عليه الكلام ، قال الشاعر :

وجدك لو شيء أتانا رسوله   سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

اى لو اتانا رسول سواك لدفعناه ، وفي القرآن « لو أن لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد »[3] اى لكنت اكف اذاكم عنى « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال »[4] الاية ، أي لكان هذا القرآن .

السبيل يذكر ويؤنث ، وقد وقع في القرآن ، وكذا الطاغوت « يتخذوه سبيلا »[5] « هذه سبيلى »[6] « يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به »[7] « والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها »[8].

الذى يقع على الواحد والجمع الفلك وجنب والعدو والضيف ، قال تعالى « الفلك المشحون »[9] و « الفلك التى تجري »[10] « فانهم عدو لي »[11] « فان كان من

١) سورة يوسف : ١٠٩ .
٢) سورة الواقعة : ٩٥ .
٣) سورة هود : ٨٠ .
٤) سورة الرعد : ٣١ .
٥) سورة الاعراف : ١٤٣ .
٦) سورة يوسف : ١٠٨ .
٧) سورة النساء : ٦٠ .
٨) سورة الزمر : ٧٠ .
٩) سورة الشعراء : ١١٩ .
١٠) سورة البقرة : ١٦٤ .
١١) سورة الشعراء : ٧٧ .

قوم عدو لكم »[1] « هؤلاء ضيفي »[2].

الاخبار عن الجماعتين بلفظ الاثنين كقوله تعالى « ان السماوات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما »[3].

اللازم بالالف والمتعدي بغير الف التعدية : أقشع الغيم وقشعته الريح ، انزفت البئر ذهب ماؤها ونزفناها نحن ، أنسل ريش الطائر ونسلته ، اكب على وجهه وكببته انا. وفي القرآن « أفمن يمشي مكباً على وجهه »[4] « فكتب وجوههم في النار »[5].

قال ابو عبيدة : لا من حروف الزوائد لتتمة الكلام ، والمعنى الغاؤها كما قال عز ذكره « غير المغضوب عليهم ولا الضالين »[6] وكما قال زهير :

مورث المجد لايغتال همته عن الرئاسة لاعجز ولا سأم

اى عجز وسأم ، وفي القرآن « ما منعك ألا تسجد »[7].

الباء تكون بمعنى حيث ، كقولهم أنت بالمجرب اى حيث التجريب، وفي كتاب الله عزذكره « ولا تحسبنهم بمفازة من العذاب »[8] اى حيث يفوزون .

---

١) سورة النساء : ٩٢ .

٢) سورة الحجر : ٦٨ .

٣) سورة الانبياء : ٣٠ .

٤) سورة الملك : ٢٢ .

٥) سورة النمل : ١٩ .

٦) سورة الفاتحة : ٧ .

٧) سورة الاعراف : ١٢ .

٨) سورة آل عمران : ١٨٨ .

اللام تكون بمعنى عند ، كقوله تعالى « أقم الصلاة لدلوك الشمس »[١] ، وبمعنى بعد كقوله عليه الصلاة والسلام « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » ، وبمعنى الوقت كقوله «لثلاث خلون» ، وبمعنى الجزاء كقوله تعالى « ليغفر لك الله ما تقدم »[٢].

الواو قد تكون بمعنى اذ كقوله تعالى « وطائفة قد أهمتهم انفسهم »[٣] يريد اذ طائفة كما تقول جئت وزيد راكب ، قال الجاحظ في قوله عزوجل « ان الله لايستحيي أن يضرب مثلا مابعوضة فمافوقها »[٤] يريد فما دونها ، وهو كقول القائل فلان أسفل الناس فتقول وفوق ذلك تضع قولك فوق مكان قولهم هو شر من ذلك ، وقال الفراء فما فوقها في الصغر . والله اعلم .

قضى بمعنى حتم كقوله تعالى « فلما قضينا عليه الموت »[٥] وبمعنى أمر « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه »[٦] وبمعنى صنع « فاقض ماأنت قاض »[٧] وبمعنى حكم يقال للحاكم قاض ، وبمعنى اعلم كقوله تعالى « وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب »[٨] ويقال للميت قضى اذا فرغ من الحياة ، وقضاء الحاجة معروف ، ومنه قوله تعالى « حاجة في نفس يعقوب قضاها »[٩]

١) سورة الاسراء : ٧٨ .
٢) سورة الفتح : ٢ .
٣) سورة آل عمران : ١٥٤ .
٤) سورة البقرة : ٢٦ .
٥) سورة سبأ : ١٤ .
٦) سورة الاسراء : ٢٣ .
٧) سورة طه : ٧٢ .
٨) سورة الاسراء : ٤ .
٩) سورة يوسف : ٦٨ .

كلمة واحدة من الافعال تختلف معانيها باختلاف مصادرها ، وليس للعرب مثلها هي قولهم وجد كلمة مبهمة ، فاذا صرفت قيل في ضد العدم وجوداً و في المال وجداً ، وفي الغضب موجدة ، وفي الضالة وِجداناً ، وفي الحزن وجداً.

من سنن العرب اشتقاق نعت الشيء من اسمه كقولهم يوم أيوم وليل أليل وروض أريض وأسد أسيد وصلب صلب وصديق صدوق وظل ظليل وحر حرير وكن كنين وداء دوي .

ومن سنن العرب أن تجرى الموات ومالا يعقل في بعض الكلام مجرى بني آدم ، فتقول أرضون، وربما يتعدى هذا الى اكثر منه كما قال النابغة الجعدي:

تمززتها والديك يدعو صياحه وأما بنو نعش دنوا فتصوبوا

وقال عزوجل « وكل في فلك يسبحون »[١] و « الشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين »[٢] « يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم »[٣] « لقد علمت ماهؤلاء ينطقون »[٤] وقول عبيدة بن الطبيب :

اذ أشرف الديك يدعو بعض أسرته لدى الصياح وهم قوم معاذيل

فجعل الديك اسرة وسماهم قوماً .

لم يأت بلفظ الريح في القرآن الا في الشر والرياح الا في الخير ، ولم يأت لفظ الامطار في القرآن الا للعذاب في الايتين يعبر عنهما بهما مرة وبأحدهما مرة ، قال الفراء رأيت بعيني ورأيت بعيني واللواء في يدى وفي يدي ، فكل اثنين لايكاد احدهما ينفرد فعلى هذا المثال كاليدين والرجلين ، قال الفرزدق:

---

١) سورة الانبياء : ٣٣ .

٢) سورة يوسف : ٤ .

٣) سورة النمل : ١٨ .

٤) سورة الانبياء : ٦٥ .

ولو بخلت يداي بها وضنت | لكان علي للقدر الخيـار

فقال وضنت بعد قوله يداى ، وقال آخر :

وكأن في العينين حب قرنفل | او سنبلا كحلت به فانهلت

فقال كحلت بعد قولـه في العينين . وقال به يعنى القرنفل والسنبـل ، وقال الاخر :

اذا ذكرت عينى الزمان الذى مضى | بصحـراء بلـخ ظلتـا تكفان

ويقال وقعت عينه عليه أي عينـاه ، وفلان حسن الحاجب اي الحاجبين ، واخذه بيده وقام على رجله أى يديه ورجليه ، قال صلى الله عليه وآله « اتقـوا الملاعن » أي لاتحدثوا في الشوارع فتلعنوا ـ انتهى ما نقـل من لباب الاداب وبعضه من كتاب سر الادب .

[حل بيت من الشعر]

ومن ذلك ماذكره السيدالاجل المرتضى رضىالله عنه فى كتاب المجالس فى تأويل قوله تعالى « فما بكت عليهم السماء والارض »[1] ان قول الشاعر :

قليل عيبـه والعيب جم | ولكن الغنـى رب غفـور

من قبيل هذا ، وقبيل « اسأل القرية »[2] وانه ارادغنى رب غفور .

اقـول : ان الـذى يظهر من معنى البيت ان هذا الشخص عيبه يرى قليلا مع أن عيبه كثير ، ووجه كونه يرى قليلا أن صاحبه غني والغنى صاحب ساتـر للعيوب كما يقال الكرم يغطى كل عيب .

وهذا واقع كثيراً نظماً ونثراً ، وهو ما يتضمن خفاء العيب وستـره اذا كان

١) سورة الدخان : ٢٩ .

٢) سورة يوسف : ٨٢ .

صاحبه غنياً وظهوره وزيادته اذا كان فقيراً ، بل ربما أثبت للفقير عيب وهو ليس بعيب في الواقع كما قال بعضهم :

ان ضرط الموسر في مجلس	قالوا له يرحمك الله
أو عطس المعسر في مجلس	سبوا وقالوا فيه ما ساهوا
فمضرط المعسر عرنينه	ومعطس الموسر مفساه

والسيد قدس الله روحه ان اراد بالرب الغفور الله سبحانه كما هو الظاهر فلا مناسبة له بما قبله ، وان اراد غيره كان أبعد ، وهذا عجيب من مثل السيد الجليل قدس سره ، وان اراد غير ما ذكر فهو غير ظاهر ، وال في العيب عوض عن المضاف اليه .

وفي قول الشاعر « رب غفور » لطيفة ، وهي ان الغني غالباً خصوصاً اذا كان ذا عيوب يكون كالعابد للمال وهو كالمعبود له ، فناسبه التعبير بالرب دون غيره من مثل خل ونحوه .

قيل ان السيد رحمه الله حمله على المدح ، يقول قليل عيب الممدوح مع كثرة العيب في الناس ولكن الغنى عما يجر العائب هو غني رب غفور .

وهذا وجه في الجملة لكن الأول هو الظاهر مع مناسبة ذكر غفور له ، وما قبل البيت من القصيدة يدل على الهجاء ، قيل اولها :

رأيت الناس شرهم الفقير	. . . .
و أبعدهم وأهونهم عليهم	وان امسى له حسب خطير
يباعده الندي وتزدريه	حليلته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال	يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل عيبه . . .	. . . . . – البيت

[تعيين موضع الكعب في القدم]

ومن ذلك عبارة لجدي المبرور في شرح اللمعة ظاهرها مشكل كغيرها من مشكلاته، وهي قوله في مبحث الوضوء: ثم مسح بشرة ظهـر الرجل اليمنى من رؤوس الاصابع الى الكعبين وهما قبتا القدمين وقيل الى اصل الساق - انتهـى.

اقول: يمكن ان يقـال: ان المناسب ان يقول الى الكعب وهو قبة القدم لانه وقع بعد ذكر الرجل اليمنى لابعـد ذكر الرجلين، ويمكـن الجواب بأن مثل هذه العبارة وقع في حديث ابن ابي نصر عن الرضا عليه السلام قال: سألته عن المسح على القدمين كيف هو؟ فوضع كفه على الاصابع فمسحها الى الكعبين الى ظهر القدم.

وفي حديث زرارة قلنا له: أصلحك الله فأين الكعبان؟ قال: ههنا - يعني المفصل دون عظم الساق. قلنا: هذا ما هو؟ قال: هذا عظم الساق.

وفي بعض الأخبار ذكر الكعب مفرداً وكذا في عبارات الأصحاب، وظاهر الحديثين ان الرجل الواحدة لها كعبان، وقد حقق بعض علماؤنا رحمهم الله[1] الكعب أربعة معان تدل عليها الاحاديث وكلام اهل اللغة: احدها قبة القدم امام الساق، والثاني أحد الناتئين عن يمين القدم وشماله، والثالث نفس المفصل، والرابع العظم الناتيء في القدم الداخل طرفاه في حفرتي عظم الساق وكثيراً مايعبر عنه بالمفصل.

اذا تقرر هذا فيمكن أن يكون المراد بالكعبين اثنين من الثلاثة المذكورة وكأنه لما ذكرناه عبر بعض علمائنا رحمهم الله بما ظاهره كون الكعبين في الرجل الواحدة وعبر بعضهم بالكعب نظراً الى ما في بعض الاخبار.

---

١) الشيخ بهاء الدين رحمه الله في شرح الاربعين وغيره «منه».

قال المرتضى رضي‌الله عنه الكعبان هما العظمان الناتئان في ظهر القدم ، وقال‌ابن‌ابى عقيل رحمه‌الله الكعبان‌ظهر القدم ، وفي‌المعتبر الكعبان هماالعظمان الناتئان وسط‌القدم وهما معقد الشراك ، ومثله في‌الارشاد وغيره . واحتمال‌ارادة التعدد من القدم كاحتمال‌ارادة التعدد من الكعب .

والحاصل ان الذي يظهر مما ذكر أن الكعبين في كل رجل وان الكعب الواحد ايضاً كذلك .

وبهذا يمكن الجواب عما أورده صاحب الكشاف من انه لو أريد المسح لقيل الى الكعاب أو الكعب ، لان الكعب اذ ذاك مفصل القدم وهو واحد في كل رجل ، فان أريد كل واحد فالافراد والا فالجمع ، ونحوه كلام النيسابوري على ما حكي عنهما .

وقد اجيب بناء على‌اتحاد الكعب بأن التثنية باعتبار كل رجل لاباعتبار كل رجل ، وأما على‌التعدد المذكور فيجاب به بمعنى‌ان التعدد مستفاد من‌اخبارنا.

وقد ذكر بعض علماء التشريح ان الكعب عظم الى الاستدارة واقع في ملتقى الساق والقدم له زائدتان ناتئتان في اعلاه أنسية ووحشية يدخل كل منهما في حفرة من‌حفرتي قصبتي الساق وزائدتان في‌اسفله تدخلان في حفرتي العقب - الى آخر ما ذكروه . فيمكن أن يكون المراد بالكعبين الزائدتان ولومجازاً.

وقول جدي طاب ثراه « وهما قبتا القدمين » يحتمل أن يكون المراد به انهما قبتا كل قدم‌أوانهما قبتان‌لهما ، والمعنى‌ان‌الكعبين‌هما القبتان للقدمين اللتان ينتهي المسح اليهما في كل منهما ، وهذا لاينافي ذكرهما بعد قدم واحدة، فانه مذكورلافادةانهمامنتهى المسح في‌القدمين لااصل‌الساق‌بناء على‌القول الاخر بأن المنتهى اصل الساق . ومعنى مسح‌ظهر اليسرى كذلك أي من رؤوس الاصابع الى الكعبين .

فان قلت : يمكن ان يكون المراد في حديث ابن ابى نصر بوضع الكف

وضعها على كل واحدة من الرجلين وانه مسح كل واحدة الى الكعب ومجموع ذلك وقع الى الكعبين .

قلت : ظاهره مع مقام التعليم وضمير مسحها لايلائم ذلك مع التكلف الظاهر فيه ، ونحوه ما في الحديث الاخر من قوله عليه السلام « ههنا » ، فانه يحتمل الاشارة الى كعبي الرجلين لا الى الواحد . وهذا ايضاً خلاف الظاهر وان كان احتماله أقرب من الاول في الجملة . والله تعالى اعلم .

[مسألة كون الدية اخماساً]

ومن ذلك عبارة اخرى في شرح اللمعه توهم انها غير مستقيمة في بادىء الرأي ، وهي قوله : وقول المصنف رحمه الله في كتاب الديات (وعن ابى جعفر عن علي عليه السلام في ستة غلمان بالفرات فغرق) منهم (واحد) وبقي خمسة (فشهد اثنان) منهم (على ثلاثة) انهم غرقوه (وبالعكس) شهد الثلاثة على الأثنين انهم غرقوه فحكم عليه السلام (ان الدية اخماس) على كل واحد منهم خمس (بنسبة الشهادة) انتهى .

اقول : في الرواية « فشهد اثنان على الثلاثة انهم غرقوه وشهد الثلاثة على الأثنين انهم غرقوه فقضى بالدية ثلاثة اخماس على الأثنين وخمسين على الثلاثة» وهذه عبارة الرواية في الشرائع وكلامه هنا ظاهره لاينطبق على ذلك ، وهو قوله على كل واحد منهم خمس .

وقد كنت أتعجب من ذلك واعلم أن مثل هذا ليس محل الاشتباه على مثله حتى ظهر لي وجهه ، وهو انه لما قال المصنف اخماساً بنسبة الشهادة وكان في هذه العبارة اجمال في الجملة فسره بأن على كل واحد خمساً بتلك النسبة لان كل واحد من الخمسة يلحقه سهم من الدية فهو خمس ، ولما كانت الاخماس

هنا غير متساوية قال خمس بنسبة الشهادة ، فانه يثبت بكل شهادة خمس على من شهد عليه ، فبشهادة الاثنين على الثلاثة يثبت خمسان وبشهادة الثلاثة على الاثنين يثبت ثلاثة اخماس .

ولا شبهة في كون ما ذكر لايثبت على الشاهد بل انما يثبت على المشهود عليه ، فيلزم كل واحد سهم بنسبة الشهادة . والتعبير عن السهم بالخمس لمناسبة ما ذكر من أن الشيء اذا قسم خمسة أقسام متفاوتة يصح أن يقال كل واحد خمس ولو مجازاً مع القرينة وهي كونه خمساً بنسبة الشهادة لاعتبار الاخماس المتساوية .

وقد وقع التعبير بمثل ذلك كما في قول القاضي البيضاوي في عدد حروف اوائل السور النصف الاكثر وقولهم قطعه نصفين ونحو ذلك ، وحاصله صحة الاطلاق ولو مع القرينة وهي ما ذكر .

وهذه من جملة العبارات التي نبهنا على مثلها في حاشية الشرح من ايهامها خلاف المقصود مع صحتها بعد اعمال الفكر ، فلايرد ماأورد عليها .

[حل عبارة من شرح اللمعة]

ومن ذلك عبارة في كتاب الاطعمة من شرح اللمعة تاهت في حلها الافكار واعتمدوا على انها غير مستقيمة ، وهي مما توهموه سليمة مع ان الاشكال فيها سهل ناش عن صورة تركيبها على غير وجهه ، وهي انه لماقال المصنف رحمه الله « ويكره لبن المكروه لحمه كالاتن » ، قال الشارح طاب ثراه بضم الهمزة والتاء وبسكونها جميع اتان بالفتح الحمارة ذكر أو انثى ولايقال في الانثى أتانة .

أقول : ان الاشتباه فيها يحصل من قراءة ذكراً منصوباً وعطف انثى عليه

بالواو ، فتكون حالا من الحمارة ، وقد وقعت تفسيراً للاتان التى هى انثى الحمار ، والصواب ان يكون العطف بأولا بالواو وذكر خبر مبتدأ محذوف أي وهذا أو وهذه ذكر أو انثى بترك التاء واثباتها، فالحمار له مؤنث بالتاء والمذكر بعدمها بخلاف الاتان فانه ليس كذلك بل هو مؤنث بترك التاء . فحاصلها : ان الاتان الحمارة المؤنثة والحمارة مذكرها بترك التاء ومؤنثها بها ، ولا يقال فى الأنثى اتانة كما يقال فيها حمارة ، ولاينافيه ماقيل ان الاتانة قليلة .

فالعبارة موجزة مفيدة لما ذكر على أحسن وجه وأبلغه ولا قصور فيها ، وفيها من اللطافة مايوهم الجمع بين متنافيين كماتكرر نحوه فى الكتاب ونبهت عليه فى مواضعه فى حاشية الشرح .

[شرح دعاء الوضوء]

ومن ذلك مافى دعاء الوضوء «اللهم بيض وجهي يوم تسود فيه الوجوه ولا تسود وجهى يوم تبيض فيه الوجوه » .

أقول: فى النسخ المعتبرة لفظ« فيه » غير موجود والصحيح تركه . ووجهه ان يوماً أو نحوه من الظروف المتصرفة اذا كان ظرفاً كانت فى فيه مقدرة، والظرف مضاف الى الجملة، فيكون تقديره اللهم بيض وجهى فى يوم سواد الوجوه ولا تسود وجهى فى يوم بياض الوجوه ، وحينئذ لايحتاج الى ان يقال يوم بياض الوجوه فيه ، ونحوه قوله تعالى « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه»[1] « يوم يعض الظالم على يديه »[2] « يوم يكشف عن ساق »[3] وهو كثير .

---

١) سورة آل عمران : ١٠٦ .

٢) سورة الفرقان : ٢٧ .

٣) سورة القلم : ٤٢ .

فان قلت : ماوجه الاتيان بلفظ فيه في قوله تعالى « واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله »[1].

قلت : يوماً هنا مفعول به ولا مفعول فيه ، وقد وقعت جملة « ترجعون » صفة ليوماً ، والمفعول به ليست في فيه مقدرة ، فاحتيج فيه الى ذكر فيه ليدل على كونه ظرفاً للرجوع وليكون الضمير رابطاً للصفة بالموصوف .

والحاصل ان يوماً من المتصرفة التي تقع ظرفاً وغير ظرف ، وهي في مثل الاول ظرف وفي مثل الثاني غير ظرف .

[اخبار الوافدت على معاوية]

ومن ذلك مااحببت نقله في هذا الكتاب من اخبار النساء الوافدات على معاوية في ايام استقلاله بالملك .

روى ابو مخنف بأسانيده عن ابي عبدالله محمد بن زكريا بن دينار البصري عن ابي الحجاج يوسف بن خليل الله الدمشقي ، قال اخبرنا ابو العز احمد بن عبدالله ابن كاوش العكبري في سنة عشرين وخمسمائة ، قال حدثني ابو الحسين محمد بن اسماعيل بن شمعون الواعظ في الجامع الكبير بدمشق الشام ، عن ابي بكر عبدالله ابن سليمان ، عن الزهري قال : بينا معاوية يسمر مع عمرو بن العاص ومروان وسعد وعتبة والوليد وقد ذكروا الزرقاء بنت عدي بن قيس الهمدانية ، وهي امرأة من اهل الكوفة شهدت مع قومها صفين فقال معاوية : ايكم يحفظ كلامها فقال بعضهم : نحن نحفظه . فقال معاوية : لقد كلمتني بقولها فما تشيرون علي في امرها ؟ فقال بعضهم : القتل . فقال: بئس الرأي اشرتم أيحسن بمثلي ان يحدث عنه انه قتل امرأة بعد أن ظفر بها .

---

١) سورة البقرة : ٢٨١ .

وكتب الى عامله أن اوفد علي الزرقاء بنت عدي مع ثقة من محرمها وعدة من فرسان قومها وامهدلها وطاءليناً واسترها بستر خفيف وأوسع عليها في النفقة فلما وصل الكتاب الى عامله ارسل اليها واقرأها الكتاب فقالت : ان كان معاوية جعل الخيار الي لم آته وان كان حتم الامر فالطاعة أولى، فحملها في هودج خز أدكن مبطن ببياض . قال : فلما دخلت على معاوية قال : مرحباً ورحباً قدمت خير مقدم قدمة وافد كيف حالك ؟ قالت: بخير يامعاوية ادام الله لك النعمة. قال: كيف كنت في مسيرك ؟ قالت: كأني كنت ربيبة بيت أو طفلا ممهداً . قال معاوية بذلك امرناهم، أتدرين فيم بعثت اليك ؟ قالت : وهل يعلم الغيب الا الله . قال بعثت لا سألك ألست الراكبة الجمل الاحمر الواقفة بين الصفين يوم صفين تحضين على القتال وتوقدين نار الحرب، فما حملك على ذلك ؟ قالت: يامعاوية انه قد مات الرأس ونبز الذنب ولن يعود ماذهب والدهر ذو عجب لايعتب من عتب ومن تفكر ابصر والامر يحدث بعد الامر. فقال معاوية : لله أنت فهل تحفظين كلامك يوم صفين. قالت: والله مااحفظه . قال: ولكني والله احفظه ، لله ابوك يوم تقومين خطيبة تقولين : يا أيها الناس ادعوا وارجعوا، انكم قد اصبحتم في فتنة غشيتكم فيها جلابيب الظلم وحادت بكم عن قصد المحجة ، فيالها فتنة عمياء صماء لا تسمع لداعيها ولا تنساق لقائدها ، ايها الناس ان المصباح لا يضيء في الشمس وان الكواكب لاتبين مع القمر والبغل لا يساوي الفرس والدر لايوازن بالحجر ولايقطع الحديد الا الحديد ، ألا ان من استرشد أرشدناه ومن سأل اجبناه ، وان الحق كان يطلب ضالته فأصابها ، فصبراً يامعشر المهاجرين والانصار على المضض فكأن قد اندمل شعب الشتات والتأمت كلمة العدل ودفع الحق باطله ، فلايعجلن احد فيقول كيف واني ليقضي الله امراً كان مفعولا ، ألا ان خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء ولهذا اليوم ما بعده والصبر

خير في الامور عواقباً ،ايه الى الحرب قدماً غير ناكصين رحمكم الله .اليه يازرقاء لقد شاركت علياً في كل دم سفكه .

قالت : أحسن الله بشارتك يامعاوية وادام سلامتك ، فمثلك من بشر بخير وسر جليسه . فقال لها معاوية : وقد سرك ذلك ؟ قالت : أي والله لقد سررت بالخبر ، فأنى بتصديق الفعل .

فضحك معاوية وقال لها: والله لوفاؤكم لعلي بعد موته أعجب من حبكم له في حياته ، لقد جبلت محبته في طينتكم . والتفت الى الحاضرين وقال : هكذا يكون الوفاء الصادرعن اخلاص المودة،جزاك الله عن علي خيراً أذكرى حاجتك. قالت: يامعاوية انى آليت على نفسي ان لااسأل امرأ أعنت عليه أبداً، ومثلك من اعطى من غير مسألة وجاد من غير طلب . قال : صدقت وامر لها وللذين كانوا معها بجوائز وردها الى الكوفة .

(ومن الوافدات عكرشة بنت رواحة بن الاطش)

وبالاسناد السابق عن عكرمة قال : دخلت عكرشة بنت رواحة على معاوية وبيدها عكاز في أسفله زج مسفى ، فسلمت عليه بالخلافة فقال لها معاوية : يا عكرشة الان صرت اميرالمؤمنين . قالت : نعم اذلا على بن ابى طالب حي .

قال : ألست صاحبة الكور المسدول والوسط المجدول والمتقلدة بحمائل السيف تجولين بين الصفين يوم صفين تقولين : يا ايها الناس عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم ، ان الجنة دار لايرحل من قطنها ولايخزى من سكنها ولايموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لايدوم نعيمها ولاتصرم همومها وكونوا قوماً مستبصرين ، ان معاوية دلف اليكم بعجم العرب غلف القلوب لا يفهمون الايمان ولايدرون ماالحكمة ، دعاهم بالدنيا فأجابوه واستدعاهم الى الباطل فلبوه، الله الله عباد الله في دين الله، فاياكم والنكول فان في ذلك نقض عرى

الاسلام واطفاء نورالحق واظهار الباطل وذهاب السنة المحمدية ، هذه والله بدر الصغرى والعقبة الاخرى ، يامعاشر المهاجرين والانصار امضوا على بصيرتكم واصبروا على غريزتكم فكأني بكم غداً قد لقيتم اهل الشام حميراً نهاقة وبغالا سجاجة تصقع صقع البقر ولاتروث روث العناق .

فكأني اراك على عكازك هذه قد انكفأ اليك العسكر أن يقولون هذه عكرشة بنت رواحة، فان كدت لتفتنني على اهل الشام لولا ماأحب الله عزوجل أن يجعل لنا هذا الامر، فماحملك على ذلك؟ قالت: يامعاوية يقول الله عزوجل« لاتسألوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم»[1] ان اللبيب اذا كره امرألم يحب اعادته. قال معاوية: صدقت اذكرى حاجتك .

قالت: ياامير المؤمنين ان الله قد جعل حقنا فينا ورد صدقاتنا علينا وامو النا الينا ، وانا قد فقدنا ذلك فما ينعش لنا فقير ولايجبر لنا كسير، فان كان ذلك عن رأيك فمثلك من انتبه من الغفلة وراجع التوبة، وان كان ذلك عن غير رأيك فما مثلك من استعان بالخونة ولا استعمل الظالمين .

فقال معاوية : يـاهذه تنوبنا أمور ونوائب هي اولى بنا منكم فمن بحور تنبثق وثغور تنفتق . قالت : ياسبحان الله والله مافرض الله لنا حقاً جعل فيه ضرراً على غيرنا، ولو علم الله أن فيما جعل لنا ضرراً على غيرنا ماجعله لنا وهو علام الغيـوب .

فقال معاوية : يااهل العراق فقهكم علي بن ابى طالب فلن تطاقوا ، ثم امر لها برد صدقاتهم وانصافهم وردها مكرمة .

(ومن الوافدات ام لبـد بنت صفوان الهلالية)

وبالاسناد المذكور سابقاً عن سهل التميمي عن جعدة بن هبيرة المخزومى

---

١) سورة المائدة : ١٠١ .

قال : استأذنت ام لبد الهلالية على معاوية ، فاذن لهـا فدخلت فى ثلاث دروع تسحبهادرع كانت على رأسها كوراء كهيئةالمنسف،فسلمت وجلست،فقال لهامعاوية: كيف أنت يابنت صفوان؟ فقالت: بخير يامعاوية . قال : وكيف حالك ؟ قالت : ضعفت بعدجلد وكسلت بعد نشاط. قال: شتان بينك اليوم وحيث تقولين مشجعة لاخيـك :

يا عمرو دونك صارماً ذارونق — عضب المهزة ليس بالخوار
اسرج جوادك مسرعاً ومشمراً — للحرب غير مـولى بـفرار
أجب الامام وذب تحت لوائه — واقر العـدو بصارم بتار
ياليتنى أصبحت لست بـعورة — فـأذب عنه عسـاكر الفجار

قالت : قد كان ذلك يامعاوية ومثلك من عفا والله عزوجل يقول « عفـا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه »[1].

فقال هيهات أمـا لو عاد لعدت ولكنه والله اخترم ، فكيف قولك حين قتل. قالت : أنسيته يامعاوية . فقال بعض جلسائه: هو والله حين تقول :

يا للرجـال لعظم هـول مصيبة — جلت فليس مصابهـا بالهـازل
الشمس كاسفة لفقـد اميرنا — خير الخلائق والامام العادل
ياخير من ركب المطى ومن مشى — فوق التراب لمحتف او ناعل
حاشى النبى لقدهددت لنا القوى — والحق أصبح خاضعاً للباطل

فقال معاوية : قاتلك الله ماتركت لاحد مقالا ، اذكرى حاجتك . قـالت : يا معاوية أما الان فلا ثم قـامت فعثرت فقـالت : تعس شانىء على عليه السلام . فقال معاوية : يابنت صفوان زعمت انا.قالت : هو ماعلمته وانصرفت ، فلما كان من الغد بعث اليها بكسوة فاخرة ودراهم كثيرة، فقيل له فى ذلك فقال: اذا أنا ضيعت الحلم فمن يحفظه .

---

١) سورة المائدة : ٩٥ .

(ومن الوافدات أم سنان بنت خيثمة بن خرشة المذحجية)

وبالاسناد المذكور عن عبد الله بن سليمان المدني عن ابيه عن سعد بن حذافة قال : حبس مروان بن الحكم غلاماً من بني ليث في جناية جناها بالمدينة وهو اذ ذاك اميرها ، فأتت جدة الغلام فأغلظ لها وابى ان يخرجه ، فخرجت صارخة الى معاوية ، فاستأذنت عليه وهي في شرذمة من قومها ، فلما جلست قال لها معاوية : يا بنت خيثمة ما أقدمك ارضي وقد عهدتك تشنئين قربي وتشتمين اصحابي وتحضين علي عدوي . قالت : يا امير المؤمنين ان لبني عبد مناف اخلاقاً طاهرة واعلاماً ظاهرة لايجهلون بعد علم ولايسفهون بعد حلم ولايعاقبون بعد عفو ، وان أولى الناس باتباع سنن آبائه انت . قال : صدقت فنحن كذلك، فكيف قولك :

عزب الرقاد فمقلتي ما ترقد ... والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لامقام فشمروا ... ان العدولآل احمد يقصد
هذا علي كالهلال تحفه ... وسط السماء من الكواكب اسعد
ما زال مذ عرف الحروب مظفراً ... والنصر فوق لوائه ما يفقد
خير الخلائق وابن عم محمد ... وكفى بذاك لمن شناه تهدد

قالت : قد كان يا امير المؤمنين وانا لنطمع بك خلفاً . فقال رجل من جلسائه : كيف يا معاوية تعفو عنها وهي القائلة حين قتل علي :

أما هلكت ابا الحسين فلم تزل ... بالحق تعرف هادياً مهديا
فاذهب عليك سلام ربك ما دعت ... فوق الغصون حمامة قمريا
قد كنت بعد محمد خلفاً لنا ... أوصى اليك بنا فكنت وفيا
فاليوم لا خلف نؤمل بعده ... هيهات أمدح بعده انسيا

قالت : هيهات يا معاوية لسان نطق وقول صدق ، فو الله ما اورثك الشنأة

في قلوب المسلمين الا مثل هؤلاء السفهاء ، فادحض مقالتهم وأبعد منزلتهم ، فانك ان فعلت ذلك ازددت بذلك من الله قرباً ومن المسلمين حباً. قال معاوية: وانك لتقولين ذلك ؟ قالت : سبحان الله ، والله ما مثلك مدح بباطل ولا اعتذر اليه بكذب ، وانك لتعلم من رأينا وضمير قلوبنا ،كان والله علي بن ابي طالب أحب الينا منك اذ كان حياً وانت أحب الينا من غيرك اذ انت باق . قال : ممن؟قالت: من سعيد ومروان بن الحكم . قال : بم استحققت ذلك عليهم ؟ قالت : بحسن جودك وكرم عفوك . قال: وانهما ليطمعان في ذلك؟ قالت : والله هما من الرأي على مثل ذلك الذي كنت عليه لعثمان. قال: والله لقد قاربت فما حاجتك؟قالت: ان مروان تبتك بالمدينة تبتك من لايريد البراح منها لايحكم بعدل ولا يقضي بسنة يتتبع عثرات المسلمين ويكشف عورات المؤمنين ، حبس ابن ابني فأتيته فقال لي كيت وكيت ، فألقمته اخشن من الحجر والعقته امر من الصاب ، ثم رجعت الى نفسي بالملامة فأتيتك يا معاوية صارخة لتكون في أمري ماضياً وعليه معدياً. قال : صدقت فيما قلت لا اسألك عن ذنبه ولا اسأله القيام بحجته ، واما أنت فعفا الله عما سلف والحليم لا يؤاخذ بالجريرة ، اكتبوا لها باخراجه والتعرض لمروان وسعيد بما فعلاه .

فقالت يامعاوية : اني لنائية الوطن فانى لي بالرجوع وقد فقد زادي وكلت راحلتي ، فأمر لها براحلة موطأة وخمسة آلاف درهم وقال: خذيها مهناة انا ابن عبد شمس بن مناف ، فأخذتها وانصرفت .

(ومن الوافدات بكارة الهلالية)

وبالاسناد المذكور عن محمد بن عبدالله الخزاعي عن الشعبي قال: استأذنت بكارة الهلالية على معاوية فاذن لها، فدخلت وكانت امرأة قد اسنت وعشي بصرها وضعفت قوتها ترعش بين جاريتين لها ، فسلمت وجلست ، فقال معاوية : كيف

أنت يا خالة ؟ قالت : بخير يا معاوية . قال : غيرك الدهر ؟ قالت : هو كذلك ذو غير من عاش كبر ومن مات قبر . فقال عمرو بن العاص : هي والله القائلة :

يا زيد دونك فاحتفر من دارنا سيفاً حساماً في التراب دفينا
قد كنت أوخره ليوم كريهة فاليوم ابرزه الزمان مصونا

وقال مروان بن الحكم : والله هي القائلة يا معاوية :

أترى ابن هند للخلافة مالكاً هيهات ذاك وان اراد بعيد
منتك نفسك في الخلا ضلالة أغواك عمرو للشقا وسعيد
فارجع بأنكد طائر منحوسة لاقت علياً أسعد و سعود

فقال سعيد : والله وهي القائلة يا معاوية :

قد كنت اطمع ان اموت ولاأرى فوق المنابر من أمية خاطبا
فالله أخر مدتي فتطاولت حتى رأيت من الزمان عجائبا
في كل يوم لايزال خطيبهم بين الجموع لآل احمد عائبا

ثم سكتوا، فقالت : يامعاوية تنبحني كلابك اذعشي بصري وقصرت محجتي انا والله قائلة ماقالوا وما خفي عليك اكثر فافعل ما بدالك. فضحك معاوية وقال : ليس ذلك مما يمنعنا برك يا خالة فاذكري حاجتك . فقالت : اما الان فلا وقامت مغضبة وانصرفت فاتبعها معاوية بكيس مال فأبت اخذه فاتبعها بآخر فأخذتهما وذهبت .

(ومن الوافدات دارمية الحجومية)

عن سهل التميمي عن ابيه عن عمته قالت : حج معاوية سنة من سنيه فسأل عن امرأة يقال لها دارمية الحجومية، فأتى بها فقال: كيف حالك يابنت حام؟ قالت: بخير ولست ببنت حام، ادعى انا امرأة من بني كنانة. قال: صدقت فهل تعلمين لم بعثت اليك ؟ قالت : وهل يعلم الغيب الا الله. قال : بعثت اليك اسألك علىم

أحببت علياً وابغضتني وعلىم واليته وعاديتني . قالت : أو تعفيني من ذلك . قال : لاأعفيك ولذلك دعوتك . قالت : أما اذ ابيت فاني احب علياً على عدله في الرعية وقسمته بالسوية وأبغضك على قتالك من هو أولى بالامر منك وطلبك ما ليس لك ، وواليت علياً على ما عقدله رسول الله صلى الله عليه وآله نجم من الولاء بمشهدمنك وحب على المساكين وتعظيمه لاهل الدين وعاديتك على سفكك الدماء وشقك العصا .

فتغير وجه معاوية ثم قال لهـا : فلذلك انفتح بطنك وكبر ثديك وعظمت عجيزتك . قالت : ياهذا بهند والله يضرب المثل لابى . قال : ياهذه لا تغضبى فانالم نقل الاخيراً ، فانه اذا انفتح بطن المرأة تم خلق ولدها ، واذاكبر ثديهـا حسن غذاؤها، واذا عظمت عجيزتها رزن كسيسها ، فرجعت المرأة راضية،فقال: هل رأيت علياً .قالت : أي والله لقدرأيته . قال :كيف رأيته ؟قالت : لم يفتنه الملك ولم تصقله النعمة . قال : فهل سمعت كلامه؟ قالت:كان والله كلامه يجلو القلوب من العمى كمايجلو الزيت صدأ الطست . قال: صدقت هل لك من حاجة ؟ قالت : نعم أو تفعل يامعاوية اذا أنا سألتك . قال : نعم . قالت : تعطيني مائةناقة حمراء بعجلها وراعيها . قال : تصنعين ما ذابها . قالت : أغذو بألبانها الصغار واستحيى بهاالكبار واكتسب بهاالمكارم وأصلح بها ما بين عشائر العرب.قال: فان اعطيتك ذلك فهل أحل منك محل علي. قالت : سبحان الله أو دونه يامعاوية فأنشأ يقول :

اذا لم اجد بالحلـم مني عليكـم فمن ذاالذى بعدى يؤمـل للحلـم
خذيها ضياء واذكرى فعل ماجد حبـاك على حب العداوة بالسلـم

أماوالله لوكان علي ماعطاك شيئاً. قالت: أي والله ولاوبرة من مال المسلمين يعطينى ، فأمرلها بما سألت وردها مكرمة .

(ومن الوافدات ام سلمى بنت عبد الله الذكوانية)

وبذلك الاسناد عن خالد بن سعيد عن رجل من بني امية قال : حضرت معاوية في منزله وقد اذن للناس اذناً عاماً، فدخلوا عليه بمظالمهم وحوائجهم، فدخلت عليه امرأة كأنها قلعة ومعها جاريتان لها فحدرت اللثام ثم قالت :

الحمد لله يا معاوية الذي خلق الانسان فجعل فيه البيان فدل به على النعم، وأجرى به القلم فيما ابرم وحتم ، وبرا ودرا وحكم ، وقضى وصرف الكلام باللغات المختلفة على المعاني المعترفة اقتضاء بالتقدم والتأخر والاشباه والتناكر والموافقة والتزايد، وأدته الاذان الى القلوب وادته القلوب الى الالسن، فاستدل به على العلم وعبد به الرب عزوجل ولزمت به الامور وعرفت به الاقدار وتمت به النعم، وكان من قضاء الله ومشيته ان قربت زياداً وجعلت له من آل ابي سفيان نسباً ثم وليته من أحكام العباد يسفك الدماء بغير حقها ولا حلها ويهتك الحريم بغير مراقبة لله فيها ، ظلوم غشوم كافر يتخير من المعاصي أعظمها وانماها ، لا يرعى الله وقاراً ولا يظن أن لله معاداً وعداً ، يعرض عمله في صحيفتك وتوقف على ما اجترمه بين يدي ربك ، ولك برسول الله أسوة حسنة وبينك وبينه صهر ، فلا الماضين من أئمة الهدى اتبعت طريقهم ، جعلت عبد ثقيف على رقاب أمة محمد صلى الله عليه وآله يدبر أمورهم ويسفك دماءهم ، فماذا تقول يا معاوية وقد مضى من اجلك اكثره وذهب خيره وبقي وزره ، انني امرأة من بني ذكوان وثب زياد دعي آل ابي سفيان على ضيعتي وتركتي من أبي وامي فغصبها وحال بيني وبينها وقتل من نازعه فيها من رجالي، فأتيتك مستصرخة فان انصفت وعدلت والا وكلتك وزياداً الى الله تعالى فلن يبطل ظلامتي عندك ولا عنده وهو المنصف لي منكما حكم عدل .

قال : فبهت معاوية ينظر اليها متعجباً من كلامها ، ثم قال : لعن الله زياداً

فانه لايزال يبعث على مثالبه من ينشرها وعلى مساويه من ينشرها .

ثم كتب الى زياد يأمره بردحقهاالیها والا صرفه مذموماً مدحوراً،وأمرلها بعشرة آلاف درهم ، وعجب معاوية ومن حضره من مقالها .

(وفود أم الخير البارقية)

وروى ابن عبد ربه فی کتابه المسمى بالعقد الثمين انمعاوية بن ابىسفيان كتب الىعامله بالكوفةان يحمل أمالخير ابنةالأخرش بن سراقة البارقيةويرحلها رحلة محمـودة والصحبة غير مذمومة العاقبة واعلمه انه مجازيه بقولهـا الخير بالخير والشر بالشر .

فلما ورد عليه كتابه ركب اليهاوأوقفها على الكتاب فقالت: أماانا فغيرمعتلة بكذب ولازائغة عن طـاعة ، ولقد كنت احب لقـاءه لامور تلجلج فی صدری ، فلما حملها واراد وداعها قال لها : يـاأم الخير ان معاوية قد ضمن لى بجـائزتی فيك بالخير خيراً وبالشر شراً ، فمالي عندك ؟ قالت : ياهذا لايطمعك برك بی تزويقك بالباطل ولايؤيسك معروفك الي ان أقول فيك الا بالحق .

فسارت خير مسير ، فلما قدمت على معاوية أنزلها مع الحرم ثلاثة ايام ، ثماذن لهابالدخول عليهوعنده جلساؤه، فقالت: السلامعليكمورحمة اللهوبركاته. فقال لها: وعليك السلام بالرغم منك. فقالت: مه يامعاوية ، فان بديهة السلطان مدحضة لمنحجبعليه. قال: صدقت كيفحالك ياخالة وكيف كنتفیمسيرك؟ قالت : لم أزل فی خير وسلامة حتى ادنانی المسير اليك وانا فی عيش أنيق وعز رفيق .

فقال لها معاوية : بحسن نيتیظفرت بكم. قالت : يامعاوية بـالله استعيذ من دحض المقام وماتؤدی اليه عاقبته. قال : ليس لهذا أردناك ، أخبرينی كيفكان كلامك يوم قتل عمار بنياسر. قالت : لمأكن رؤيتهقبلولارؤيتهبعد ،وانماكانت

كلمات لفظ بهن لساني عند الصدمة ، فان أحببت ان اجد ذلك مثـالا غير ذلك فعلت . فقال : معاوية لااشاء .

ثم التفت الى جلسائه وقال : ايكم يحفظ كلامها . فقال رجل من القوم:أنا احفظه . فقال : هات. قال :كأني بهـا متردية ببرد كثيف الحـاشية وهي على جمل أدمك وقد أحاط حولها الناس وفي يدها سوط منتشر أصفر وهـي تهدد كالفحل وتقول :

ياايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلةالساعة شيء عظيم، ان الله قد أوضح لكم الحق وأبان الدليل ونور السبيل ولم يدعكم فيعمياء مبهمة ولاعشواء مدلهمة فالى اين تريدون أفراراً ويحكم عن امير المؤمنين ام فراراً من الزحف امرغبة عن الاسلام ام ارتداداً عن الحق، أماسمعتم قول الله تبارك وتعالى « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم »[1].

ثم رفعت رأسها الى السماء وهي تقول: عيل الصبر وضعف النفس وبيدك يارب أزمة القلوب ، فاجمع اللهم الكلمة على التقوى وألف القلوب على الهدى وأدر الحق على أهله ولو كره المشركون، هلموا رحمكم الله الى الامام العادل والوصي الوفي والصديق الاكبر، انها لحفائد جاهلية وأحزان بدرية ، وثب بها معاويه لحين الغفلة يدرك تارات بني عبد شمس .

ثم قالت: قاتلوا أئمة الكفر انهم لاايمان لهم لعلهم ينتهون، صبراً يامعاشر المهاجرين والانصار قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم، فكأني بكم غداً وقد لقيتم اهل الشام كالحمر المستنفرة لاتدرى اين يسلك بها من فجاج الارض، باعوا الاخرة بالدنيا والبصيرة بالعمى واشتروا الضلالة بالهدى وعما قليل ليصبحن نادمين، تحل بهم الندامة فيطلبون الاقالة ولات حين مناص ، انه والله من ضل عن

---

١) سورة محمد : ٣١ .

الحق وقع في الباطل ومن لم يسكن الجنة نزل النار . ان الاكياس استقصروا عمر الدنيا فرفضوها واستطالوا امدة الاخرة فسعوا اليها. والله أيها الناس لولا تبطيل الحقوق وتعطيلها وتظاهر الظالمين وتقوى كلمة الشياطين لما اخترنا ورد المنايا على خفض العيش وطيبه ، والى اين تريدون رحمكم الله افراراً عن ابن عم رسول الله صلى الله عليهما وآله وزوج ابنته وابي سبطيه وقد خلق من طينته وتفرع من نبعته وجعله باب دينه وابان المنافقين ببغضه ، فلم يزل كذلك حتى ايده بمعونته لايعرج لراحة اللذات ومن صلى والناس مشركون واطاع والناس عاصون، قتل مبارزيه وافنى اهل احد وهزم الاحزاب وقتل اهل حنين وفرق جمع هوازن، يالها من وقائع زرعت في القلوب نفاقاً وردة وشقاقاً ، وقد اجتهدت في القول وبالغت في النصيحة وبالله التوفيق . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فقال معاوية : ماأردت بذلك ياام الخير الاقتلي فلو قتلتك لما حرجت في ذلك . قالت: والله مايسوءني ان يجري الله قتلي على يد من يسعدني بشقائه فافعل مابدالك . فضحك وامر لها بجائزة وردها مكرمة .

(وفود أروى على معاوية)

ونقل ابن حجة الحموي في كتابه ثمرة الاوراق قال : دخلت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية وهي عجوز كبيرة ، فلما رآها معاوية قال: مرحباً بك ياخالة كيف كنت بعدنا ؟ قالت : بخير لقد كفرت النعمة واسأت لابن اخيك الصحبة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقك من غير دين كان منك ولامن آبائك ولاسابقة في الاسلام بعد أن كفرتم برسول الله ، فأتعس الله منكم الجدود وامرغ منكم الخدود ورد الحق الى أهله ولو كره المشركون، فكانت كلمتنا هي العليا ونبينا هو المنصور، فوليتم علينا بعد فأصبحتم تحتجون على سائر العرب بقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن أقرب اليه منكم وأولى

بهذا منكم ، فكنـا فيكم بمنزلة بني اسرائيل فـي آل فرعون ، وكان علي عليه السلام عند نبينا محمدصلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى، فغايتنا الجنة وغايتكم النار .

فقال لها عمرو بن العاص : كفي أيتها العجوز الضـالة واقصري عن قولك مع ذهاب عقلك ، اذلا تجوز شهادتك وحدك . فقالت له : وأنت ياابن الباغية تتكلم وأمك كانت أشهر بغي بمكة وأرخصهن اجرة ، وادعاك خمسة نفر كلهم يزعم انك ابنه فسألت امك عن ذلك فقالت: كلهم أتاني فانظروا أشبههم به فألحقوه به ، فغلب عليك شبه العاص بن وائل فلحقت به .

فقال مروان : كفي أيتها العجوز واقصدي ماجئت له . فقالت : وانت ايضاً ياابن الزرقاء تتكلم .

ثم التفتت الى معاويه وقالت : والله ماجرى هؤلاء غيرك وامك القـائلة في قتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله :

نحن جزينـاكم بيوم بـدر والحرب بعد الحرب ذات سعر
سكنت وحشي عليك صدري فشكر وحشي علي دهـري
حتى ترم اعظمي في قبري

فأجابتها ابنة عمي بقولها :

خزيت في بدر وغير بدر يا بنت جبـار عظيم الكفر

فقال معاوية : عفا الله عما سلف ياخالة هاتي حاجتك . قالت : مالي اليك حاجة وخرجت عنه .

(وفود أم الخير البارقية)

وروى عن ابن الكلبي عن ابيه قال : كنت جالساً عندمعاوية في دار الامارة في الشام اذأتاه غلام وقال: ان بالباب امرأة اسمها ام الخير بنت سراقةالبارقية

شعثة غبراء عليها آثار السفر وهي تريد الدخول عليك فما تقول ؟ قال: ادخلها الينا لنرى خبرها . فلما دخلت دخلت كأنها الرجل الشجاع ، فقالت : السلام على من اتبع الهدى ، يامعاوية انك قد اصبحت للناس سيداً ولامورهم مقلداً، والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ، فانه لايزال تقوم علينا من ينوء بعزك ويبطش بسلطانك فيحصدنا حصاد السنبل ويدوسنا دوس البقر ، هذا ابن ارطاة قدم علينا فقتل رجالي وأخذ مالي .

فقال لها : فوهي بما تستعظمين منه والجاني الى غيره ، وكان أراد منها سب علي عليه السلام . قالت : والله لولا الطاعة لكان فيناعز ومنعة ، فان عزلته عنا شكرنا والافعرفنا . وقال لها معاوية : اياى تهددين بقولك لهممت انأردك على اشوس فينفذ حكمه فيك. فأنشأت تقول :

صلى الاله على جسم تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لانبغي به بدلا فصار بالحق والايمان مقرونا

قال معاوية: ومن ذلك ؟ فتنفست الصعداء وقالت: هو والله الحاكم العادل علي بن ابي طالب عليه السلام، أتيته في رجل ولاه علينا وعلى صدقاتنا فوجدته قائماً يصلي، فلما نظر الي انفتل من صلاته وقال : برأفة وتعطف هل لك حاجة، فأخبرته الخبر فبكى وقال: اللهم أنت الشاهد علي وعليهم ما آمرهم بظلم عبادك ولابترك حقك . ثم أخرج من جيبه قطعة كاغد فكتب فيها « بسم الله الرحمن الرحيم . قدجاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولاتبخسوا الناس اشياءهم ولاتعثوا في الارض مفسدين واتقوا الله ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ ، فاذا قرأت كتابي فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك . والسلام » فوالله ماختمه فعزلته به .

فقال معاوية: اكتبوا لها برد مالها والعدل عليها. قالت : الي خاصة أم لقومي

عامة ؟ قـال : فما أنت وقومك . قالت : تالله انه للؤم وفحشـاء ان كان عدلا فشاملا والافلى اسوة بقومى. فقال معاوية: هيهات لمظلم ابن ابى طالب الجرأة على السلطان ، اكتبوا لها حاجتها .

[قصة امرأة تمدح علياً عليه السلام]

ورأيت فى كتاب ابن بيدمر البغدادي قال : حدث عبد الرحمن الصوفى قال : خرجت حاجاً فلماأتيت بطن مررأيت جارية مبرقعة تخاطب اخرى وتقول لها : لاوحق المنتخب للوصية المؤتمن على الرعية العادل فى القضية القـاسم بالسوية بعل فاطمة الزكية ماكان ماظننت .

قال عبد الرحمن : فقلت لها من المنعوت بهذه الصفات ؟ قالت : هو والله الذى نبذ الباطل وراء ظهره واستعمل الحق فى جميع امره الماجد القرم الذاب عن حرمات الله المؤاخي لرسول الله امير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام. فقلت : بم استحق هذا الثناء منك ؟

قالت : ياعبد الله كان ابى احد أولياء الله تعالى فأصيب يوم الجمل بين يديه، فأتانا يوماً الى جنائنا قاصداً ثم قال لامى : كيف أنت ياام الايتام؟ قالت: بخير يـاامير المؤمنين وأخرجتنى واختاً لي صغيرة اليه وقدكان خرج بى الحمـاق ـ تعنى الجدري ـ كعدد الرمل قداظلم علي بصرى بعد الدعج والبهج ، فمسح يده على رأسى ثم تأوه وانشأ يقول :

ماان تأوهت من شيء رثيت له   كما تأوهت للايتام فى الصغر

قالت: ثم امر يده على رأسي فانصرفت وقد ذهبت عنى الظلمة،فوالله انى لارى الجمل الشارد فى الليلة الظلماء .

قال عبدالرحمن: فأخرجت ديناراً وقلت خذيه . فقالت : انه قد خلف علينا

خير خلف من خير سلف أبا محمد الحسن ، فانه يكفينا مؤنتنا .

[مقامة بديع الزمان الهمذاني]

ومن ذلك ما أردت نقله هنا وهو مقامة لبديع الزمان من جملة مقاماته :

رأيت يوماً اعراباً يرحلون الى بواديهم ، فشاقني وساقني ترنم حواديهم، فتبعتهم ولاأريد الا البر الى ان وصلنا الى البر، فرأيت في البادى افانين الزهر وارايح الشيخ والشيخ ينادى يا غافلين الصبوح .

وقال : وقع عش الفراخ في الفخاخ، ووقعت بعيش رخي رحاخ،فقلت له: الكساد أفردك في البرية ؟ قال : لافساد البرية ، ثم انشد :

اوصاك ربك بالتقى	واولو النهى اوصوا معه
فاختر لنفسك طول دهرك	مسجداً أو صومعه

فقلت : مالي اراك كعود الاراك ؟ فقال : وكم ناحل بين تلك الخيام تحسبه بعض أطنابها فقلت : ما هذا المرض . قال : عياء به مات المحبون من قبل . قلت : ما أحر نفسك ؟ قال : ففي فراد المحب نارهوى. قلت : ويحك ارفق بنفسك . قال : قد رضي المقتول كل الرضى .

ولما رأى عذلي علا وصاح : لاأحمل اللوم فيها والغرام بها. قلت: اشرح لي بعض امرك لا كون مقيماً لعذرك . فقال : كنت عزيزا لهمة ، فرأيت محبوب الدنيا يفارق ولم يمض في غير ليلة ، فرفضتها لانكشاف عيبها، فنصت لي الاخرى نقابها فصاحت : العاجلة بالنفس سقي الله اربعنا بالحمى فقلت : ألا لااحب السير الا مصاعداً .

فلما ظننت انى قد علقت بالكمال برزلي جلال ذى الجلال ، وكان فؤادى خالياً قبل حبهم فأول امر جرى جرى حبه مجرى دمي في مفاصلي ، فصار ظلام

الليل يسهرني كأن سواد الليل يعشق مقلتي ، فالخلوة عندي بالحبيب قميص يوسف في اجفان يعقوب . قلت : صف لي الزهاد والمحبين فان الموصوف بالوصف يبين . فقال :

شم العرانين في آنافهم انف   من القبيح وفي اعناقهم صيد

ثم التوى ومال ثم استوى وقال : صحبي مضوا فعدا معي منهلة في اثر صحبي، ثم اشاح وصاح وأين مكان الحمى من ولهي سقياً لكان الحمى . فقلت: بالله عليك ابن . فقال :

تعسلوا من زرود وجه يومهم   وحطهم لظلال البان تهجير

ثم بكى وناح وانشد :

فعاشت الارواح ياصاحبي   سلا الاطلال والدمنا

. . . .   متى يعود الى عسفان من ظعنا

استودع الله قوماً ما ذكرتهم   الا تحدر من عيني ما حزنا

اشتاقهم كاشتياق الارض وابلها   والام وحدها والغائب الوطنا

قلت : زدني من شرح احوالهم وأفدني بذكر اعمالهم . فقال : لوسمعت أنين المحب حيث يقول ولو حملت صم الجبال الذي بنا . قلت: زدني من أوصافهم. فقال: صاحبهم أوصافهم تأيبهم يقول: اعف عني واقلني عثرتي ، ومتعبدهم يتمثل: تريدين ادراك المعالي رخيصة، وباكيهم تستغيث: فضلت دموعي عن مدى حزني، وحزينهم يهتف : سقيتني دمعي وما يروى به ظمأ ولكن لاعدمت الساقي ، والمحب يترنم : وهيهات اسلو لمن لامني ، ومشتاقهم يتمنى : وعللاني بحديث حاجر ، ومضناهم يتنفس : الصبا ان كان لابد الصبا ، ومكمدهم يتأوه: أنت النعيم لقلبي والعذاب له .

ثم خرج الشيخ من بيته يجول في البر ، فقلت : ما اطيب قلب هذا البر ، فاذا به يقول :

وأخرج من بين البيوت لعلني ... أحدث عنك النفس يا ليل خاليا
يميناً اذاكانت يميناً وان تكن ... شمالا ينا زعني الهوى من شماليا

فجعلت امشي حوله احفظه في المسالك ، فاحفظه مني ذلك وقال :

دعوني ونعمان الاراك أروده ... يجاوب صوتي طيره المتناوحا
عسى سانح من دارمية يا من ... يقيض لي عن شاهم طار بارحا

فسمع صوت حمام على شجر ، فرأيت من قلعة مالم أروجعل يجول ويقول:

وشت حمامة سلع فيالاراكةبي ... كأنما عندها من لوعتي خبر

ثم رجع فرجع :

حمامة الواديين ما الخبر ... اعرجوا بالفرات ام عبروا

ثم عاد واعاد :

احب البانه الفينا ... ذات الظل واللين
واستحلىبهاالاوراق ... في الصبح تغنيني
لها أنة مشتاق ... وترجيعة محزون

ثم اخذ يقول :

دع الهوى لاناس يعرفون به ... قدماً رسوا الحب حتى لان اصعبه
بلوت نفسك فيما لست تخبره ... والشيء صعب على من لايجربه
افن اصطباراً اذا لمتستطع جلداً ... فرب مدرك أمر عز مطلبه
احنى الظلوع على قلب يحيرني ... في كل وقت ويعنيني تقلبه

قلت : فكيف الطريق الى هذه الطريق ؟ فقال : يا طفلا في حجر العادة محصوراً بقماط الهوى مالك ومزاحمة الرجال ، يامخنث العزيمة الى ان قال : فرجع الشيخ وهو يقول :

فارقتهم والعين عين ... بعدهم والقلب قلبه

فالعين لايرقى لهاعزب | كـأن الـعيـن عـزب
ماكنت احسب انني | جلدعلى الارزاء صعب
او أنني ابقى وظهري | بعـد اقرانـى اجـب
مـا اخطأتك النائبـات | اذا أصابت من تحب

ثم قال : فجعلت امشي في حاشيته فعرفت انه ابوالتقويم ـ انتهى ملخصاً.

ومن انشائه :

قد يوحش اللفظ وكله ود | ويكره الشيء وليس منه بد

هذه العرب تقول لاابالك ولا يقصدون الذم ، وويل امه لامراذاهم، وسبيل ذوى الالباب في الدخول من هذاالباب ان ينظروا في القول الى قائله ، فانكان ولياً فهو للولاء وان خشن ، وان كان عدواً فهو للبلاء وان حسن .

[مجربات ابن سينا]

ومن ذلك ما اخترت نقله في هذا الكتاب ، وهوالمنظومة للشيخ ابى على ابن سينا المشهورة بمجرباته ، وقد اسقطت منها مالا يليق نقله :

أبدأ باسم الله في نظم حسن | اذكر ماجربت فيطول الزمن
ما هـو بالطبع وبالخـواص | لكـل عـام ولكل خـاص
في شولة العقرب نجم توأم | برأي عيـن مـن رآه يعلـم
اذا تـراؤه امـران اصطحبـا | واتفقا وذا وذا تحـاببـا
لا سيما ان قـال ذا مخيبـا | بعض لبعض كوكبان كوكبـا
ومثله نجمان في سعد بلع | رؤيته لكـل ود قـد جمـع
ومثل ايضـاً بسعد الذابح | رؤيتـه لكـل ود صالـح
تخير من شئت به فيعجبـا | ثم تقـول كوكبـان كوكبا

فينشأ الود باذن الله بينهما فلا تكن باللاهى
كف الخضيب فرقة الى الابد لكائن من كان من كل احد
اذا رآه اثنان أو جماعة افترقوا الى قيام الساعة
نجم السها مأمنة من سارق ومن سموم عقرب وطارق
فمن رأى عشية نجم السها لم تؤذه عقربة بمسها
كلا ولا يدنو اليه سارق ولا يسؤه بسؤ طارق
يغر غر العليل ذو الخناق بمرق الاشنان والسماق
لا سيما ان شابه كشوث وهو لعمرى نفعه موروث
أبلع من الصابون وزن درهم تنج من القولنج عير المحكم
وهكذا الكمون والكراويا ان أكلا محمصاً بداويا
وطبقك الاضراس فى التناوب مانعة منه لدى التجارب
تحطيطك الاظفار عند الصبح يكن لك عرضاً مزيل الملح
أعني قشور الملح انتقرحت وآلمت صاحبها وبرحت
الطخ على الحزاز دهن القمح مع وسخ الاسنان عندالصبح
فانه يذهب منها سعيها كالنار فيها ثم يورث نفيها
وهكذا قثا الحمار الرطب تعركه بالقشر لا بالقلب
اكو رؤوس كل ثالول ترى بعودتين قد حرقت اخضرا
مرارة الحية سم قاتل ونحن للسم بها نقاتل
اذا سقى السليم منه حبه برامن السم بتلك الشربه
وان سقى الصحيح منها ماتا من وقته وفارق الحياتا
نشاذر الدخان فى الحمام ينضجه الفخار من مسام
فوزن مثقال اذا ما شربا مع وزنه من الرجيع المجتبى

يخلص المسموم من مماته | من بعد يأس الأهل من حياته
وفيه سر لست أبديه لمن | ولست اخفيه لامر قد علن
يعرف بالكبريت والغوالى | وهو الرخيص ابن الرخيص الغالى
يصيب منه حب رمان العلا | وهو طبيب الهجران حرب علا
وهو الذى يدعا بطين البحر | كسكر النبات فوق القطر
للناس فيه ارب أي ارب | وهو اذا خميره الشمس العجب
سبحان من أودعه الامانة | والغوص فى الاشياء والابانة
ان يسمع الانسان صوتاً فى الخشب | فى سقف بيت فرحيل قد قرب
ورؤية السلخ من البيت كذا | ان سقطت مكانها بلا اذى
تؤذن بالرحيل والحمام | والموت ان كان خليعاً دامى
لاتغسلن ثوبك الكتانا | ولا تصد فيه كذا حيتانا
عند اجتماع النيرين يبلى | وفى البراز فاتخذه اصلا
وكل هذا شاع فى التجارب | والسر فيه أعجب العجائب
جزآن طير طيراً وجزء ملحا | وتسع خل الخمر وزناً صحا
وليكن الخل عتيقاً أبيضاً | او احمر اللون فذا وذا رضا
تستقطر الجميع بالانبيق | بالمحو والنقط مع الترويق
فناد هذا القاطر الملتهبه | محرقة غير الذى تشربه
من ساتر الكتان والحرير | والقطن والتمر مع السرير
فانه يسلم من حر اللهب | ومن حريق كله وذا عجب
وانما تعرف هذا الماء | بالنقطة الخارقة الاشياء
يطلى على القروح والاورام | وكل ما يضر بالاجسام
كالجرب الحادث والقديم | يخلص من عذابه الاليم

وهكذا الانماش باتفاق … فانه أقوى من الترياق
ثول عين وبها حيوان … كأنه في خلقه انسان
زوجان ملحومان انثى وذكر … كما وجدنا في الصفات والأثر
يخرج منها في شباط هائجا … وراكباً بعض لبعض مائجا
وقد علا الزوجين منها زبد … كرغوة الصابون حين توجد
فيأخذ الآخذ منها الزبدا … وحبة منه تقيم الأملدا
ولم يزل منتصباً قواما … من غير نوم مدة أياما
حتى اذا ما اغتسل الانسان … بالماء زال عنه ذا النصبان
والحبتان من لحوم هذا … ان شربت في مرق فهذا
وثول قرية بأرض الشام … من عمل الشقيف ذى الأجام
لاشيء للجراح كالطيون … يختم جرح السيف والسكين
وهو نبات كره الروائح … مبرد ينبت في الفلائح
بورق كورق الصفصاف … وزهره أصفر غير صاف
الحمامة الجرح بغير الورم … وغير قيح سيما قطع الدم
يضمد الجرح به وقد برا … ان كان قد جف والا اخضرا
وهكذا يصنع العقور … من سائر الحيوان والجزور
ويخرج الدود من الجراح … وكل مدفون من السلاح
وهو ضماد للبواسير شفا … وللنواسير ضماد قد كفى
وأكله يذهب حمى الربع … وماؤه يقتل دود القرع
وكلما تغرغر الانسان … بمائه تقوت الاسنان
ودهن زهره عظيم الشان … يدعا بدهن الصين فى الادهان
يخرج بالانبيق كالخلاف … وكالبزورات بلا خلاف

اذا لطخت الجرح منه مره ... الحمه فلا يخاف ضره
وهو طلا لكل نضاح اذا ... طليته أخرج من ذاك الاذى
من كل ما يحدث من سوداء ... قد أثرت على الجسوم داء
أو الشبورات التى تعرجت ... والمت صاحبها وبرحت
وكل ما كان من الاعلال ... فى جسد العليل باندمال
يخرجه أسرع من رجع النفس ... أو غمض طرف أو شهاب يقتبس
أعنى به اهل التجارب الأول ... وجربوه عند ارباب الدول
قتل ذباب الخيل فى الأسفار ... تبخ زيتاً مع ماء جارى
اذا تفلت فوق رأس العقرب ... او فمها استرخت لنحو الذنب
وذاك قبل المطر والترويق ... يغشى اذا من غير ما تعويق
كذلك الصائم والصفراوي ... ان تفلا ماتت بلا مداوي
لا سيما ان مضغا عقابا ... فانها ستعرف الصوابا
وان حللت فى الندا الشاذرا ... وبل فيه كاغذ كما ترى
ثم كتبت ما تشاء فيه ... كصورة الطلسم للتمويه
فلست تدنى منه أفعى فتعش ... لكنها تكره منه فتطش
وان مسحت جسمها فى الكاغد ... تفسخت وانسلخت عن واكد
عصيدة الرز اذا ما حشيت ... فى شعر أي دابة وانسيت
اذهبت الشعر وجاء غيره ... أبيض مثل الثلج زال ضيره
والكر لكان ان غلي بالخل ... وضيع الشعر به يا خلى
من تلك الاولى ناب شعر أبيض ... يشبه للثلج وهذا ينقض
يصير فى سواده كالقار ... ويستمر حقبة يا جارى
فى الخيل والبغال والحمير ... وسائر الجمال والجزور

امسح على الاضراس والأسنان مهلا اخى بطرف اللسان
وقل حرمت الاكل من لحم الجمل مع الكرفس أيما منه حصل
أو قل حرمت الاكل من لحم الفرس شهراً أو لا من هند بانقى الخرس
وذاك عند رؤية الهلال فتأمن الاضراس من اعلال
داوم على هذا مدا الشهور تصح أسنانك فى الدهور
تأخذ من مرارة الحداء ما تشتهى منه بلا مراء
واسخنه فى عصيدة النبات وهى التى تعرف فى الصفات
بالراز بانج النضير الاخضر وارفعه فى زجاجة مقدر
حتى اذا احتيج الى العلاج احضره فى ظرف من الزجاج
فأكحل الملسوع بالخلاف فيخرج السم من الاطراف
من حية ولسعة الزنبور وهكذا من عقرب ذى عور
هذا الذى جربته فى عمرى نظمته للمقتفين اثرى
والحمد لله على التمام حمداً كثيراً أبد الايام
وصلوات الله ذى الجلال على النبى المصطفى والال
ما ان بدا فجر الصباح العاجى بجنح دبر الظلام الداجى
وآله العصابة الزكية الانجم الطاهرة الدرية
وصحبه والتابعين اثرا ما جاء قطر واجاد دهرا
وغفر الله لنا وقد عفا عنا وعن آبائنا وقد كفى

| رسالة تحفة الدهر فى المناظرة بين الغنى والفقر |

ومن ذلك مما يناسب نقله فى هذا الكتاب رسالة لوالدي قدس الله تربته وأعلى فى عليين رتبته ألفها فى سن الشباب وسماها (تحفة الدهر فى المناظرة

بين الغنى والفقر) وهي هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الغني فكل من سواه فقير، المتنزه بكماله عن الشريك والشبيه والنظير والظهير، قسم على عباده الارزاق وقدرها أحسن تقدير، ودبر الكائنات بحكمته البالغة اكمل تدبير، والصلاة على سيدنا محمد أشرف نبي واكمل نذير، وعلى آله المخصوصين من الله سبحانه بآية التطهير، وأصحابه الظاهرة آثار فضلهم كالبدر المنير، صلاة تكون لنا جنة من عذاب السعير .

اما بعد: فيقول كاتب هذه الكلمات المرتجي من مولاه الصفح عن الهفوات، واذهاب سيئاته بالحسنات :

اني في زمن زماني بيد البغي والعدوان، بين انياب الهموم والاشجان، وار كبني على متن النوائب، وجرعني كأس الاهوال والمصائب، مارمت الفرار من صروفه الا رأيتها لي كالرفيق، ولا أردت القرار الافرش لي مهاد العسر والضيق، ان طلبت الصبر رأيته معدوماً، او ظننت أمراً وجدته موهوماً، وان اتخذت فيه صديقاً للارفاق اقتطعه عني الى مفاوز الافاق، اشكال آمالي فيه دائمة العقم، وتصورات مطالبي لم يدن لها الحكم، تمييز أحوالي فيه ملازم الابهام، وخفض طالعي مرفوع الدلائل والاعلام .

حتى كأني لسهام الصروف غرض، ولجواهر الاهوال الشديدة عرض، اذ سميري جليل الافكار، وجليسي مشوشات الاكدار، مع أني قد رضيت منه بالصفو اليسير، واستغنيت بقليل عيشه عن الكثير، علماً مني بأن غرس ما اتمنى لايثمر، وليل الهم والغم به لايقمر، وكم بثثت له قبول الاعذار، وخلعت لاجله ثوب الاستكبار، وجلست في زوايا القناعة، ووقفت لاوامره على قدم الطاعة، ولم اجد منه الامحض الاضرار، والقصد بسهام الاضرار، فكأني له من جملة

الخدم ، او كأنه الذى عوضنى الوجود عن العدم ، وهاانا اقول والله سبحانه المأمول :

من لى عذير بدهر ناصب أبد	اشراك عدوانه والبغى فى سبيلى
ما رمت امراً ولا أملت من امل	الارمانى بخطب فادح جلل
وكيف احتال فى دهر مساعده	حكم القضا فى ذهاب الحول والحول
فان يكن لائمى شخص فمعذرتى	انى بوجدى عن العذال فى شغل

فيالله العجب من دهر لايؤب عن جرمه ، ولا يداوى بحسناه اثر كالمه، ولا يصغى اذا نطق انسان بعذره ، ولايمتنع من القصد بسهام مكره ، فاحتمال المعونة منه كالمحال ، ورجاء الصفح ليس اليه مجال ، ان وعد لايفي بالوعود ، وان سمح بالنزر لايجود .

ارباب الكمال فيه في المقام الادنى ، وذوو الجهل خصوا بالمقام الاسنى ، حتى أصبحت تجارة المعارف فى غاية الكساد، وبضاعة الادب لايسومها حاضر ولا باد ، بل يعد أرباب الفضائل فيه من قسم الجماد ، والفصحاء أدنى من عجز عن فهم المراد ، ولهذا عادت ريح العلوم بين الانام راكدة ، ونارها فيما بين العالم خامدة . وكيف لاوان تفوه أحد بمعنى رائق أو تكلم بلفظ فائق، اتخذه الناس فيما بينهم سخريا ، وأحفوا الاثر الى ان يصير نسياً منسياً . فالى الله المشتكى من زمان هذه شيمته وفعاله ، فبيده سبحانه رفع هذا الضرر وزواله .

هذا وقد انكشف لى في بعض الأحيان ، مع تراكم غيوم الغموم والاشجان، لمعة من سماء خلو البال ،كانت كأنها طيف الخيال ، اذ الدهر بمثلها كثير الضن كما هو اليقين لا الظن ، فانفقت منها انا يسيراً فى مناظرة بين الغنى والفقر ، ليكون العاقل على بصيرة فيما اشتمل عليه من الغرور هذا الدهر، كل ذلك على مقتضى لسان الحال ، وعلى الله سبحانه الاتكال ، فأقول :

لما كان اهل الزمان أعنة ابصارهم مصروفة نحو الشهوات ، وكنوز أسمارهم مبذولة فيما امتزجت به من الشبهات ، ومطمح نظرهم في جمع حطام هذه الدار ، وغاية مقصدهم خدمة من حوى الدرهم والدينار، حتى أصبح لذلك الغني لابساً اثواب التكبر والافتخار ، ومتسماً بسيماء اهل الكمال في هذا العالم والاعتبار ، ظناً ان استحقاقه انقياد الناس اليه لعلو شانه ، وامتيازه عنهم بما استقل به مما جمع دون امثاله واخوانه ، فلم ير لذلك الفقير بالنسبة اليه الا أحقر حقير ، ولا يخطر بباله أن يكون له في الانام شبيه ونظير ، بل لم يكتف بالترك والاعراض ، حتى جعله للسباب غرضاً من الاغراض . فلا جرم حصل للغني على الفقر بسبب ماذكر مزيد الاستيلاء والقهر ، وقدرماه عند ذلك بأعظم السهام ، وقصده بأشنع الكلام فكان من جملة مافاه به من المقال ، ونطق به لسان الحال :

انك ايها الفقر لباس الذلة ، في كل شرعة وملة ، وباب الهموم والفكر ، ومناط المحن والضرر ، بك تقصد أبواب الدول ، المتفق على ذمه من الاواخر والاول ، وأنت السبب لاشتغال الحواس بجمع الاقوات ، في غالب الاحيان واكثر الاوقات . وذلك هو الموجب لعدم الاخلاص في العبادة ، والاعراض عن الافادة للكمالات والاستفادة ، وكفاك ان صاحبك يتحمل اوساخ الناس ، التي هي أظهر الادناس . وحسبي ان الوصف بي من اكمل الاوصاف ، عند اهل الفضل والانصاف ، وبسببي يتوصل الى القرب ، وينال كل مطلب وارب، ولولاي لم يبلغ احد البيت الحرام ، ولم ينته الى المشاعر العظام ، وبي تكسب اكثر المزايا، وتعلو أقدار جميع البرايا، ولاجلي نظم اهل الاعتبار قديماًوحديثاً محاسن الاشعار ، ولو لم يكن الا اني علة الكرم الذي هو أحسن الشيم لكفاني فخراً وعلواً وقرباً من اهل الكمال ودنواً ، ثم انشد :

يقولون اهل الجهل لاخير في الغنى فقلت وهل الا به يجبر الكسر
وحسب الغنى فخر أمدى الدهر أن من غدا وصفه يدنو له الحمد والشكر

فلما فرغ من الكلام أو عليه أشرف ورأى الفقر أنه زاد فيه واسرف، صمم العزم عند ذلك على المفاضلة ، وان آل الامر الى المباهلة ، ثم حسر عن ساعده وشمر ، وهمهم في كلام وتنمر بعد أن سلم للقضاء، وعزم على يسير في الفضاء ، ثم قال : ايهـا الغنى كأنك تحسب ان انقطاعي عن مناقشة امثالك ، وترك وقوفـى لحربك وجدالك . انما هو لتأميلي يسير نوالك ، ورجائي حقير افضالك ، بل انما فعله من اتصف بي لفرط الجهالة ، وسلوك سبيل الضلالة ، والا فقدري من ذلك أعلى ، وقيمة نفسي من نفسك اغلى ، وحيث قد تجاهرت بما كان مكتومـاً في ضميرك، وأبرزت ما تخليته نافعاً من تحذيرك، وفتحت في الافتخار هذه الابواب، ولبست في العجب والتكبر هذه الاثواب ، فأنا مبدلك عنه أوضح جواب، وموضح لك باطله من الصواب . ولايخفى عليك أن ما رميتني به هو بك احرى، بل أنت اعلم بكنه ذلك وأدرى ، فانك قرين اهل الضلال والغواية ، والضد لكل من سلك سبيل الحق والهداية ، وكيف لا وقد منحت أصحابك ثوب الاستكبار ، الذى هو عند الانصاف أقبح الشعار .

ثم ان ما أدعيته من الوصف الحسن لأصحابك عند الملاحظة تركه اولى بك، وان أهلك قد جمعوا ذميم الاوصاف ، وانقطع منهم حبل الارفاق والانصاف ، ولئن كان يتوصل بك الى شيء من شريف الاعمال ، فلغيرك ما هو أكمل منه في الاقوال والافعال ، وادعـاء وصف الكرم المقتضى لمدح الامم انمـا هو من جملة الأوهام الفاسدة والخيالات الواهية الباردة ، بل الكرم من جملة السجايا لا من الحطام الذي يجمعه البرايا .

ثم على تقدير تسليم مقالك والنظر الى سخيف ما رؤى من فعالك ، فـان

من العيوب الواضحة ، والامور القبيحة الفاضحة، ماهو منتظم في سلك القبول عند كاملي الفكر والعقول ، سيما أنك محل الربا المحظور بالاجماع ، وسبب التهمة الموجبة للدعوى والنزاع. مع ذهاب النفوس لاجلك فى الاسفار ،حين يتحمل عظيم الاهوال والاخطار ، ولو لم يكن الاقول ذى المنة انما اموالكم فتنة ، لكفى بذلك نقصاً وسقوطاً وحطاً عند اهل الكمال وهبوطاً ، ثم انشد لنفسه :

عجبت لذى فخر بمال ولم يكن ... بذى منح يستوجب المدح والحمدا
وأعجب منه ذو افتخار بوالد ... وفى نيله العلياء لم يبلغ الجيدا

فلما سمع الغنى هذا المقال استشاط عند ذلك ثم قال : أيها الفقر لمثلى بهذا تخاطب ، وانا عون ذوى المناصب ،كأنك لم تعلم أني من اولى البأس الشديد ، والرأي الصائب السديد ، بسببي تعظم الهمم وتفخر الامم ، وتحمل الاثقال وتجمل الاعمال، ويقطع اللجاج ويصلح المزاج ، ويفك الاسير ويجبر الكسير ويحصل اليسير، ويحسن الذكر ويصفو الفكر ، ويقام التدريس ويبرز كل معنى نفيس ، وأنت أيها الفقر من موجبات الغربة ، واحد أسباب العزبة ، بك يحصل النشوز والشقاق ، اللذان كل منهما سبب الطلاق ، ويرمى المرء بالتهم ، وتفسد المعد بالتخم ، وتقل القوة ولم يحصل وصف الفتوة ، وتلجى الى السؤال الذى هو أقبح الخصال ، ويقل الشكر على الانعام ويطول بسببك لسان الكلام ، ثم انشد لنفسه :

لاخير فى امر يهين الفتى ... ويرتجى منه نوال الملوك
فان تكن حراً فكن حازماً ... واحذر بجهدمنك هذاالسلوك

فلما بلغ الفقر ذلك ازودت مقلتاه واحمرت وجنتاه ، ثم قال: أيها الغنى ان عيب كلامك مكشوف وبدر ألفاظك مكسوف ، اذهو دعوى بغير برهان

وترجيح للمطلوب من دون رجحان، وعلى تقدير التنزل والتسليم والقول بأن فيها ماهو سليم، فليس البأس الشديد الامن شيمة الخديد، واحتمال مقولية التشكيك في هذا المقام لايكفيك، فان الجبن بأصحابك مخصوص، وذم أوصافهم به في الخبر منصوص، وادعاء عظيم الهمم من الخرافات، وأعظم ماعلى المرء من الافات، فانها من سيماء اصحاب الكمال وأين هو من جامع خسيس الاموال، وحمل الثقيل يقتضي للدواب التفصيل، واصلاح المزاج بالصيام أولى من علاجه بالطعام، والتغرب عن الاهل من أسباب الفضل، وحديث المال والجمال يكشف عن فساد المقال، واحتمال النشوز بالاغارة على التعارض امارة .

فقال له الغني : لقد سلكت أيها الفقر أوعر طريق، وأبعدت عن منهج التحقيق، وسأكشف لك من الاوصاف الشائن وابرز بحسب جهدي لك الدفائن، حيث انتصبت لنضالي ولم تخش كلم نصالي، اذكان الواجب عليك لي الخدمة، وطاعتي في كل لفظة وكلمة، وهب انك في فن المعاني سعد الدين التفتازاني، وفي مباحث اصول الدين نصير الملة والدين، وصاحب نزهة الطرف في علم الصرف، وسيبويه في العربية والزمخشري في دقائقه السنية، والبيضاوي في سبك التفسير وفي القراءة صاحب التيسير، وابو تمام في الاشعار وابن خلكان في الاخبار، وصاحب زهر الربيع في علم البديع، وسطيح في الكهان والخليل في الاوزان، وفي اللغة ابن دريد وفي النوادر ابو زيد، فما انت الاقطرة من بحري وحصاة في نهري .

على انك أيها الفقر كأنك تحسب ان نطقي لك بهذه الالفاظ رجاء للنفع بك في شهادة الكمال بالتنبيه والايقاظ، بل أنت عندي في أدنى مكان من زوايا الخمول. وخطابي لك أعده من جزئيات الفضول، غير أنه ليسمع بذلك من هو من امثالك فيما نسبح من التمحلات على منوالك، ليكون تنبيهاً مما هو فيه من الغفلة،

وتغتنم في خدمتي وطاعتي هذه المهلة ، واقسم بمادح الجود وذام خلف الموعود ، لئن لم يمتثل امري كل سامع ويتبع سبيلي الداني والشاسع ، لاجعلنه احدوثة في سائر المجامع .

واظنك ايها الفقر لم تعلم حقيقة حالي ولم تسمع بالامس ماتكلمت به من النظم في مقالي ، ثم انشد لنفسه :

اهل مخبر هذا الورى أن همتي	على كل عال قد تسامت على الرغم
ولولا امور صوب الرأى طيها	صعدت على كل الانام الى النجم
وهاانا قد أصبحت في الناس عالماً	بكنه الذى قد اضمروه من الوهم
فمن لم يكن طوعاً لامري جعلته	على سائر الاحوال دون الورى خصمي

فلما سمع الفقر ذلك قال على سبيل التهكم : كأنك ايها الغنى تزعم أن الفضل بالتحكم ، فان هذا مقام الجواب والسؤال لاموطن الحرب والنضال ، واللائق من أمثالك النظر بعين الانصاف لاسلوك منهج الاعتساف، اذمن هوفى العلوم ماهر لاتخفى عليه شرائط المناظر ، فالانسب ملاحظة العواقب قبل النطق بما يبلغ الثواقب، حيث ان زلة العاقل كبيرة وهفواته خطيرة، وأما لسان الكلام فهو طويل غير أن كل مدع لابدله من دليل ، والالفاظ كلها منقولة وان كانت غير معقولة ، وقد شاع ان من اكثر كلامه أورثه محض الندامة ، فلو شئت لقلت انك لم تعرف شرائط البرهان المقررة في علم الميزان، ولا المرادمن الكعاب المذكورة في علم الحساب ، ولا الجملة الحالية في علم العربية ، ولا العلة والتضعيف من علم التصريف، ولاتناهى الاجسام من علم الكلام ، ولاحقيقة الموجودات ماهي الذي هو موضوع العلم الالهي ، ولااطلعت على كتاب النواميس الذى ألفه ارسطا طاليس، ولاسمعت بعلم الجدل، ولابلغك الفرق بين عطف البيان والبدل. ولاعرفت كنه الصحيح من الرواية المقرر فى علم الدراية ، ولاعلمت من أوزان

الخليل الاشيئاً هو أقل من القليل ، ولا بلغك الفرق بين السحر والسيميا ، ولا علمت المراد بالفلزات في الكيميا ، ولااطلعت على ما اشتمل عليه كتاب الملل والنحل المنبه على جميع احتلاف الاواخر والاول، ولاقرأت في علم النجوم المشهور نفعه في العلوم، لكن ذلك مني غير لائق لعدم الاطلاع على الحقائق ، وان غلب على الظن فيك قصر الباع وسوء النظر في الامور والاطلاع ، الا ان النصيحة ربما تجر الفضيحة .

على انه لو فرض انجريراً بين يديك في حبل الحيرة مجرور ، والكسائي عند فضلك كأنه غير مذكور ، وسيبويه في قالب العي، والزجاج لايعرف الرشد من الغي ، وسحبان وابن حجر في بحر الحيرة والفكر ، وحسان وجميل في الخطب الجليل، ومعمر بن المثنى لعدمه يتمنى ، لانفت أن تكون بين يدي على قدم ، أوتعد لي من جملة الخدم ، وليس ذلك مني ابتغاء لحسن الذكر ، ولا رغبة في الاقسام بالكبر، فقد سمعت بحديث التنوخي في حي بني عامر، المصرح بقصته في بعض كتب الاواخر، وخبر معن المشهود في الانام مع الاسود ماسك الخطام ، وخبر كثير مع العجوز بعض الاحيان المعد في نوادر الزمان ، وحديث الكسعي في الندامة الذي جعل الناس في الامثال كلامه ، وخبر موسى مع الخضر المصرح بمجمله في الذكر .

بل انما ذكرت لك ذلك لتعلم أن لكل كلام جواب ، وبأزاء كل باطل عند ذوي العدل والانصاف صواب، وليتفطن أن المعلومات غير محصورة، ولا جميعها في كتب الافاضل مذكورة، وثمار الافكار اجل وأكثر من ثمار الاشجار، فلايتخيل الاطلاع على كل مكتوم ، والاحاطة دون العالم بكل معلوم ، وينبغي لك النظر فيما يصلحك في هذه الدار ولا تسلك سبيل الزهو بحطام الدنيا والاغترار. فان ذلك سيماء اهل الجهل الاغمار، لاالفضلاء المقتفين محاسن الاثار،

وكفاك تذكرة ان رمت للنصيحة فيهما قوله تعالى « وقل رب زدني علما » .

وقال له الغني : لقد اطنبت أيها الفقر في المقال ، واكثرت فيها لايغني مما وسعه منك المجال، فكأنك تحسب انخاطري لك يصفو ، واني عن ذنبك اصفح واعفو ، بل أنت في غاية القصور ولو رأيتك جالساً في اعلى القصور ، ولو لا خوف العول لاطلت في جوابك القول ، غير أنك ان كنت ممن برع في العلوم ومهر وبذل نفسه في طلب المعالي وفي العواقب نظر ، فها انا ذاكر لك على سبيل الامتحان سؤالا يفضحك بين أبناء الزمان ، والغرض ذكر الجواب في الحال الحاضر من غير أن يذكر لك جوابه ذاكر ، ثم انشد والاختبار المقصد :

يـا ايهـا الاوحـد بين الورى ومـن لديـه كشف ذا اللبس
ما ذا الذي في الشرع تحريمه يـزول اجماعاً لـدى الحـس
وما الذي يكشف عيب الورى من كـل ذي عقـل وذي نفس
ولـم يكن فـي ذاك من مانـع شرعـاً وهـذا شائـع الجنـس
اجب فلا زلت مفيداً لنا وطالع الحاسـد فـي النحس

فلمـا استتم الغني كلامه وابدى ما اراده ورامه ، التفت اليه الفقر التفاتـة الغضبان ثم قال : لحى الله هـذا الزمان ، كأنك ظننت أن ما نطق به لساني فيه تعظيم لنفسي وعلوشاني ، لتكشف عن وجه التهكم القناع وتسلك طريق المكر والخداع، بل انما ذكرته لتظهر لك الحقائق ويعرف الفرق بين المائق والعائق، على أني وان لم اكن داخلا في اهل المقام الشامخ ومتحلياً بحلية ذوي الشرف الباذخ، لما أعجز عن جواب سؤالك على ماذكرت من مقالك ، فان هذا النوع من الادب شائع بين جهال العرب ، اذ ليس في معانيه دقة ولا في ألفاظه فصاحة ورقة ، ثم انشأ في الحال قاصداً جواب السؤال :

يا كاملا قـد حل أوج العلـى تفديك من دون الورى نفسـي

شرفت قدري بالذي قلته | حقاً ولو أدخلت في رمسي
هذا وعندي الآن بعض الذي | أفدت لكن ليس في الحبس
وهو حلال بعد تصحيفه | وليس في ذا القول من لبس
ثم الذي يكشف عيب الورى | لم يكن بالمختار كالشمس
وليس ذا يخفى على ناظر | بالعين ان لم يبد بالحدس

فلما فرغ الفقر مما انشأه واستتمما بدأه ندم الغني على ما سبق من الصنيع وعزم على ترك الكلام الشنيع ، لما رأى من سرعة الجواب والموافقة لنهج الحق والصواب ، ومال الى العفو والصفح وان لم يوافقه اللسان على مايقتضي المدح ، فكف عن السباب وفتح للاعتذار الباب ، ثم قال: ايها الفاضل ان أردت زوال الريب في امرك لاكون مطيعا لك سامعاً لعذرك ، فأجبني عن هذه الاسؤله وان كان بأجوبة مجملة ، وليس الغرض بطلب البيان الا تحقيق ماشاع في امثال الزمان .

فقال له الفقر : ألم يسبق مني اليك الاعتذار بقصوري عن بلوغ مرتبة اهل الاعتبار ، فاني لست رحيب الباع ولا كثير النظر والاطلاع ، بل أقل الانام وغريق بحر الخطايا والاثام ، وكيف لا ولم ارتضع من ثدي الافاضل الا القليل ، وفيما أبديت لك من الجواب السابق أوضح دليل ، وعلى تقدير ان اكون ممن العالم بفضله اعترف ومن حياض علم كل نحرير اغترف ، فلست معصوماً من الزلل الموجب للخسران باحباط العمل . نعم ان رضيت بالاتيان بالمقدور وذكر ما هو لدي ميسور ، فربما لجوابك أتصدى وعن الاختصار لا اتعدى ، فان زلة القدم توجب الوقوع في الندم .

فقال له الغني: اني ومنزل المطر ومبيح الفسخ عند الضرر ، لم أقصد بالسؤال الحاضر الا اشاعة فضلك الباهر ، فان خطر في بالك غير ما نطق به اللسان فهو

من جملة وساس الشيطان .

فلما سمع ذلك الفقر وفهم أنه اضمر فى نفسه المكر ، قال : تحسب أن طرفك في ميداني يحول واعتقاد مكرك عن خاطرى يحول، لانى أرجو من الله سبحانه الاعانة على الجواب واسأله التوفيق لاصابة الصواب، فقل ماخطر ببالك وان لم يمدك جواب ذلك .

فقال الغنى: ايها المولى الجليل ماعندك من الفرق بين الامارة والدليل ، وما حقيقة معنى الانتقال المشروط عند اهل العربية في الحال، وما بلغك من الفرق بين الحقيقة والمجاز وما معنى الصرفة المذكورة في وجه الاعجاز ، وما الفرق بين الواجب والفرض ، وما وجه الجمع بين حديثى الصدقة والقرض ، وبم يتفصل الفاعل المجازى عن النائب ، ولماذا أطلق على الباري سبحانه ضمير الغائب ، ولاي شيء نصب المفعول ، وبأى فرق يعرف المرتجل من المنقول ، ولماذا لايدخل الجر الافعال ، وبأى شيء فصل الاشتراك عن الاجمال .

فلما سمع الفقر مارامه من سؤاله ظهر منه السرور بحسب حاله ، ثم قال : ايها الغنى قد استسمنت المهزول وأعددت للحرب السيف المفلول، بمثل هذه الاسؤله ينطق اهل الافهام المعدون لابلاغ الاحكام والافهام، فهلا سألت عن كشف البيان في معنى متشابه القرآن، أو عن وجوه علاقة المجاز على وجه الاختصار والايجاز أو عما للاسماء من الاقسام أو عن حقيقة طفرة النظام ، او عن وجوه الاشتقاق التي انعقد عليها الوفاق ، أو عن الفرق بين الاسم والمسمى ، أو عن التميز بين اللغز والمعمى ، أو عن الفرق بين التحيز والحلول المقرر عند محققى الاصول، أو عن برهان التطبيق على وجه التدقيق والتحقيق ، أو عن اقسام المد والوقف ، أو عن تفسير حقيقة الحرف ، او عن واضع اللغات ، أو عن الفرق بين الاسماء والصفات ، أو عن اقسام الصفة المشبهة على التفصيل ، وما

الفرق بينها وبين أفعل التفضيل ، او عن وجه الطهارة للعبادة ، ولم سأل موسى من الخضر الافادة، أو عن وجه حسن التكاليف وبماذا حصل لبني آدم على غيرهم التشريف ، أو عن وجه أفضلية النية على الاعمال مع مزيد المشقة في الاتيان بالافعال ، أو عن وجه اختصاص الباري سبحانه بالصوم في الحديث الشائع بين الناس في قديم الزمان والحديث .

فقال الغني بعد سماع ما أبداه الفقر وعلم انه ذو احاطة في الامر : أقصر ايها المولى عن مقالك فقدعلمنا بحقيقة حالك، اذ أنت اوحد هذا الزمان والفائق على جميع الاقران ، فأنى للشاعر البحراني ان يلحقك في دقة المعاني ، اماين لابن سليم ان يسلك منهجك القويم ، ومتى يشبهك ابن العفيف في أسلوبك الظريف ، وأنى للفاضل ابن جابر ان يكون بين يديك كالمناظر ، وهيهات ان يلحقك الحسن بن رشيق في حسن التدقيق وكمال التحقيق ، وكيف يتكلم متكلم بمضاهاتك لابن المعلم ، ومن أين لابن فتيان ان يجرى في هذا الميدان، ومتى يصلح لابن البواب لبس هذه الاثواب ، فمثلك من يقصد لحل الرموز ويستغني بوجوده عن دليل العجوز، فان ارسطاطاليس عاجز عما أبرزته من المعاني، وأفلاطون يكل عن تشبيه هذه المباني ، وسقراط لايحرم فهمه حول هذا الكلام ، وساميا لايصلح أن يجلس على فرش هذا المقام ، وأقليدس وبطلميوس بعد فضلك طالعهما منحوس . هذا مع ان يعقوب بن اسحق منك استفاد ، وحنين بن اسحق بلغ ببركتك المراد، واحمد بن سهل بسببك حصل له الفضل والقسم بن سلام مكر صار من الاعلام، والفتح بن خاقان لولاك ماحاز هذا الشان ، وابن لولاك شعره ما ابانه ، وما استفاد الزهد ابن باب الاحين أمطر فضلك هذا السحاب . ولعمري لقد البستني من النعماء أنفس ملبوس ، ودفعت عني كل ضر وبؤس ، وهيهات ان أؤدي شكر ما اوليت او أمنحك عشر ما اعطيت .

وحيث كنا سلكنا سبيل الخطا واسرعنا في التشنيع الخطا ، فالغرض ستر العيوب والعفو عما سبق من الذنوب ، فان مثل المولى من يصفح ويعفو وعين الانصاف منه لاتغفو ، ثم انشد في الحال بعد الاعتذار بما قال :

عن الذنب مني عفوك الان لائق ولا سيما اذ لم يكن منك عائق

وان كنت قد فرطت فيما فعلته فان لساني باعتذاري ناطق

وهبني فعلت الذنب عمداً فانني بعفوك يا مولاى ما دمت واثق

فلولا الرضى والحلم ماساد في الورى اناس ولولا الجود ماجاد رازق

فلما سمع الفقر هذا الثناء الجم عزم على مقابلته بماهو اكمل منه واتم، فقال: لاشلت منك الايادي ، ولا برحت سابغة عليك الايادى ، فلعمرى ان عساكر ابن عساكر مكسورة لديك ، وابن السمين ضعيف بالنسبة اليك ، وابن الخبير علمه كالموهوم ، وابو البقاء فضله كالمعدوم ، والفاضل ابن الخطيب عود فهمه غير رطيب، والاوحد ابن مالك اعقله غير مالك ، والكامل ابن هشام في وادي الحيرة والهيام ، وابن عمار في بحر الافكار ، وكثير عزة اقل قليل ، وجميل بثينة غير جميل ، وقيس بن ذريح غير معدود ، ومجنون ليلى جيب صبره مقدود ، وابن النبيه فى غاية الغفله ، وابن الظهير قد عدم عقله ، وابن المعتز فى نهاية الذلة ، وابن التعاويذى قد نهكته العلة ، وابن جنى كالمجنون ، والاعشى يتمنى انه لا يكون .

هذا مع انك أعلم من العرب بنيرانها ، ومن العروضيين بأوزانها ، ومن النحاة بالامثال ، ومن المنطقيين بالاشكال ، ومن الفقهاء بالاقوال ، ومن علماء الاصول بتحقيق الدليل والمدلول ، ومن الحكماء بالحكمة العزيزية والانواء السماوية ، ومن المنجمين بمعرفة السعود والنحوس ، ومن اهل الهندسة بشكل العروس ، ومن علماء اللغة بدارات العرب ، ومن اهل الموسيقى بالات الطرب،

ومن علماء الدراية بصحيح الرواية ، ومن علماء التقويم والزيجات بمعرفة مقادير الحركات ، فأني يضاهيك احد في الكمال واليك جميع الفضل آل ، وكيف لا وابو نصر من فضل مابك استقى ، ومن هبوب نسيم تدقيقك اعرب الذكر ابو البقاء ، والفاضل ابن الحل بك عقد الاشكال حل ، والكامل ابو المعالي منك استفاد المقام العالي ، وبما حباك به مولاك من الالطاف استفاد حسن الجواب ابو الهذيل العلاف ، ومن جزيل فضلك المعروف استفاد المنح الكرخي معروف ، ومن قدرك الكبير حصل الكمال الصولي الشهير ، ومن نفسك الابية استفاد زهده ابن القوطية ، وكفاك فخراً أن الفضل بن يحيى من جملة احفادك ، وكافور الاخشيدي ممن سلك طريق ارشادك ، والصاحب ابن عباد أوحد الزمان من المعدودين لك في الاعوان والفضل بن سهل من جملة الاهل ، وهارون الرشيد أحد العبيد ، وسيف الدولة من جملة العيلة ، وابو دلف من مائك اغترف ، ومعن ابن زائدة عطاياه من فضلك واردة

على ان اياديك عندي ايها المولى غزيرة ، ومننك لدى بالفصح عن العثرات غير حقيرة ، وأنا الاحق بالاعتراف بالتقصير والاحرى بطلب العفو من فضلك الخطير ، ولئن ركبت على متن العجز عن القيام بواجب الحقوق ، وانتصبت لمناواة مقامك واكثرت العقوق ، فأنت صاحب الجود والك شرطي ألا اعود ، ثم انشد مجيباً على وجه الاعتذار راجياً منه الصفح عن العثار :

تعاليت قدراً أن يضاف الك الذنب	وان لساني منه يبدو لك العتب
ولكن لدي الذنب والعفو منكم	هو المرتجى في الدهر مادمتم حسب
وحاشاكم ان لاتجودوا لطالب	رضاكم ونحو الغير ماعاش لايصبو

فقال له الغني : لافض الله فاك ، ورحم جدك واباك ، فمثلك من يقصد النفع ويصغي الى فوائده السمع ، وتدوم لاجله الصحبة وتفعل لاجله القربة ، ولديك

يليق الخضوع واليك يحسن في المهمات الرجوع، وبك يستفاد من الوسواس وتستقل بكمال الادراك الحواس، وبفضلك تفخر الأزمان وبطاعتك يحصل الأمان وببركاتك تنال المطالب وبدعائك يتوصل الى المآرب، وكيف لا وابن ادهم من جندك، ومسكين الدارمي اخذ زهده من عندك، والسهروردي اعترف من بحر افضالك، ومالك بن دينار استفاد من كمالك، والبروي استفاد منك الوعظ والاستكانة، وابو البركات لولاك ماحصل له الورع والامانة، وابراهيم القرشي منك استفاد الكرامات، وابن شمعون بسببك نطق بتلك الاشارات، وابو العباس الزاهد الى كمالك فضله عائد، والعبادي المعروف بالامير استفاد وعظه من علمك الخطير.

غير أنك ايها المولى الكامل والأوحد الحبر الفاضل، حيث قد وقع منا على الاتفاق الاعتماد بعد جهادنا النفس الامارة ابلغ جهاد، فالانسب لنا المعاشرة بالمعروف واجتناب كل سبيل مخوف، واعلام كل منا لاخيه ما في نفسه مكتوم ليكون في جميع أحواله منه على امر معلوم، فان ذلك من شرائط الاصحاب واحسن أوصاف الاحباب، وبدون ذلك يبقى كل منا على وجل الى انقضاء العمر وفناء الاجل، وهو حينئذ موجب لاعادة ماكان والخروج عما وقعت عليه العهود والايمان. على أنه قد بقي في النفس شيء على سبيل الاستفادة والغرض من جنابكم أن يكون القصد لعبدكم محض الافادة، من دون اسراف في المديح وان امكن بالاضمار فهو أولى من التصريح، وها هو على حسب التيسير والقصد المسامحة في القليل والكثير، ثم انشد ما خطر بعد الاعتذار بما ذكر :

يا ايها الحبر ومن عنده	فنون كل العلم محصوره
ومن بنعماه قلوب الورى	أضحت مدى الايام مجبوره
ما اسم ثلاثي لدي قلبه	صلاة بعض الناس محظوره

لكن على بعض المعاني له　　　وبعضها في الذكر مذكوره

وان تصحف قلبه تلفه　　　ثيابه الاجساد مستوره

فقال الفقر : لله در زمان أطلع بدرك وأعلى الله في العالمين ذكرك وقدرك فلقد جئت من القول بالسحر الحلال ورويت ظمأ قلوبنا من ماء فضلك الزلال، ولعمرى ان اللسان عن بيان بعض أوصافك قصير وكمال صفاتك وان أطنب فيها الذاكرون فهو قليل من كثير، ولولا أجر الاجابة لكان ترك الكلام أقرب الى الاصابة ، اذ ما اذكره في جواب مقالك لايعد ممايليق بحال امثالك. ثم اخذ في الافتكار بعد ما قدم جملة من الاعذار، وأنشد في تلك الحال مجيباً عن السؤال :

يا كاملا اوصافه قدغدت　　　بين جميع الناس مشهوره

ومن جيوش الفضل عادت به　　　على خميس الجهل منصوره

ان الذى ألغزته اصبحت　　　ألفاظ نظمي فيه مسطوره

وما أظن الامر يخفى وقد　　　وافقت اللام به سوره

فلما سمع الغني الجواب وعلم انه على وفق الصواب ، قال مستحيياً مما أبداه ومتفكراً فيما جمعه من الكمال وحواه : لاقلت منك الضارب ولا زالت آتية اليك المطالب ، لكن ذلك غير عجيب من المولى ، فان قدره من ذلك أعلى، غير أن وساوس الصدور توجب على المرء اضطراب الامور، وان كان الباطن قد صفا من كدر النفاق والقلب لزم المودة السليمة وراق . فان رأى المولى من غير ملالة ان يظهر لي لماذا صار به في هذه الحالة ، اذ عوارض الدهر وان كانت كثيرة الاسباب محتملة للاكثار والاطناب، الا أنها مقولة بالتشكيك وفيها المتين والركيك، والغرض علم العبد بالتفصيل وعدم القناعة عن الكثير بالقليل، فلعلي أن اكون لك معيناً اذا صرت لها مبيناً .

فقال له الفقر: أيها الاخ ان شرح حالي يطول فيه القول ، وبيان مجمل

ضرى يحوم حوله الغول، اذ الطالع في الدهر منحوس والحظ فيه منجوس ، ما مددت يدى لامر الا ورأيتها قصيرة ولا رجوت النفع من هذه الدارالاكانت بالمنع جديرة ، غير أنك ينبغى أن تعلم أن الرجال بالنفوس لا بحطام الدنيا وحسن الملبوس، والفخر بالكمال لابجمع المال، والعلم بمجالسة القوم لابطول النوم ، وها أنا ذاكرلك من شرح حالى فى النظم ما يمكن بيانه ، ومظهر من سري مالا يسعنى اضماره وكتمانه ، ثم انشد على الارتجال ما اقتضاه الحال :

يا سائلى آلان عن مقامى ... وما الذى ساق لي البليه

ان حديثى يطول شرحاً ... عن كشفه تعجز البريه

لكن سأنهى اليك بعضاً ... منه فنفسى به سخيه

فلا تكن فيه ذا شكوك ... اخباره كلها نقيه

ورب شخص ثقيل طبع ... عن صدقها نفسه ابيه

فكن سميعاً ولا تلمني ... أسباب ضرى اذاً قويه

قد كان بالصفو جاء دهرى ... حين صباحى وبالعشيه

فنلت ما اشتهى ودارت ... على الاعادى رحى المنيه

ثم رمانى بسهم غدر ... والدهر افعاله رديه

ان جاء بالوعد ليس يوفى ... وبالردى نفسه سخيه

أفعاله رفع كل غمر ... وخفض من خص بالمزيه

فان يلمنى اخو ملام ... فالحال عن نعتها غنيه

فقال الغنى بعد سماع المرام والاطلاع على زبد هذا الكلام : قد كشفت عنى أيها المولى كل ريب ، اذ أطلعتنى على ما ظهرت لي من الغيب، والذي ينبغى لك ان لاتكثرت من فعل الدهر واستيلائه على اهله بالغلبة والقهر فان ذلك دأبه فى اهل الكمال ، وحسبك الاسوة بالنبى والال .

ثم تفارقا على احسن اتفاق ، ولوما شرائط الوفاق .

وانا أقول : اني أسأل ممن وقف على هذه الكلمات ان لايبادر اليها بنفي ولا اثبات ولا يؤاخذني بما فيها من الهفوات ، فانها صدرت عن فكر بهموم الدهر مشغول وقلب بقفل الاهوال مغفول ، وكيف لا وهذا الدهر أقام على عنادي وهو الحريص على حرماني من مقصدي ومرادي ، الا أني أرجو من كرم ذي المنن أن يجزيني على الصبر الجزاء الحسن ، ويحق لمثلي انشاد ماسنح عساه ان يكون موجباً من الله سبحانه للمنح .

استغفـر الله مما قد جنته يدي	عمداً وماجنى سمعي مع البصر
واسأل الصفح عما كنت متبعاً	للنفس فيـه وما ضيعت من عمري
فكن سميع الدعاء واغفر لمعترف	يا مالك النفع للمخلوق والضرر
وجد علينا بما ترضاه من منح	وان ركبنا متون الجرم والخطـر
ولا تؤاخذ عبيداً عزهـم كرم	لسيد مـن رجـاه فـاز بالظفـر
وما لنا يا اله الخلق من عمـل	يكـون فيه نجـاة من لظـى سقر
ألا ولا آشرف الهاديـن قاطبـة	وخير من جـاء بالايات والسور
والال والصحب من خصوا بمنزله	همت لديك وجـاءتهم على قدر
فجد عليهـم الهي بالصلاة كما	جعلتهـم في البرايـا اشرف البشر

نجزت الرسالة الموسومة بتحفة الدهر في المناظرة بين الغنى والفقـر في ساعات يسيرة ، ولعلها في الجملة غير حقيرة ، والحمد لله وحده وصلى الله على من لانبي بعده وآله وصحبه ـ انتهى كلامه اعلى الله مقامه .

| فصول من نسيم الصبا |

ومن ذلك مااخترت نقله في هذا الكتاب وهو فصول من كتاب نسيم الصبا ،

والكتاب ثلاثون فصلا ومنشئه الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب، فمما نقلته،

(فصل في اقسام العام)

حضر فصول العام مجلس الادب في يوم بلغ منه الاريب نهاية الارب، بمشهد من ذوي البلاغة، ومتقني صناعة الصياغة، فقام كل منهن يعرب عن نفسه ويفتخر على ابناء جنسه.

فقال الربيع : انا شباب الزمان وروح الحيوان وانسان عين الانسان، انا حياة النفوس وزينة عروس الغروس، ونزهة الابصار ومنطق الاطيار، عرف اوقاتي ناسم وايامي اعياد ومواسم فيها يظهر النبات وتنشر الاموات، وترد الودائع وتتحرك الطبائع، ويمرح جنيب الجنوب وينزح رجيب القلوب، وتفيض عيون الانهار ويعتدل الليل والنهار، كم لي عقد منظوم وطراز وشي مرقوم حلة فاخرة وحلية ظاهرة، ونجم سعد يدني راعية من الامل، وشمس حسن تنشد يا بعدما بين برج الجدي والحمل، عساكري منصورة واسلحتي مشهورة، فمن سيف غصن مجوهر ودرع بنفسج مشهر، ومغفر شقيق أحمر، وترس بهار ببهر، وسهم آس برشق فينشق، ورمح سوسن سنانه ازرق تحرسها آيات وتكنفها ألوية ورايات، بي تحمر من الورد خدوده وتهتز من البان قدوده ويخضر عذار الريحان وينتبه من النرجس طرفه الوسنان، وتخرج الخبايا من الزوايا ويفتر ثغر الاقحوان قائلا «انا ابن جلا وطلاع الثنايا».

ان هذا الربيع شيء عجيب ... تضحك الارض من بكاء السماء

ذهب حيثما ذهبنا ودر ... حيث درنا وفضة في الفضاء

وقال الصيف : انا الخل الموافق والصديق الصادق والطبيب الحاذق، أجتهد في مصلحة الاصحاب، وأرفع عنهم كلفة حمل الثياب، وأخفف اثقالهم وأوفر اموالهم، واكفيهم المؤونة وأجزل لهم المعونة، وأغنيهم عن شراء الفراء،

وأحقق عندهم ان كل الصيد فى جوف الفرا .

نصرت بالصبا وأوتيت الحكمة فيزمن الصبا ، بى تنضح الجادة وتنضج من الفواكه المادة ويزهو البسر والرطبة وينصلح مراج العنب ، ويقوى قلب اللوزة ويلين عطف التين والموز ، وينعقد حب الرمان فيقمع الصفرا ويسكن الخفقان ، وتخصب وجنات التفاح ويذهب عرف السفرجل مع الرياح وتسود عيون الزيتون وتخلق نجاب النارنج والليمون : مواعدي منقودة وموائدى ممدودة ، الخير موجود فى مقامى والرزق مقسوم فيايامى ، الفقير يتصاع بمل مده وصياعه ، والغنى يرتع في ربع ملكه واقطاعه ، والوحش تأتى زرافات ووحداناً ، والطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً .

مصيف له ظل مديد على الورى ومن حلا طعماً وحلل اخلاطا
يعالج انواع الفواكه مبدياً لصحتها حفظاً يعجز بقراطا

وقال الخريف انا سايق الغيوم وكاسر جيش الغموم وهازم احزاب السموم، وحادى نجائب السحائب وحاسر نقاب المناقب، انا اصد الصدا واجود بالندا واظهر كل معنى جلي واسموابالوسمى والولى، فى أيامى تقطف الثمار وتصفو الانهار من الاكدار ، ويترقرق دمع العيون ويتلون ورق الغصون . طورايمان البقم وتارة يتشبه بالارقم، وحيناً يبدو فيحلته الذهبية فيجذب الى خلته القلوب الابية ، وفيها يكفى الناس هم الهوام ويتساوى فى لدة الماء الخاص والعام ، وتقدم الاطيار مطربة بنشيشها رافلة فى الملابس المجددة من ريشها ، وتعصر نبت العنقود وتوثق فيسجن الدن بالقيود ، على أنها لم تجترح اثماً ولم تعاقب الا عدواناً وظلماً ، بى تطيب الاوقات وتحصل اللذات وترق النسمات وترمى حصى الجمران ، وتسكن حرارة القلوب ، وتكثر انواع المطعوم والمشروب، كم لى من شجرة اكلها دائم وحملها للنفع المتعدى لازم ، وورقها على الدوام

غير ذابل وقدود أغصانها تخجل كل رمح ذابل .

ان فصل الخريف وافى الينا   يتهادى فى حليته كالعروس
غيره كان للعيوب ربيعاً   وهو ما بيننا ربيع النفوس

وقال الشتاء : انا شيخ الجماعة ورب البضاعة والمقابل بالسمع والطاعة أجمع شمل الأصحاب وأسدل عليهم الحجاب واتحفهم بالطعام والشراب ، ومن ليس له بى طاقة اغلقت من اجله الباب، اميل الى المطيع القادر المستطيع المعتضد بالبرود والفرا المستمسك من الدثار بأوثق العرى ، المرتقب قدومي وموافاتي المتأهب للسبعة المشهورة من كافاتى ، ومن يعش عن ذكرى ولم يمتثل امرى ارجفته بصوت الرعد وانجرت له من سيف البرق صادق الوعد ، وسرت اليه بعساكر السحاب ولم أقنع من الغنيمة بالاياب ، معروفى معروف وبنل يلى موصوف وثمار احسانى دانية القطوف ، كم لى من وابل طويل المدا وجود وافر الجدا ، وقطر حلا مذاقه وغيث قيد العفاة اطلاقه ، وديمة تطرب السمع بصوتها وحياً يحيى الأرض بعد موتها ، ايامى وجيزة وأوقاتى عزيزة، ومجالسى معمورة بذوى السيادة مغمودة بالخير والمير والسعادة ثقلها يأتى من انواعها بالعجب ومناقلها تسمح بذهب الذهب، وراحها ينعش الأرواح وسقاتها بجفونهم السقيمة تفتن العقول الصحاح، ان زرتها وجدت مالا ممدوداً وان رزتها شاهدت لها بنين شهوداً .

واذا رميت بفضل كاسك فى الهوى   عادت عليك من العقيق عقودا
يا صاحب العودين لا تهملهما   حرك لنا عوداً وحرف عودا

فلما نظم كل منهن مقاله وفرغ من الكلام على شرح حاله ، أخذ الجماعة من الطرب ما يأخذ اهل السكر ، وتجاذبوا أطراف مطارف الثناء والشكر ، وظهرت اسرار السرور وانشرحت صدور الصدور ، وهب قبول الاقبال وأنشد

لسان الحال :

ومـاذا يعيب المرء في مدح نفسه / اذا لم يكـن فـي قوله بكـذوب

ثم انفض المجلس وحل النطاق، وتفرق شمل اهله وآخر الصحبة الفراق.

(فصل في الفراق)

الفراق جمع الله الشمل بمحيـاك ورعى ودك على بعد المزار وحياك ، قد اجترا واجترح واذهب المسرة والفرح ، وضيق رحب الفضا وقلب القلب على جمر الغضـا ، وأورث الكمد واذاب جليد الجلد ، وجاب وجـال ونثر عقود الاحتمال ، وأوجد الوجد والهيام وأحوج الصب الى العبث بالاقلام .

كتبت وعندي مـن فراغك لوعة / تزيـد بكائـي وثقـل هجوعـي

فلـو أبصـرت عينـاك حالي كاتبـاً / اذن كنت ترثي في الهوى لخضوعي

اخط وداعي الشوق يملي وكلما / تعديـت سطـراً ازملته دموعـي

يالها لوعة اسعرت وقد الظلوع ، ومالت الى الصبر فأذوت منه الاصول والفروع ، وصبابة صبت النفس اليها ووقفت لامتثال الامر طـائعة بين يديها ، وغرامـاً يلازم عزيـم الفواد ويتكلم من الدموع بـالسنة حداد ، وشوقـاً الى تلك الليالي المستنيرة والايام التي يطول الشرح في وصف محاسنها وان كانت قصيـرة .

حيث اللقا والنوى حل ومرتحل / والدهر يقضي لنا من وصلك الفرضا

لئـن تعوضت عنـا غير مكتـرث / فعنك مادمت حيـاً لم أجد عوضا

الى الله اشكو جور أحباب لاشك في ظلم ظلمهم ولاارتياب :

ساروا وسر الوجد قلبي أودعوا / ياليتهم يـوم النوى لـي ودعـوا

افديهم غائبين أطالـوا شقة البين ، ونازحين سكنوا القلب حين غابـوا عن العين .

رحلوا عن الأوطان لكن في الحشا نزلوا وما راعـوا ولكن روعـوا

كيف العمل عن الاحتيال ، هل من طريق الى منزلة الوصال .

يا صاح ان ظبـاء جيران النقا جادوا علـي فدلنى مـا أصنـع

أحسن بهم ظباء عير اوانس كم أسهرت العشاق عيونهم النواعس .

نفروا وما التقنوا وعادة مثلهم يتلقنون اذا تقاراً أوقعـوا

ايها المغرى باللوم والتفنيد لاتتعب نفسك فيما لايجدى ولا يفيد .

قسماً بهم مالى غنى عنهم ولو أمسيت كاسات الاسى اتجـرع

كف كف العدل والتأنيب ، فلست أحول عنهم ولو يرانى النحيب .

وانا المقيـم على محبتهـم وان حفظوا عهودي في الهوى أوضيعوا

نعم اقيم على الود والمحبة وادعى رب الخال ولو اشترى قلبى بحبـه ، وأحفظ زمام الذمام وأصبر فى هاجرة الهجر على الاوام ، واتعلل بعل وعسى واتحمل مشقة اسى جرح الاسى . وأتعلق بأذيال صيف الطيف وأتشبث بأن اوقات الفراق سحابه صيف .

وأطوف فى تلك الديار مسائـلا عن أهلها ابكى على ماقد جـرى

لله بعد البعد حمر مدامع بنضارها المبذول قد أثرى الثرى

وقد علم الله ان يوم النوى أضعف بناء جسدى بالهوى فهوى، واحال صبغة حالى وسقانى كاس بعد مذاقها غير حالى ، فغدت ذا سكر دائم وعناء تحل دونه عقد العزائم ، القلب مأوى الهموم والطرف موكل برعي النجوم، والكابـة في الخاطر خاطرة والعين الى نحو الطريق ناظر ، واسياف الغنا تجرح الجوارح وسهام الجوى تجنح الى الجوانح ، لا اعرف لذة الوسن ولا امل من اليسير فى حزن الحزن، ولاارد الماء النمير الامشوباً من كبدي بحر السعير ،ان مر الفكر فى خلدى شرحت له صدراً وان دعانى الذكر الجميل مرة لبينه عشراً، ولو لارجاء

العود والاياب لانفصمت من قوى حياة العليل عرى الاسباب ، فتباً لايام الصد والقطيعة وسقياً لاوقات كانت على رغم العدا مطيعة ، حيث الاوطان عامرة ، ووجوه الاوطار ناضرة ، واغصان العيش مايدة ، وصلة الاحباب عائدة .

وسعاد تسعدنا بروضات الرضى ... ويعما منها سناً وسناء

لهفى على ذاك الزمان وطيبه ... فلفقده انا والخلال سواء

ابشرى برجوعه لك عن رضى ... روحى وما ملكت يداى فداء

والله المسئول فى بلوغ الامانى واباحة ممنوع التلاقى والتدانى ، واجتماع المشوق بأهل وداده ونصرة المظلوم على اعدائه وحساده ، فانه نعم المولى ونعم النصير وهو على جمعهم اذا يشاء قدير .

(فصل فى وصف الجارية)

تاقت نفسى الى زيارة بعض الاخدان فسرت اليه مشتمراً فضل الاردان ، فى ليلة سما قدرها وتجلى على السماء بدرها ، فلما وصلت اليه وانتظمت فى سلك المجتمعين لديه ، ظهر لى أنه متشوف الى قادم ومتشوق الى حضور منادم ، فكشفت الخبر وتقصصت الاثر ، فقيل لى انه واعد بعض الحسان وهو منتظر اياب الاحسان ، فما أتممت الكلام واتصلت من العلم الى المرام الا وقد أقبل من الباب خوذ تختلس الالباب ، غاده دود طفله أملود كاعب رواح ترتاح لهـا الارواح عديمة المثال نشأت فى حجر الدلال ، يسرح الطرف فى روض جمالها ويتنزه وتمحو بكثير محاسنها ذكر عزه ، فى حليها وحللها تميد وتميل وبالجملة فهى ثنية الحسن لان وجهها جميل ، فوقفت واستأنست . ثم سلمت وجلست ، فسر الجماعة بورودها وتملوا من جنة وجنتها بورودها ، وأقبل يمن فالهم وأنشد لسان حالهم مص .

اهلا وسهلا بها من غادة سمحت ... بالوصل ليلا ولم تحذر من الحرس

لما تبدت اضا الداجي ولاعجب　　　بطرة الصبح تمحا آية الغلس

فلما كشفت القناع وصدق النظر السماع ، تأملت اوصافها وسيرت شمائلها واعطافها ، فرأيت ما يشرف النظر ويشنف السمع ، ويذيب القلوب على نار ذوب الشمع ، فمن فرع نامي الاوراق مرسل لتعذيب العشاق ، جثل اسحم يلتوي كالارقم غدائر مجعدة كالغدير وضفائره مظفر بقتل الاسير :

فكأنها فيه نهار ساطع　　　وكأنه ليل عليه مظلم

ووجه مشرق الانوار يحج الى كعبته الابصار ، يزين اللالى والدرر ويستمد من ضوء الشمس والقمر ، مرآته صقيلة ومعاني حسنة جميلة ، يترقرق فيه ماء الصبا وتخفى من لمعه بروق الظبا :

عوذت بالسور المنيرة وجهها　　　وهو الجدير بأن يكون معوذا

وجبين واضح نحن اليه الجوارح بلا لامصاحبه ويبتلج في ليل الطرة صاحبه فتاة يسر القلب والطرف حسنها كأن الثريا عاقت في جبينها ، وحواجب تذيب المهج وتجذب الارواح من قيها بقبضة البلح ، كأنها هلالك محنى القوام أو فخ نصب لصيد الغرام :

اذا سمت تحت الحاجبين جفونها　　　ترى السحر منها قاب قوسين أو أدنى

وعيون بابلية كم أوقعت بمن اليها صبابلية ، تسل السيوف وترسل الحتوف صحاح مراض ليس لسهامها سوى القلوب اغراض لله ، أي لواحظ غلابة للاسد في وثباتها وثباتها ، وخد كالجلنار قد جمع بين الماء والنار ، يشف الراح في زجاجه ويهتدي الحائر بنور سراجه ، يزهي بورده الاحمر الطري واظنه من دم المحبين غير بري (الشيخ جمال الدين) .

تركية للقان ينسب خدها　　　واشقوتي منها بخدقاتي

وخال يختال في أحلى الحلل له من الاقراط والشنوف حول كأنه من الدائرة

قطبها ، ومن القلوب المتقلبة على ناره حبها :

فتنت بخال فوق حذك صانه ... ابوك فويلي من ابيك وخالك

ومرشف عذب الارياق رضابه لسليم الهوى نعم الترياق ، فيه ماء مبرد وثغر جوهري صحاحه منضد ، ولعس يهيم به ذو الشوق وشهد يشهد بحلاوته الذوق .

وبه شراب مسكر ما ذقته ... لكنني أروى عن المسواك

وعنق كعنق الريم درعقوده نظيم، يطوف الحلي بأركانه الرق بورقه وعقيانه.

وجيد جداية لا عيب فيه ... سوى منع السحب من العناق

ونهود كالعاج ملتحفة عبروط الديباج، رفيعة المنار شغلت الحلي أن يعار، ان ثيتها لم يجد عندها عطفاً لمرتاح وان لثمتها نشقت من الرمان عرف التفاح .

كحقين من لب كافوره ... برأسيهما نقطتا عنبره

وبنان رطيب على مثله يدور الخضيب ، مقبل بالافوا مصافح بالجبا، فضى الأهاب مرقوب بالخضاب .

فما اعذب السكب من أدمعي ... واحلى المشبك من نقشها

وقوام يقيم الحروب ويثير كر الكروب، كامل الحسن مهفهف وافر الدل مثقف، الرماح تخضع لديه والاغصان تسجد بين يديه .

وقد روت عن لينه واعتداله ... صحاح العوالي مسنداً بعد مسند

وخصر نحيل يشكو من روفها الثقيل ليس فيه خط المجتني لو سالتها عنه لقالت فني .

عيون الناظرين به احاطت ... فلم تحتج الى عقد الوشاح

وارداف كالاحقاف وعدها مرسوم بالاخلاف ، خارجة عن العادة لكن فيها للمحبين الحسنى وزيادة :

تمشي بأرداف ابين قعودها　　　بين النساء كما ابين قيامها

وسوف جمد ماؤها وبهر الاعين ضياؤها ، مشرقة النور قصبها من البلور :

لو لم يكن من برد ساقها　　　لاحترقت من نار خلخالها

واقدام لها على السعي في الفتك اقدام ، تمشي كالقطا ولا تخطيء قياس الخطا :

كان مشيتها من بيت جارتها　　　مر السحابة لا رثب ولا عجل

وعليها من الحلي والحلل مايفتن العقول ويدهش المقل، فمن دريتيم كثغرها وبلور صاف كصدرها، وعقيق كشفتها، وياقوت كوجنتها ، وسبج كأجفانها وزمرد كنقش بناتها وقميص رقيق الحواشي ومطرف بحار في وصفه الناشي :

الى مثلها يرنو الحليم صبابة　　　أدام اسبكرت بين درع وبحول

فلما انست بالقوم كفت عنها لسان اللوم ، وظهرت عن خلق وسيم وطباع ألطف من النسيم . ومنادمة تطرب الاسماع ومداعبة ما الصبر عنها بمستطاع ، وملح الذ من الماء الزلال وحديث لو لم يحن قتل المحب لقيل هو السحر الحلال :

ان طال لم يملل وان هي اوجزت　　　ود المحدث انها لم توجز

والسعد يطلع نجمه والشمع واقف في الخدمة، وعرف الطيب يفوح واعلام الهنا تلوح ، وشمل الصد يمزق والعود يحرك ويحرق ، يالها ليلة محى ظلامها ونور الآن ابتسامها، وجليت عروسها وطلعت خارقة العادة شموسها ، لم فر فيها مايشين ويعيب سوى أنها كانت أقصر من جلسه الخطيب ، ولم نزل في بشر وافر وسرور متواتر، نجتلي وجوه الافراح المتتابعة ونجتني من الوصل ثماره اليانعة، الى ان صاح العترفان ولاح في المشرق ذنب السرحان ، فعزمت الجارية على الذهاب وأمرت باحضار الازار والنقاب ، فقمنا الى موقف الوداع وتشفت الشمل بعد الاجتماع .

وكان الدمع لي ذخراً معداً　　　فأنفقت الذخيرة حين ساروا

(فصل فى مدح العشق وذمه)

سألنى بعض المائلين الى الهوى ، المصابين بسهم الصبابة والجوى ، الساهرين فى الليل الطويل من الذوائب ، الذين صرفوا على المحبة حبات قلوبهم الذوائب، عن مراتب العشق وضروبه وقبائل الحب وشعوبه، وهزله وجده وجزره ومده ، وشواهد شهده وسمه ومافيل فى مدحه وذمه ، فأجبته الى سؤاله وجمعت بينه وبين آماله .

يقولون لى صفها وأنت بوصفها　　　خبير أجل عندى بأوصافها علم

ياهذا ان اول العشق استحسان ، من يلائم الطبع من الجواري والغلمان . يحدث منه ارادة القرب والمودة ثم يقوى الود فيكون حباً لايمكن القلب رده، فاذا استحكمت المحبة فى القلوب عادت هوى بهوى بصاحبه فى اختار المحبوب، ثم يصير عشقاً ثم تتيماً ، ثم يرجع ونها على العقل مخيماً ، وهو طمع فى القلب يتولد يعظم بالحرص على الطلب ويتأكد ، يخفى عن الابصار ويهيج باالجاج والتذكار ، كامن كالنار فى الحجر والزهر فى الشجر، ان قدحته أورى وان سقيته اخرج نوراً .

العش أول ما يكون مجانة　　　فاذا تحكم صار شغلا شاغلا

فأما اوصافه الممدوحة فانه جليس ممتع بمشاهدته واليق مونس بمنادمة ، مسالكه لطيفة ومسالكه شريفة، برق لامع ونور ساطع، تستضىء به نواظر العقول ويفعل فى الشمائل ماتفعله الشمول ، ويتصل بجواهر النفوس فيزيل عنها لبوس البؤس ، فرح يجول فى الروح وارتياح يغدو فى القلب ويروح ، وسانح ينشر من البشر ماانطوى ، وسرور ينساب في اجزاء القوى .

اذا انت لم تطرب ولم تدرى ما الهوى

فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا

يطلق اللسان ويشجع الجبان ويصفى الاذهان ، يولد الاخلاق الجميلة ويرغب في اكتساب الفضيلة ويفتح للبليد باب الحيلة، ويرفع لواء الهمم ويبعث على الحزم والكرم ، يلطف الطباع ويشنف الاسماع ، ويدعوا الى تحسين اللباس ويستميل بالرياضة أهل الشماس ، لايقع فيه الامن قلب قلبه صاف ولا يسلم منه الا كل جلف جاف .

فان شئت أن تحيى سعيداً فمت به شهيداً والا فالغرام لـه أهل

وأما أوصافه المذمومة فانه ملك قاهر وحاكم جابر، هزله جدوراحته تعب وأوله لعب وآخره عطب ، يعترى النفوس العاطلة والقلوب الفارغة ، ويكسف من الاراء شموسها البازغة، ويسوق الى وليه غمام الغم ويهيم به في وادى الهم، يذهب العقل ويمرض الجسد، ويقوى الفكر ويضعف الجلد، ترتعد منه الفرائض وتنفذبه نار النقائص ، يستعبد الاحرار ويستأس ذوى الاقدار ، ويصفر الابدان ويوقع في الذل والهوان .

وكنت اظن الهوى هينـاً فلاقيت منه عذابـاً مهينـا

يورث الاسف والحرق ويجلب الوسواس والارق، ويجدد ملابس الوجد والالم ويمنع عن الاشتغال بالعلوم والحكم، يحالف ارباب الشبهات ويستخدمهم في تدبير الشهوات ، ويعطل عن المصالح ويجرح بمديته الجوارح من جنده الغرام والكلف ومن رفده الهيام والشغف ، يعوق الطالب عن الاستفادة ويشغل الانسان عما خلق له من العبادة ، جان يفضى الجنون ويدنى أهل المنى الى المنون .

وماعجب موت المحبين في الهوى ولكن بقاء العاشقين عجيب

واعلم وقال الله شر الشرر ان أقوى اسباب العشق النظر ، رياحه تنشىء سحائب الفكرة ، ومرآته تجلو على القلب محاسن الصور ، فاتق النظرة بعد

النظر ، فانها تزرع حب حب ينبت سنبل الحسرة ، كم سلب النظر قلب عابد، وكم فتن عقل ناسك وحل عقد زاهد ، واجرى آفة وقرن ذلا بمخافة ، وأثار غبار معركة وألقى شهماً الى التهلكة ، وأقام حرباً على ساق وسفك الدماء وأراق، وأوقع في مصائد المصائب وهشم العظام بأنياب النوائب .

فمن كان يؤتى من عدو وحاسد   فاني من عيني أتيت ومن قلبي

فاسلك طريق السلامة لتصل الى دار الكرامة ، واقطع أسباب المطامع واشتغل عن المصنوع بالصانع، فأما من آثر اللذات فقد تورط في حبائل البلوى وانتهى من حرم الحرمان الى الغاية القصوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى .

(فصل في الشيب والخضاب)

رأيت بعض مشائخ الاصحاب ، وهو يتعاطى مايتعاطاه الشباب، فقلت يامن وخطه الشيب جاءك النذير بلاريب ، فاصرف عين العيب واتق عالم الشهادة والغيب، نأت الغرائب السود، ودنت البزاة واثبة كالاسود ، وظهرت غرة القمر وأومض البرق في ليل الشعر ، ورمى فاحم الفود بضده واشتعل المبيض في مسوده ، قدم رائد الهداية وذائد الغواية ، وطليعة العفاف وذريعة الانصاف ، ومظنة الوقار ومشرق الانوار ، فخل الخلال الجانية عليك وأحسن كما أحسن الله اليك .

انما تحسن الرياض اذا ما   ضحكت في خلالها الانهار

من شاب غدارة لم تقبل اغداره، من عزل غيابه والى مصابه ، من لمع ضوء فرعه تفرق شمل جمعه، من كبر ذوى عوده وبانت سعوده وافل نجمه ووهن عظمه وضعف بعد القوة جسمه وخمدت منه الانفاس ونفرت عنه ظباء الكناس .

لو كان عمر الفتى حساباً   كان له شيبه فذلك

يـا من ادركه المشيب أترك الغزل والنسيب وارجع الى الله من قريب ، ولذ بالمتاب واعدل عن الخضاب، واخش نصول النصول ودع من يزور ثم يزول، لاتطمع بوصل الحسان واكتب لهن تسريحاً باحسان ، واحذر منهن العدو الازرق واسبق الى منعهن من قبل أن تسبق .

عذر الكواعب انهن كواكب　　لايجتمعن مع الصباح اذا بدا

فنظر الي ملياً وقال لقد جئت شيئاً فرياً ، ياهذا أنت ناصح امين أم ذابح بغير سكين ، نكست الاعلام وفتنت الاحلام، وفخمت الوعيد وجلت في ميدان التهديد، وأثرت نيران التلف ووترت عفا الله عما سلف، وأدنيت غمام الغم ومدحت مايستحق الذم .

ما رأينا المشيب الا كثلج　　أبيض بارد قليل المقام

واهاً له من زائر يظهر العدل وهو جائره ، يأتي من الشهب على كل ضامر ولخرب من الاعمال كل عامر لايرجا لسليبه عوض ولايقضى لصاحبه غرض، ناع ينفض لذة الرقاق وساع يطوف بحرم الفراق، وملوك لايعتني بحفظ ميثاقه ، ورسول معجزته الخوف من اجتماعه والفرق لفراقه :

له منظر في العين أبيض ناصع　　ولكنه في القلب أسود أسفع

غرة مرة ونور ليس معه مسرة يبلي الجديد ويصيد الصيد ، ويعتدي على الشباب ويفرق بين الاصحاب ، ويسود ببياضه اللون وهو عنوان فساد الكون ، رفعت عند نصحك مقدار ونفيت قاره وأثبت وقاره .

وأي وقار لامن عرى الصبا　　ومن خلفه شيب وقدامه شيب

ثم انك رثيت وما رثيت ومريض المشيب عن معالجته الخضـاب نهيت ، وضاعفت التعنيف واكثرت الاراجيف ، وسقت الشائب الى رمسه ومنعته من التصرف في نفسه ، وبسطت شقة الشقاق اما سمعت قول الوراق .

للضيف أن يقرا و يعرف حقه		والشيب ضيفك فاقره بخضاب

فقلت : الى م يختفي الزامر ويتستر، وحتى م يكتم الكتم شيئاً بعد ثلث يظهر، وهل يرد التمويه مامضى أو يخمد ماء الصبغ جمر الغضا :

تستر بالخضاب وأي شيء		دل على المشيب من الخضاب

فقال : قد أطلت الملام واثخنت بكلام الكلام ، ونشرت رداء الرد وزاد سيف عدلك في الحد :

ومع المشيب فبعد عندي صبوة		ويبلى القميص وفيه عرف المندل

يا هذا اني لاعلم أن الخرق يتسع على الراقع ، وان التمادى في التصابى سم ناقع، لكن العظام صعب وكل أحد لايمكنه رأب الشعب ، وترك منصب الامارة شديد على النفس الامارة ، وهي الى خضرة الخضرة تميل وعلى الله قصد السبيل :

لعمرك ما خضبت بياض شيبي		رجاء أن يعود الى الشباب

ولكني خشيت تراد مني عقول ذوي المشيب فلاتصاب، وانا استغفر الله من الزلل واستعين به على سد الخلل ، وأتوكل عليه انه جواد كريم ، وأتوب اليه انه هو التواب الرحيم .

(فصل في الحكم)

العلم نعم السمير والعقل بشير بالخير يشير .

اجتهد في طلب العلوم تتفرد بما يرفعك الى النجوم .

المجد ببذل اللهى والفضل بالادب والنهى .

من صادق العلماء زها بدره ومن رافق السفهاء وهي قدره .

العلم ثمرته الانصاف والزهد نتيجته العفاف .

التقوى أفضل حلة والمروة أجل خلة .

الحق سيف قاطع ، والحلم درع مانع .

الزم الحجى فهو ألطف سائس ولاتعدل عن العدل فهو أحفظ حارس .

العقل أحسن المواهب والجهل أقبح المصائب .

العقل احسن معقل فاهرع الى ابوابه العليا تنل كل العلا
واعلم بأن الشيء يرحص كثرة والعقل ان كثرت حواصله غلا

من رضى بالقدر وقى شر الحذر .

اليأس يعز الاصاغر والطمع يذل الاكابر .

حاسب نفسك تسلم، ولا تقتحم الا خطار تندم .

من سره الفساد في الارض ساءه طول التعب يوم العرض .

لا تقل الا مايطيب عنك نشره ولاتفعل الا مايسطر لك اجره .

السعيد من اتعظ بماضيامسه والشقي من ظن بخيره على نفسه .

لايغرنك صحة بدنك اليسيرة فمدة العمر وان طالت قصيره .

من لم يعتبر بالمساء والصباح لم ير تدع بقول اللوام والنصاح .

من قنع برزقه استغنى ومن صبر نال ما يتمنى .

اذا الرزق عنك نأى فاصطبر ومنه اقتنع بالذى قدحصل
ولاتتعب النفس في وصله فان كان ثم نصيب وصل

من آمن بالآخرة فاز بالملابس الفاخرة .

من رفع حاجته الى الله نجحت ، ومن تمسك بغيره خسرت تجارته هو ما ربحت .

من لم تفسد شهوته دينه وصل الى الاماكن المكينة .

أبصر الناس من نظر الى عيوبه ولجأ الى ربه في التجاوز عن ذنوبه .

أرفع الاعمال ما أوجب شكراً وأنفع الاموال ماأعقب أجراً .

الدنيا ظل زائل والمشيبة ضيف راحل .

من غالب الحق غلب ومن أستهان بالدين لسب وسلب .

لاتخل نفسك من فكرة تدنى من قلبك وطرفك قراراً وقرة .

عد عن طاعة هواك واحذر من مخالفة مولاك .

لامتابع هواك يا ذا المعاصى واجتنب ذلة الهوى والهوان .

أحمق الناس من أطاع هواه وتمنى على الاله الامانى .

من وثق بالله أغناه ومن خرج عن حكم ربه عناه .

من لزم شأنه دامت سلامته ومن حفظ لسانه قلت ندامته .

الصمت يرفع لك المنار ويخلع عليك ثوب الوقار .

الزمان لايبقى على حال والدنيا طبعها الغدرة والملال، تفتن بزهرتها الذاوية وتخدع بزينتها المتلاشيه .

لا تفن عمرك فى المعاصى وخذ حذرك من مالك النواصى .

اياك وكثرة الكلام فانها تنفرعنك الكرام .

ما سعد من شقى صاحبه وما عزمن ذلت أقاربه .

من لزم شكر الاحسان استدام عدم الحرمان .

لاتودع سرك غير صدرك ولاتتكلم بما يحوجك الى اقامة عذرك .

تفرد بحفظ السر وحدك لاتثق ‏ ‏ ‏ الى أحد فيه ولو كان من كانا

فـانك ان أودعت سرك عاقل ‏ ‏ ‏ يزل وان أودعته جاهلا خانا

من بسط يده بالجود خرج من العدم الى الوجود .

من علا علم شيمته غلا مقدار قيمته .

أستر براً يظهرمن يديك وانشر معروفاً يسدى اليك .

من أحسن الى جاره أطلع قمر الحمد فى داره .

من جاد لطلب الجزاء فليس بكريم ومن صفح لعدم القدرة فليس بحليم .

أحسن الخلق ما حثك على المكارم واوضح الطرق ما كفك عن المحارم .

عي تسلم بميلك اليه خير من نطق تندم عليه .

من قل عقله كثر قوله ، ومن نكا أصله تواتر طوله .

توق جناية اللسان ولا تأمن من سطوات الزمان ، واستعذ من شر أفعي افعالك وتحل بالصدق فى جميع احوالك .

الصدق يورث حامليه مهابة   سر نحوه نعم الطريق طريقه

واحفظ به عهد الصحاب فانه   من قل منه الصدق قل صديقه

لا تعج عن سبيل الصواب ولذ بجناب رب الارباب ، وأوسع الى باب من بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، وأخش من يعلم السر وأخفى ، ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير .

(فصل فى السماء والنجوم)

أيقظنى ليلة داعى الهموم فنظرت نظرة فى النجوم ، فاذا السماء كأنها روضة مزهرة أو صرح كنس جوار مسفرة ، أو غدير تطفو عليه الفواقع او بنفسج نوراً قاحه لامع ، أومسح ألقي عليه در غواص ، أوستر به لعين كل نجم وصواص أوجمر فى خلال رماد أو كما قال من أجاد .

بساط زمرد نثرت عليه   دنانير تخالطها دراهم

ونهر المجرة يجرى فى سندسها . ويسرى ليسقى ذابل عن حبها ياله نهراً صفا ماؤه وعقد على الافق لواوه ، ينقلب القلب اليه ويقف طرف الطرف عليه ويقبل نحوه الدبران وينصب على شطه الميزان ، ويحوم حوله النسران ويعوم فيه الحوت والسرطان .

والثريا كراية أو لجام   أو بنان أو طائر او وشاح

او باقة من نرجس او كأس تدار في مجلس ، أو شمع يتوقد او شمسة من عسجد، او شذر منضود او كرم او عنقود، او عقد لؤلؤ حسن الاتساق او اقراط خود ترتعدفرقاً من الفراق .

وسهيل كوجنة الحب في اللون وقلب المحب في الخفقان

او كمصباح تلعب به ايدي الرياح ، او ظامي يريد ان يرد اوفارس في حمى الحمى مجتهد، اومشوق يتبع الاثار او غريب لايزور ولايزار، او غريق يدعى قوة السباحة او ماجد أنف من الذل فألف السياحة ، او مغاضب يدعى فلايجيب اومحب يغض الطرف خوف الرقيب ، والجوزاء النيرة الشجرة المنورة كأنها منطقة من ذهب قد عقدت على قباء ازرق ، والفرقدان الهاديان المرشدان .

كأنهما الفان قال كلاهما لشخص اخيه قل فاني سامع

والذراع يذرع شقة الافق والجبهة تقعدعلى مفارق الطرق، والعيوق يعوقوا عن السير الاسار والعوانشاوى قد تغشاهم خمار ، والسماك معتقل رمحه والنثرة منظمة كالسبحة ، والنعائم تحدوها النعامى ، وزهرة الزهرة تضى بين الخزامى وبهرام بخجل البهرمان والاكليل ليس بكل من مسايرة الاضعان ؛ والمقدم لا يتأخر عن الاعتاق والايجاف والصرفة قد همت مع العسكر بالانصراف .

تمدر قومها ليلا وتطوى نهاراً مثل ما طوى الأزار

فكم بصقالها صدرى البرايا وما يصدى لها ابداً غرار

فبينا انا استرح في درر الدراري نظرى واروض في رياضها جوادفكرى ، واقدس من هي مسخرات بأمره وأنزه من هدى خلقه بها في بره وبحره ، اذهب نسيم السحر يروى عن اهل نجد اطيب الخبر ، فعطر الكون بعرفه وملك البرق برقته ولطفه ، وأهدى الروح الى الارواح وأطرب السمع بأحاديثه الصحاح .

فهو حياة لكل حي كأن انفاسه نفوس

فاستبشرت بوروده وحصلت على الفائدة من وفوده ، وسر بمناجاته سرى وقلت له والدموع تجرى .

اعد ذكر من حل الغضايامحدثى　　وان اضرموه بالاضالع والصدر
ولا تنس سكان العقيق وان هم　　على وجئى اجروه فى مدة الهجر

فلما اتممت الانشاء والانشاد وشرعت فى طلب الاسعاف والأسعاد ، تبسم الفجر ضاحكاً من شرقه ، ونصب أعلامه على منازل افقه ، فانطوى نشر الليل وكف من عمره الذيل ، وارتفعت الحجب وباخت نار الشهب ، وانقص باز الضوء غراب الظلام وفض كافور النور من الغسق مسك الختام .

وشرد الصبح عنا الليل فاتضحت　　سطوره البيض فى الواحه السود

وقلت جيوش الدجا ، وحرك النهار منه ماسجا ، وجنح جنجه الى الرحيل، وتلا لسان حال التحويل، « يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة الاولى الابصار » .

(فصل فى الشمس والقمر)

بكرت يوماً بعد أداء الفرض ، أتفكر فى خلق السماوات والارض، فلمحت المشرق بالنظر واذا قرن الغزالة قد ظهر ، كأنه جذوة نار او قطعة من دينار، او كأس ستر بعضه بالحباب او حسناء غطت وجهها بنقاب ، ثم كشفت استارها وألقت على الافق أنوارها ، وبرزت كأنها كرة فى ميدان اومجن ضمخ بالزعفران او مرآة لم تصقل ولم تطرق أووجه المليحة فى خمار ازرق ، أو سبيكة زجاج منتفخة الجوانب. أوبوتقه بحول فيها ذهب ذائب .

وكأنها عند انبساط شعاعها　　بتر يذوب على فروع المشرق

فقلت اهلا بالجارية التى فى طلعتها ما يغنى عن الجارية ، والعين التى تغار منها العين ، والجونة التى وضح منها الجبين ، والسراج الوهاج التى

تبرجت بها الابراج . أنت المخصوصة بالشرف والرفعة ، انت واسطة عقد الكواكب السبعة ، انت للحكمة برهان وللفلك معيار وميزان ، أنت الناطقةفي صمتهاالتي قصر البليغ عن وصفها ونعتها ، انت ملك مقدم ، أنت النيرالاعظم أنت يوحالتيتغدو في مصالح المسلمين وتروح ، انت ذكاء التي اذكت ناوها انتالضح التيأعلى الله منارها ، أنت الشمس التي بها تعرف الأوقاتالخمس بك ينشر الظل ويطوى ويشتد النبات بعد ضعفه ويقوى ، ويستدل على طريق الصواب ويعلم عدد السنين والحساب ، لما سفرت رافلة في الحلل المعصفر محيت آية الليل وجعلت آية النهار مبصرة ، وناهيك بها منزلة وحسبك ان صفاتك فيالكتاب منزلة . ثم تمشت على بساطها وخطرت في وشيهاو رياطها ، وسبحت فيفلكها مرشدة اليالحقائق مظهرة أسرار الساعات والدرجوالدقائق.

تسمو الى كبد السماءكأنها　　　　تبغى هناك دقاع امر معضل

واستمرت سائرة يحدوها منالنسيم ، والشمس تجرىلمستقرلها ذلكتقدير العزيز العليم ، فلم يزل فكرى يصاحبها وطرفي يرعاها ويراقبها .

حتى اذابلغت اليحيثانتهت　　　　وقفت كوقفة سائل عن منزل

ثماتثنت تبغى الحدودكأنها　　　　طير اسف مخافة من اجدل

فلما حجبت عن العيون شخصها وخطف المغرب من يد المشرق قرصها ، واكتحلت جفون الافق بالقاد وطرد رنجى الليل رومى النهار، بزغ الهلالبأمر ذى الجلالكأنه قوس موتور أو منحد وفى بحر الديجور ، أو شطر سوار أو مبخل معد لحصاد الاعمار ، أو خنجر مرهف التصلين أونون معرقة من لجين أوشفة كأس مائلة أو مخلب عقاب صائلة ، او قطعة من قيد أوفخ نصبللصيد، أو حرف الجيم أو عرجون القديم ، او حاجب شيخ ادركه الشمط أو نعل من حافر أدهم الدجا سقط ، أو ذباب سيف خرج من جفنه او راكع يعبد من لا

يحدث امرأ الاباذنة ، فقلت : مرحباً بمن اسباب مناويه رثاث ، قرعيناً ستعود قمراً بعد ثلث ثم تصير بدراً ان ذلك لذكرى :

واذا رأيت من الهلال نموه　　　أيقنت ان سيكون بدراً كاملا

أنت الزمهرير الذى ليس له فى نضرته نظير ، أنت الزبرقان الذى له فى كل شهر مهرجان أيهاالقمر كم معجب طاب له فيك السمر ، أيها الواضح الباهر ما أنت الا مثل سائر ، أيها البدر الكامل الذي فضله للبرية شامل ، لاتأس على ما فات من المدرج ولا يكن فى صدرك من الغزالة حرج :

فقد تخمد الشمس الصباح بضوئها　　　تفاوتت الانوار والكل رائق

منازلك معروفة ومحاسنك موصوفة، وشرفك باذخ وقدمك راسخ، وآياتك ظاهرة وسفارتك سافرة ،كم أوضحت من طريق وهديت الرفيق الى الفريق ، واذكرت محباً بمحبوبه وبلغت طالباً غاية مطلوبه ، احسن بضوء ذبالتك وجهلا بهالتك ،جعلك البادى فى السماوات نوراً وكان امر الله قدراً مقدوراً ، وجلا بمحياك حندس الغسق واقسم بك فى قوله والقمر اذا اتسق ، قدرك اثير أيثل ومحبك بنيه نبيل ووجهك يابثينة الحسن جميل :

على رسل فمالك من مجار　　　الى رتب العلا ولا رسيل

فتبارك اسم من البسكما احسن الحبر ، وتعالى جد من جعلكما مصباحين لاهل النظر ، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، ثم لم يبرح يسرى وانا لا ابرح ويتجلى وانا أشاهد وجهه الاصبح الى ان غاب واختفى ، وحسبنا الله وكفى :

(فصل فى السحاب والمطر)

ان لله تعالى حكماً دائم النفوذ وحكماً شفاء النجا لمن بها يلوذ، واسراراً معناها دقيق لايفهمه الا أرباب التحقيق ، أمسك الغيث عن عباده فى عام فخاض

كل منهم في مجرد معه وعام ، وساءت الظنون لظن السحاب ، واشتاق البنات الى سماع وقع الرباب ، وظمت الحياض وعبست وجوه الرياض ، واستدت عيون العيون بالنقع المثار ، وتعطلت من حلى المزن أجياد الازهار، وذهلت العقول لفقد الصوب عن الصواب وقص جناح السرور وطارت الالباب،وطوى بساط الانبساط ووقع القوم في هياط ومياط، وطالت عهود العهاد وتأهبت الارض للبس أثواب الحداد. وصابت نبت الزباعين شمس أورثته مدلة واصمراراً، كلما جال طرفها ترك الناس سكارى وماهم بسكارى . فبينماهم يجرون اذيال الكآبة ويرفعون الدعاء الى مواطن الاجابة ، تداركهم اللطف الخفي وانثال عليهم المن الحفي ، ونظر الله اليهم بعين حكمته وحرك ساكن الرخاء لتجري بنعمته،وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته، فمدت أعناقها وجدن اعناقها،وركضت عادياتها وجرت على أحسن عاداتها، وسدات من أرديتها الاردان وأرخت العنان في طلب العنان :

ورياح تبشر الارض بالقطر ... كذيل الغلالة المبلول
ووجوه البقاع ينتظر الغيث ... انتظار المحب رد الرسول

فأقلت سحاباً ثقالا يستهل كرماً ونوالا ، مسكى الاوهاب خصيب الجناب فسيح الرحاب ، صادق الوعود متلاحق الوفود كثير الاعوان والجنود ، يؤذن بالموارد الطامية وشفاء الشفاه الظامية، واثرى فقير الثرى وأجرى دمعه اسفاً على ما جرى :

اكب على الافاق اكباب مطرق ... يفكر أو كالنادم المتلهف

ومد جناحيه الى الارض جانحاً وراح عليها كالغراب المرفرف والرعد يزجره ويسوقه بين يديه ، فاذا قصر صاح به وزمجر عليه تارة يترنم كالحمام وطوراً يزأر كالاسد الضرغام :

وكأن صوت الرعد خلف سحابه ... حاد اذا ونت النجائب صاحا

والبرق يلمح ويلمع ويمنح ثم يمنع ، كأنه ثغرا شنبه او قبس يتلهب ، او حسام يمان أو فؤادجبان ، او سلاسل ذهب او اشقر مال جلـه حين وثب . او انامل بعض الحساب أوحية تلتوى ثم تنساب ، أو كف خضيب يمد ويقبض أو خد خود تعرض بعد ان تتعرض :

ترى الارض منه وقدفضضت و وجه السماء وقد ذهبا

وقوس الغمام للجو نطاق ، لابل تاج على مفارق الافاق ، يزهو بلجينه وعسجده ويفخر بياقوته وزبر جده :

كأذيال خود أقبلت في غلائل مصبغة والبعض اقصر من بعض

فلما تراكمت السحائب واجتمعت حولها الكتائب ، واتسع صدرها واستحكم امرها ، وحلق بالجو ناهضها واعترض في الأفق عارضها ، ونصبت راياتها وانتهت غاياتها وآن رحيلها وتفرق شملها وحان وضعها وفصال حملها ، أجرت مدامعها وردت ودائعها ، وحلت عقد نطاقها وفكت أزرار أطواقها ، وحثت الركائب واسيلت الذوائب ، وسمحت بطلها وطشها وسكنت رهج الغبراء برشها ، وأروت الحرة برذاذها وهطلها ، وأذهبت الحرقة بديمها ووبلها ، وأثرت بجودها وجودها ونثرت على بساط الارض جواهر عقودها :

تخال بها مسكاً وبالقطر لؤلؤ وبالروض يا قوتاً وبالوحل عنبرا

ثم ابدت احساناً وبراً وبردت من كبدحرى راسدت معروفاً واغاثت ملهوفاً وساقت انصاماً وسنت حرثاً وانعاماً وكفت هماحين وكفت ، وقرطت آذان الأغصان وشنفت وأنشرت امواتاً واخرجت حباً ونباتاً ، ونشرت مطرفاً بعدالطي وجعلنا من الماء كل شيء حي ، وكم نقعت غليلا ونفعت عليلا ، وملات حياضاً ونورت رياضاً ، اذالت دراً مصونا وشرحت صدوراً واقرت عيونا ، وألبست الحدائق بروداً عليها طلاوة واهتدت للزهر قطراً ظاهر الحلاوة :

ترى فواقعه فى الارض لائحة   مثـل الدراهم تبدو ثـم تستره

فأمسى الناس فىعيشة راضية يرفلون فىحلل الرفاهية ، امرعوا بعدالضنك ولشظف واخصبوا بعد الجدب والضفف ، وأصبح محل المختل دارساً ووجه الارض يضحك وقدكان عابساً ، واخذت الارض زخرفها بعد ان كاد زرعهايهيج واهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ، فثغورها مبتسمة وفرائدقلايدهامنتظمة ، ونمارقها مذبحة ورؤوس اشجارها متوجه ، وعذرانها طافحـة ومخائل السعادة عليها لائحة ، والسنة اهلها مشتغله بشكر علام الغيوب وقلوبهم مطمئنة بذكـره ألابذكر الله تطمئن القلوب ، يبدىء ويعيد ويمتحن العبيد ، ثم يفتح لهم أبواب جوده الوافر وفضله المديد ، وهـو الذى ينزل الغيث من بعدما قنطوا وينشـر رحمته وهو الولي الحميد .

(فصل فى الليل والنهار)

أرقت ذات ليلة فى مهادي فسمعت طارقاً ينادي فى النادي :

ان الليالـى للانام مناهـل   تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة   وطوالهن مع السرور قصار

فقمت من مضجعى وقد بل ردني مدمعى ، متحيراً فى امري متأسفاً على ما فات من عمرى ، وقلت : أيها الطارق فى ظلمة الليل الغاسق هل لك فى المنادمة . فقال : كـم تديم سفك المنى دمه ، ثم سلم وجلس ، وتنفس ومابنس . فقلت : يا من شنف السمع بدره اذكر لى شيئاً فى طول الليل وقصره ، فقال :

وليل كـواكبه لاتسيـر   ولا هو منها يطيق البراجـا
كيوم القيامة فى طولـه   على من يراقب فيه الصباحا

مقيم ليس يبرح وعاجز لايظعن ، ولاينزح برد نجومه لايذوب وغائب ضوؤه ليس يؤوب ، لايبلى جديد مسحه ولا يجنح الى الحركة ساكن جنحه ، عليله

مايرجا صلاحه وصباحه لايلوح مصباحة، قطع الطريق على السجر وعذب اجفان المحبين بالسهر :

حدثونى عن النهار حديثا اوصفوه فقد نسيت النهارا

كأنه صريع راح او طائر مقصوص الجناح ، أو اسير يتخبط فى قده أو بحر منع الجزر عن مده ، اوكسير ليس له على النهوض اقتدار أو ضرير ايسر طرفه من رؤية النهار ، اوهائم غمر يقطع الغلا قد حار لايدرى بمن يهتدى او جيش زنج بالثوى قد نوى او دارة حيث انتهت تبتدى. واعلم ايها البصير الناقد انه يطول على المهجور الفاقد ويقصر على المسرور والراقد :

ليلى كما شات فان لم تزد طال وان زادت فليلى قصير

فقلت أيه ايها الامام اسمعنى شيئاً فى وصف الايام ، فقال :

لله ايام تقضت بهم ما كان احلاها واهناها
مرت فلم يبق لنا بعدها شىء سوى ان نتمناها

حيث الوقت معين وماء الشبيبه معين ، ونشر البشر فائح ، ونور الهنا لائح والحبيب مجيب والرقيب غير قريب ، وغصن الصبا رطيب ومطرف اللهو تشيب والعيش غض والدهر غضيض الطرف وسعاد السعد ممنوعة من الصرف، والشمل مجتمع والجمع مشتمل ، على الجميل وحسن الخلق والخلق . يا أخا الادب الى كم ذا الحرص والداب ، الايام نجمها عزار ومدعى الوفاء منها عذار ، كثير الملال سريعة الزوال، تفرق الحبائب وتسترجع المواهب، ذمامها ذميم ومسالمها سليم ، تحل العقود ولا تحفظ العهود ، وتكدر والصافى من الشراب وتعد الظامى بورد السراب ، لقد سقط من تمسك بغراها وتعب من قصد الراحة فى ذراها :

ومكلف الايام ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة نار

ثم قال: مضت الجهمة والشفق والفحمة، والغسق والقطع والسدقة والبهرة والزلفة، وآن لنسمات السحر ان تتخطر ولعيون الفجران تتفجر، وقام للوداع فقلت زورني بأنعم المتاع، فقال ضع اوزار الأوزار واتق من لاتدركه الأبصار وسبحه بالعشي والابكار، وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار.

اقول: ان هذا الكتاب كنت قد كتبته كله في أيام الشبـاب، ثم انه ذهب فيما ذهب من الكتب وكانجدي المرحوم المبرورالمحقق الحسن ابو منصور قدس الله روحه قـد انتخب هذه الفصول منه وهي عندي بخطـه الشريف، والترتيب مختلف وكتب في أولها: هذه فصول أنيعة تشتمل على فقر في البلاغة عريقة، انتخبتها من الكتاب المسمى بنسيم الصباالفاضل البارع الاديب الحسن ابن عمر بن الحسن بن حبيب، وقدمت أمامها شيئاً من كلامه في الديتاجه لانه مما تمس اليه الحاجة.

قال بعد أن حمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وآله: فهذه ثلاثون فصلا طالت فرعاً وطابت اصلا، تشتمل على ألفـاظ ارق من الشمول ومعـان يعينون عقائلها تفنن العقول، انشأتها بعد الافاقة من نشوة الصبا، وسميتها حيث ملكت زمام اللطف (نسيم الصبا)، واودعتها ابياتاً لغيرى على وجه التضمين، محلياً جيد منشورها بـالمنظوم من عقدهـا الثمين، منبهاً عليها بالحمرة مظهراً مالها على مـأمور قولي من الامرة، والله يهدى الى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

|حديث يود اسكفت|

بلغ ومن ذلك حديث قيل انه في بصائر الدرجات في (بـاب النوادر في الائمة عليهم السلام وأعاجيبهم) باسنـاده عن عفيف بن ابى سعيد قال: كنا في

اصحاب البرود ونحن شبان، فرجع الينا امير المؤمنين فقال بعضنا بود اسكفت قد جاءكم . فقال علي : ويحك ان اعلاه علم واسفله طعام .

اقول : معناه اناكنا في الجماعة الذين كانوا لابسي البرود ، ونحن شبان جمع شباب ، فرجع امير المؤمنين عليه السلام الينا فقال بعضنا بود اسكفت قد جاءكم ، أي قد جاكم هذا ، وهذا الكلام غير عربي وقصد المتكلم به ان لايفهم امير المؤمنين عليه السلام مايقوله واعتقد انه لايعرفه فعبر بهذه اللغة لئلا ينكر عليه ويتأثر منه أو لغير ذلك، ومعناه قد جاءكم البطين أو كبير البطن ونحو ذلك ، ومن صفاته عليه السلام الانزع البطين ، فقال له ويحك ان اعلاه - أي اعلى بطني - علم واسفله طعام، فهو عليه السلام بطين من العلم، فأخبره بأنه يعلم لغته وهذا من اعاجيبه عليه السلام .

[معنى حاجيتك الوارد في الحديث]

ومن ذلك مانقله ابن شهر اشوب رحمه الله في مناقبه قال : كتب معاوية الى ابي ايوب الانصاري: امابعد فحاجيتك بما لاتنسى شيباء. فقال امير المؤمنين: اخبره انه من قتلة عثمان وان من قتل عنده مثل الشيباء ، فان الشيباء لاتنسى قاتل بكرها ولا ابناء مخدرها ابداً .

اقول : قال في القاموس باتت بليلة شيباء بالاضافة وبليلة الشيباء اذا غلبت على نفسها ليلة هدائها . وقال : الشيباء آخر ليلة من الشهر .

وقال في الحجى : حاجيته فحجيته فاطنته فغلبته، وقال الحجى المعاركة ، وغير ذلك مما يمكن أن يكون له مناسبة بالمقام . فقول معاوية « فحاجيتك بما لاتنسى شيباء » مأخوذ من ذلك .

وحاصل المعنى اني خاصمتك بما يناسب هذا المثل أونحو ذلك ، وقد

بينه امير المؤمنين عليه السلام بأن معاوية أخبر أباايوب الانصاری بهذاالكلام انه من جملة من قتل عثمان وان من قتل عثمان عند معاوية مثل الشيباء ، فان الشيباء لاتنسى قاتل بكرها وهو أول من تلده .

و« لاتنسى اباءها » أى امتناعها « فى مخدرها » اي خدرها ليلة الدخول بها ابداً . وهذا الابالة دخل فى عزه الولد ، فالمراد ان هذا القاتل لاينبغى ان ينسى مافعله ابداً كالشيباء ، اذ الطالب بثاره مثل معاوية فيكون مما لاينسى ، كما يقال اذا كان مثلى خصمك لم يفارقك الخوف منى ونحو ذلك .

ويحتمل ان يكون المعنى ان معاوية لاينسى قتلة عثمان ، فيكون مثلا ضربه له فى عدم نسيانه ذلك . والمراد التمثيل بعدم نسيان ذلك لان القاتل كالشيباء .

ولكل قرب من جهة ، وان كان تشبيه القاتل بالشيباء اظهر من كلامه عليه السلام والله اعلم .

[مسألة يعقوب من الصحاح]

ومن ذلك عبارة فى الصحاح وهى على مانقله السائل: ويعقوب اسم رجل لاينصرف فى المعرفة للعجمة والتعريف لانه غير عن جهته فوقع فى كلام العرب غير معروف المذهب ، واليعقوب ذكر الحجل وهو مصروف لانه عربى لم يغير وان كان مزيداً فى أوله فليس على وزن الفعل ، قال الشاعر :

عال يقصر دونه اليعقوب

اقول : الذى يظهر من معنى هذه العبارة ان يعقوب اذا سمي به رجل كان غير منصرف لانة حينئذ اعجمى وعلم ففيه العلمية والعجمة ، ولم يكن منصرفاً لان استعمال العرب له وقع فيه تغيير عن جهته الاصلية التى هى العجمة، فوقع

في كلامهم غير معروف مذهبهم فيه هل هو بوضع منهم او أنهم استعملوه فقط، فالاصل فيه البقاء على العجمة أو ان لفظ يعقوب وقع فيه بعض تغيير بالنسبة الى الاسم الاصلي من العرب، ولم يعلم أنهم استعملوه مع التغيير بالوضع الاصلي أو بوضعهم ،كما في الالفاظ التي أصلها فارسي فعربت ، بمعنى أنها استعملت في لغة العرب مع تغيير في اللفظ لذلك المعنى، فاستعمال العرب لذلك وتغييرهم له لايعلم منه مذهبهم في ذلك بأنه وضع او استعمال مع تغيير .

وهذا بخلاف يعقوب الذي وضعه العرب لذكر الحجل ، فانه عربي راقع على مذهبهم حيث وضعوه له وان كان منقولا، فيكون منصرفاً لانه عربي وان كان علماً لهذا الجنس ، فلهذا كان منصرفاً .

والفرق بين يعقوب اسماً لرجل انه كان اولا اسماً لرجل ثم استعمل كذلك، ويعقوب الذي هو ذكر الحجل أنه بقي على الوضع الاول بحسب اصطلاح العرب ومذهبهم في الوضع .

[حديث حسن الخلق]

ومن ذلك مارواه محمد بن يعقوب رضي الله عنه في الكافي في باب حسن الخلق باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال : هلك رجل على عهد النبي صلى الله عليه وآله، فأتى الحفارين فاذا هم لم يحفروا شيئاً وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا مايعمل حديدنا في الارض فكانما نضرب به في الصفا . فقال : ولم ان كان صاحبكم لحسن الخلق ايتوني بقدح من ماء ، فأتوه به فأدخل يده فيه ثم رشه على الارض رشاً ثم قال: احفروا . قال فحفر الحافرون فكأنما كان رملا يتهايل عليهم .

اقول : محل الاشكال في هذا الحديث قوله عليه السلام « ان كان صاحبكم

لحسن الخلق »، وتوضيحه أن ان هنا مسكورة الهمزة ساكنة النون وهي مخففة من الثقيلة نحو « وان كادوا ليفتنونك »[1] « وان وجدنا اكثرهم لفاسقين »[2] قال في المغني : وحيث وجدت ان وبعدها اللام المفتوحة فاحكم بأن اصلها التشديد، واذا دخلت على الفعل فالاكثر كون الفعل ماضيـاً ناسخـاً نحو « وان كانت لكبيرة »[3] ودونه ان يكون مضارعاً نحو « وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك »[4] انتهـى .

فإن قلت : هل يحتمل أن ان تكون شرطية .

قلت : سياق الكلام وربطه ووجود اللام مع شهادة الذوق السليم يـأبى ذلك، ومثله كونها نافية مكسورة أو مفتوحة على ماحكي نادراً في المغني وتبعه صاحب القاموس ، واستدل صاحب هذا القول بقوله تعالى « ان يؤتى احد مثل ما أوتيتم »[5]. ورد بأن المعنى ولا تؤمنوا بأن يؤتى احد مثل ما أوتيتم من الكتاب الا من تبع دينكم وبالجملة فلا وجه في هذا التركيب للشرط ولا للنفي مع وجود شروط المخففة واستقامة المعنى بها دون غيرها .

اذا تقرر هذا فمعنى الحديث ـ والله أعلم ـ انه عليه السلام تعجب مـن ذلك بقوله ولم ومدحه بحسن الخلق ففعل عليه السلام بقبره مافعل ، وهذا امـا مع صفة ذميمة اقتضت تعسر الحفر ولاجل هذه الصفة فعل به مـافعل واما لكون الارض هكذا اتفقت صلابتها وانه لحسن خلقه يستحق مافعل به ، أو أن التعجب

---

١) سورة الاسراء : ٧٣ .
٢) سورة الاعراف : ١٠٢ .
٣) سورة البقرة : ١٤٣ .
٤) سورة القلم : ٥١ .
٥) سورة آل عمران : ٣٣ .

من حيث أن صاحب الخلق الحسن لايحصل له مثل هذا ظاهراً .

ويحتمل أن يكون عليه السلام تعجب من صلابة الارض ثم قـال : ان فيه صفة حسن الخلق ولأجل ذلك فعل عليه السلامذلك . وقدورد فى الخبر مامعناه انه أتى عليه السلام بجماعة فعرض عليهمالاسلام فأبوا فأمر بقتلهم ، فلما انتهى الامر الى رجل منهم أوحي اليه ان لايقتله لانه يحب اطعام الطعام ، فقال له :لم لاتقتلنى ؟ فأخبره عليه السلام بذلك فقال : ربك يحب من يطعم الطعام؟ فقال: نعم . فأسلم . ولايحضرنى ألفاظ هذا الحديث .

وفى خبر آخرمن طرق العامة أنه مات رجل على عهده عليه السلامفامتنع من الصلاة عليهحيث أنه كان تارك الصلاة، فجاء رجل وقال : يارسول اللهرأيته يوماً يصلي فصلى عليه . فيحتمل أن يكون عليه السلام فعل بقبر هذا الرجـل ذلك من حيث انه كانت فيه هذه الصفة . والله اعلم .

بقي احتمال قريب ، وهـو أن يكون لفظ لحسن محرفاً من النساخ وانـه لخشن بالخاء والشين المعجمتين ، فتعجب عليهالسلام من صلابة قبره ثم قال: ان كان لخشن الخلق وهذا هو السبب فى كون قبره هكذا ، ثم أمر عليه السلام بالماء حتى سهلعليهم ذلك . وهذا يدل على مدححسن الخلق ، فلايتوهمعدم مناسبته لباب حسن الخلق . والله تعالى اعلم .

[رسالة بغية المريد في الكشف عن أحوال الشهيد]

ومن ذلك نبذة من تاريخ جدي المبرور العالم الربانى زين الملة والدين الشهير بالشهيد الثـانى قدس الله تربته وأعلى فى عليين رتبته ، وهو الذي ألفه الشيخ الفاضل الاجل محمد بن على بن حسن العودى الجزينى أحد تلامذته رحمه الله تعالى ، وهذا الكتاب قد ذهب فيمـا ذهب من الكتب و وقع فى

يدي منه أوراق بقيت من نسخة أحببت ان أنقلها في هذا الكتاب تيمناً بذكر بعض أحواله ، قال المؤلف رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رافع درجات العلماء الى سماك السما ، وناصب أعلام اجر الشهداء يوم العرض بين الملا ، وخافض من شك في فضلهم الى ما تحت الثرى ، وجاعل من جزم بتعظيم قدرهم معهم في الرفيق الاعلى . والصلاة على رسوله محمد خاتم الانبياء ، وعلى آله الاطهار الاصفيا ، واصحابه الأخيار النجبا .

وبعد : فان أحق ما أودع في الطروس وتوجهت اليه النفوس من فن التواريخ المحفوظة والسير الملحوظة وتواريخ العلماء الأعلام والفضلاء الفخام ، اذ عليهم مدار هذا العالم من مبدأ نشو آدم الى يوم الحشر والحساب ، وهم الهداة الى طريق الصواب والأدلة على ماينجي من العقاب ، فكان الواجب على الخلق معما يترتب على حفظ تواريخهم وضبط مواليدهم ووفاتهم ونشر سيرهم وماكانوا عليه من المنهج القويم والخير العميم من المهمات الجليلة والفوائد النبيلة وانبعاث النفوس على اقتفاء آثارهم والتأسي بصالح افعالهم والاهتداء بمشكاة أنوارهم والابتهاج بلذيذ اخبارهم ، فكان الواجب على الناس عموماً وعلى التلامذة خصوصاً احياء ذكر مشائخهم بنقل احوالهم من البداية الى النهاية ليكون ذلك تذكرة على ممر الاعصار ووسيلة الى وقوف من يأتي على مايتعلق بهم من محاسن الأخبار وذريعة الى اجرائهم على خاطر داع لهم ومترحم عليهم بجميل الاثار .

وكان أحق من نظم في عقد هذا الشأن وأولى من نوه بذكره من فضلاء كل زمان شيخنا ومولانا ومرجعنا ومقتدانا ومنقذنا من الجهالة وهادينا ومرشدنا الى الخيرات ومربينا ، بديع زمانه ونادرة أوانه وفريد عصره وغرة دهره الشيخ الامام الفاضل

والحبر العالم العامل والنحرير المحقق الكامل خلاصة الفضلاء المحققين وزبدة العلماء المدققين الشيخ زين الملة والدين ابن الشيخ الامام نور الدين علي بن الشيخ الفاضل احمد بن جمال الدين بن تقي الدين صالح[1] تلميذ العلامة بن مشرف العاملي أفاض الله على روحه المراحم الربانية واسكنه في جنانه العلية وجعلنا الله من المقتدين بآثاره والمهتدين بأنوار بمحمد وآله عليه وعليهم افضل الصلاة واتم السلام .

ولما كان هذا الضعيف الملهوف عليه المحزون على طيب عيش من لديه مملوكه وخادمه (محمد بن علي بن حسن العودي الجزيني) ممن حاز على حظ وافر من خدمته وتشرف بمدة مديدة من ملازمته كان ورودي الى خدمته في عاشر ربيع الاول سنة ٩٤٥ الى يوم انفصالي عنه بالسفر الى خراسان في عاشر ذي القعدة سنة ٩٦٢ .

فكأنها احلام نوم لم تكن ... ياليتها دامت ولم تتصرم

وتمتعت منها القلوب ونارها ... من فرقة طغيت ولم لاتتضرم

فواشوقاه الى تلك الأوقات وواأسفاه على مافات ، وجب أن توجه الهمة الى جمع تاريخ يشتمل على ماتم من امره من حين ولادته الى انقضاء عمره تأدية لبعض شكره وامتثالا لما سبق الي من أمره ، فانه قدس سره كان كثيراً ما يشير الي بذلك على الخصوص ويرغب فيه من حيث العموم ، وقد نبه عليه في (منية المريد في آداب المفيد والمستفيد) .

فجمعت هذه النبذة اليسيرة وسميتها (ببغية المريد من الكشف عن احوال

---

١) رأيت بخط جدي الشيخ حسن طاب ثراه أن تقي الدين ذكره السيد علي بن عبد الحميد في كتاب الرجال ، وبخطه رحمه الله « هذا جدنا رحمه الله » ، ونقل معه جماعة من فضلاء ذلك الزمان من الكتاب المذكور « منه » .

الشيخ زين الدين الشهيد) ورتبتها على مقدمة وفصول وخاتمة :

(أمـا المقدمة) ففي وصفه بالكمال على الاطلاق وما اشتمل عليه من مكارم الاخلاق ووصف خلقته وشكله وهيئته ونبله ، واما الفصول :

(فالاول) في مولده وماعقبه من ختم كتاب الله وترتيب شروعه في تحصيل العلوم والمشائخ الذين استفاد منهم واخذ عنهم واجازوه ومهاجراته للتحصيل وما يتبع ذلك على التفصيل .

(والثاني) في ظهور اجتهاده وتعداد مصنفاته وما أفاده من التحقيقات في المسائل الفائقة والمباحث الرائعة .

(والثالث) في تعداد اصحابه وفضلاء تلامذته الذين قرؤا عليه وترددوا اليه واخذوا عنه واستفادوا منه من العرب وغيرهم .

(والرابع) في ذكر أمره في الكتابة وماله فيهامن الايات ومحاسن االكرامات.

(والخامس) في تعداد زوجاته وعدد أولاده ومن بقي ومن مات منهم ومن رثى ومن رثاه .

(والسادس) في محاسن الرسائل البليغة والانشاءات الفصيحة التي برزت منه الى الغير ومن الغير اليه .

(والسابع) في ذكر القصائد التي مدح بها في الزمان ومن مدحه من أهل هذا الشان .

(والثامن) في ذكر ما عرض له من الاخاويف وما نزل به من الاراجيف وما يتبع ذلك من التستر واخفاء نفسه في النازلات من الاعداء واهل السعايات وما وقع في خلال ذلك بيننا وبينه من المراسلات .

(والتاسع) في مقتله وخاتمة اجله بنيل درجة الشهادة وتحصيل غاية السعادة وسبب القبض عليه ومن سعى في تعجيل الحتف اليه واين وقع وكيف اتفق وما

يتبع ذلك من الكتابات المشتملة على الشفاعات من أعيان علماء اهل الشام وفضلاء الاسلام .

(والعاشر) في اضطراب الاخبار في تحقيق الأحوال بعد أخذه من الحجاز الى الروم وما انتهى اليه الحال حتى صار من المعلوم .

(واما الخاتمة) ففي المراثي والندب وما وقع بعد فقده من الكرب وبيان من رثاه وأسال الدمع على مصرعه وبلواه .

ولنرجع الى تفصيل ما اجملناه وترتيب ما اسلفناه ونقول .

المقدمة

(في وصفه بالكمال على الاطلاق وما اشتمل عليه من مكارم الاخلاق)

حازمن خصال الكمال محاسنها ومآثرها، وتردى من اصنافها بأنواع مفاخرها كانت له نفس عليه تزهى بها الجوانح والطلوع وسجية سنية يفوح منها الفضل ويضوع ، كان شيخ الامة وفتاها ومبدأ الفضائل ومنتهاها ، ملك من العلوم زماماً وجعل العكوف عليها الزاماً فأحيى رسمها واعلى اسمها ، لم يصرف لحظة من عمره الا في اكتساب فضيلة ووزع أوقاته على ما يعود نفعه في اليوم والليلة، اما النهار ففي تدريس ومطالعة وتصنيف ومراجعة ، وأما الليل فله فيه استعداد كامل لتحصيل ما يبتغيه من الفضائل .

هذا مع غاية اجتهاده في التوجه الى مولاه وقيامه بأوراد العبادة حتى يكل قدماه ، وهو مع ذلك قائم بالنظر في احوال معيشته على احسن نظام وقضاء حوائج المحتاجين بأتم قيام ، يلقى الاضياف بوجه مسفر عن كرم كانسجام الامطار وبشاشة تكشف عن شمم كالنسيم المعطار يكاد يبرح بالروح وترتاح اليه النفوس كالغصن المروح ، ان رآه الناظر على اسلوب ظن انه ما تعاطى

سواه ولم يعلم أنه بلغ من كل فن منتهاه ووصل منه الى غاية أقصاه ، فجاء نظامه أرق من النسيم للعليل وآنق من الروض البليل .

اما الادب فاليه كان منتهاه ورقى فيه حتى بلغ سماه ، وأما الفقه فقد كان قطب مداره وفلك شموسه واقماره وكان هوي نجم سعوده في داره، وأما الحديث فقدمد فيه باعاً طويلا وذلل صعاب معانيه تذليلا وشعشع القول فيه وروقه ومدفي ميدان الاعجاز مطلقة حتى صار نصب عينه عياناً وجعل للسالكين في طرقه تبياناً أدأب نفسه في تصحيحه وابرازه للناس حتى فشا ، وجعل ورده في ذلك غالباً ما بين المغرب والعشاء وما ذاك الا لانه ضبط أوقاته بتمامها ، وكانت هذه الفترة بغير ورد قرين الاوراد بختامها ، واما المعقول فقد أتى فيه من الابداع ما أراد وسبق فيه الانداد والافراد ، ان تكلم في علم الاوائل بهج الاذهان والالباب وولج منها كل باب . وأما علوم القرآن العزيز وتفاسيره من البسيط والوجيز فقد حصل على فوائدها وحازها وعرف حقائقها ومجازها وعلم اطالتها وايجازها ، واما الهيئة والهندسة والحساب والميقات فقد كانت له فيها يدلاله تقصر عن الايات ، واما السلوك والتصوف فقد كان له فيه تصرف وأي تصرف .

وبالجملة فهو عالم الاوان ومصنفه ومقرط البيان ومشنفه بتآليف كأنها الخرائد وتصانيف أبهى من القلائد، وضعها في فنون مختلفة وأنواع واقطعها ما شاء من الاتقان والابداع وسلك فيها مسلك المدققين وهجر طريق المتشدقين ، ان نطق رأيت البيان منسرباً من لسانه وان احسن رأيت الاحسان منتسباً الى احسانه ، جدد شعائر السنن الحنيفية بعد اخلاقها وأصلح للامة ما فسد من أخلاقها وبه اقتدى من رام تحصيل الفضائل واهتدى بهداه من تحلى بالوصف الكامل ، عمر مناجد الله وأشاد بنيانها وربت وظائف الطاعات فيها وعظم شأنها ،كم امر بالمعروف ونهى عن المنكر وكم أرشد من صلى وصام وحج واعتمر .

كان لابواب الخيرات مفتاحاً وفي ظلمه عمى الامة مصباحاً ، منه تعلم الكرم كل كريم وبه استشفى من الجهالة كل سقيم واقتفى أثره فى الاستقامة كل مستقيم لم تأخذه في الله لومة لائم ولم يثن عزمه عن المجاهدة فى تحصيل العلوم الصوارم ، أخلصت لله أعماله فأثرت في القلوب اقواله .

اعز ما صرف همته فيه خدمة العلم واهله ، فحاز الحظ الوافر لما توجه اليه بكله .

ولقد كان مع علو رتبته وسمو منزلته على غاية من التواضع ولين الجانب ويبذل جهده مع كل وارد فى تحصيل ما يبتغيه من المطالب، اذا اجتمع بالاصحاب عد نفسه كواحد منهم ولم تمل نفسه الى التميز بشيء عنهم، حتى انه كان يتعرض الى ما يقتضيه الحال من الأشغال من غير نظر الى حال من الاحوال ولا ارتقاب لمن يباشر عنه ما يحتاج اليه من الاعمال .

ولقد شاهدت منه سنة ورودى الى خدمته انه كان ينقل الحطب على حمار فى الليل لعياله ويصلى الصبح فى المسجد ويشتغل بالتدريس بقية نهاره ، فلما أشعرت منه بذلك كنت أذهب معه بغير اختياره وكنت أستفيد من فضائله وأرى من حسن شمائله ما يحملنى على حب ملازمته وعدم مفارقته .

وكان يصلى العشاء جماعة ويذهب لحفظ الكرم ويصلى الصبح فى المسجد ويجلس للتدريس والبحث كالبحر الزاخر ، ويأتى بمباحث عقل عنها الاوائل والاواخر .

ولعمرى لقد اشتمل علي فضيلة جميلة ومنقبة جليلة تفرد بها عن ابناء جنسه وحباه الله بها تزكية لنفسه ، وهى أنه من المعلوم البين أن العلماء رحمهم الله لم يقدروا على ان يروجوا امور العلم وينظموا أحواله ويفرغوه فى قالب التصنيف والترصيف حتى يتفق لهم من يقوم بجميع المهمات ويكفيهم كل ما يحتاجونه

من التعلقات ويقطع عنهم جميع العلائق ويزيل عنهم جميع الموانع والعوائق اما من ذى سلطان يسخره الله لهم أو ذي مروة وأهل خير يلقي الله في قلبه قضاء مهماتهم لئلا يحصل الاخلال باللطف العظيم ويتعطل السلوك الى المنهج القويم، ومع ذلك كانوا في راحة من الخوف بالامان وفي دعة من حوادث الزمان، ولكل منهم وكلاء قوامون بمصالح معيشتهم ونظام دنياهم بحيث لا يعرفون الا العلم وممارسته ولم يبرز عنهم من المصنفات في الزمان الطويل الا القليل ومن التحقيقات الا اليسير وان كان بعضهم خارجاً عما ذكرنا فلاغر ومعما كان فيه من تمام التوفيق الموصل الى غاية مدارك تحقيق .

وكان شيخنا المذكور روح الله روحه معما عرفت يتعاطى جميع مهماته بقلبه وبدنه حتى لو لم يكن الا مهمات الواردين عليه ومصالح الضيوف المترددين اليه مضافاً الى القيام بأحوال الاهل والعيال ونظام المعيشة واتقان أسبابها من غير وكيل ولا مساعد يقوم بها ، حتى انه ماكان يعجبه تدبير أحد في أمورد ولا يقع على خاطره ترتيب مرتب لقصوره عما في ضميره ، ومع ذلك كله فقد كان غالب الزمان في الخوف الموجب لاتلاف النفس والتستر والاختفاء الذى لا يسع الانسان معه أن يفكر في مسألة من ضروريات البديهية ولا يحسن أن يعلق شيئاً يقف عليه من بعده من ذوى الفطن النبيهة ، وسيأتي انشاء الله تعالى في عدة تصانيفه ماظهر عنه في زمن الخوف من غزارة العلوم المشبهة بنفائس الجواهر المنظوم .

وقد برز عنه مع ذلك من التصنيفات والابحاث والتحقيقات والكتابات والتعليقات ما هو ناش عن عين فكر صاف وعارف من بحار علم واف، بحيث اذا فكر من تفكر في الجمع بين هذا وبين ما ذكرنا تحير ، وهذه فضيلة تشهد له بها كل من كان له به أدنى مخالطة ولا يمكن أحداً فيها مغالطة .

ومن الشاهد الواضح البين أن الواحد منا مع قلة موانعه وتعلقاته وتوفر دواعيه وأوقاته بذل الجهد في استقصاء كتابة مصنفاته وما برز من تحقيقاته فما رأينا احداً من اصحابه استقصاها ولا بلغ منتهاها ، وكفاه بذلك نيلا وفخراً.

واما شكله فقد كان ربعة من الرجال في القامة معتدل الهامة ، وفي آخر امره كان الى السمن أميل بوجه صبيح مدور وشعر سبط الى الشقرة ماهو مع سواد العينين والحاجبين، وكان له خال على أحد خديه وآخر على احد جبينيه وبياض اللون ولطافة الجسم عبل الذراعين والساقين ، كان اصابع يديه أقلام فضة اذا نظر الناظر في وجهه وسمع عذوبة لفظه لم تسمح نفسه بمفارقته وتسلى عن كل شيء بمخاطبته ، تمتلي العيون من مهابته وتبتهج القلوب لجلالته . وأيم الله انه لفوق ما وصفت وقد اشتمل من حميد الخصال على اكثر مما ذكرت .

الفصل الاول

(في مولده وما اعقبه من ختم كتاب الله وترتيب شروعه في تحصيل العلوم والمشائخ الذين استفاد منهم واخذ عنهم واجازوه ومهاجراته)

وقد وجدت بخطه الشريف قطعة من تاريخ يتضمن مولده وجملة من أحواله أوزع على كل فصل من الفصول ما يليق به منها ، وأذكر ما أثبته من حفظي عنه أو عن غيره مما لم يذكره هو بحسب ما يليق بالحال وبالله التوفيق.

قال قدس الله نفسه وطهر رمسه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على أشرف المرسلين . وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين .

هذه جملة من احوالي وتصرف الزمان بي في عمري وتاريخ بعض المهمات

التي اتفقت لي .

كان مولدي في يوم الثلاثاء ثالث عشر شوال سنة احدى عشرة وتسعمائـة من الهجرة النبوية ، ولا أحفظ مبدأ اشتغالي بالتعلم .

قلت : ذكر لي انه لشدة صغره ، وكان ابوه عطوفاً عليه جداً رؤوفاً به متفرساً فيه الخير والنجابة ، حتى أنه ماضربه قط ، كان يقول للمعلم هذا الولد لاتضربه أصلا بل اتركه برأيه فاني اعلم انه لايحتاج الى الضرب .

وكان الامر كما ذكر ، فانه كان في غاية الرشد لايلتفت الا الى ما يعود نفعه ولا يشتغل باللعب ولا بما يلهي مما هو مركوز في جبلة الأطفال .

قال قدس سره : لكن كان ختمي لكتاب الله العزيز سنة عشرين وتسعمائة من الهجرة النبوية وسني اذ ذاك تسع سنين ، واشتغلت بعده بقراءة الفنون العربية والفقه على الوالد قدس الله سره الى ان توفي في العشر الاوسط من شهر رجب يوم الخميس سنة خمس وعشرين وتسعمائة .

وكان من جملة ماقرأته عليه من كتب الفقه النافع مختصر الشرائع واللمعة الدمشقية .

قلت: حكى لي أنه من جملة لطفه به أنه كان يقرأ تصريف الزنجاني على بعض الأعاجم وكان يقول له كلما صرفت صيغة فلك كذا من الدراهم وكان يفي له بما يجعل له .

قال نظر الله وجهه : ثم ارتحلت في تلك السنة مهاجراً في طلب العلم الى ميس ، وكان ابتداء الانتقال في شهر شوال من السنة المذكورة ، واشتغلت على شيخنا الجليل الشيخ علي بن عبد العالي قدس الله سره من تلك السنة الى أواخر سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ، وكان من جملة ماقرأته عليه شرائع الاسلام والارشاد واكثر القواعد .

ثم ارتحلت في شهر ذي الحجةالى كرك نوح عليه السلام وقرأت بها على المرحوم المقدس السيد حسن بن السيد جعفر جملة من الفنون ، وكان مما قرأته عليه قواعد ميثم البحراني في الكلام والتهذيب في أصول الفقه والعمدة الجليلة في الاصول الفقهية من مصنفات السيد المذكور والكافية في النحو ، وسمعت جملة من الفقه وغيره من الفنون .

ثم انتقلت الى جبع وطني الاول زمن الوالد في شهر جمادى الاخر سنة اربع وثلاثين ، وأقمت بهامشتغلا بمطالعة العلم والمذاكرة الى سنة ٩٣٧ .

ثم ارتحلت الى دمشق واشتغلت بهاعلى الشيخ الفاضل المحقق الفيلسوف شمس الدين محمدبن مكي ، فقرأت عليه من كتب الطب شرح الموجز النفيسي وغاية القصد في معرفة الفصد من مصنفات الشيخ المبرور المذكور وفصول الفرغاني في الهيئة وبعض حكمة الاشراق للسهروردي ، وقرأت في تلك المدة بها على المرحوم الشيخ احمد بن جابر الشاطبية في علم القراءات وقرأت عليه القرآن بقراءة نافع وابن كثير وابي عمرو وعاصم .

ثم رجعت الى جبع سنة ٩٣٨ وبهاتوفي شيخنا الشيخ شمس الدين المذكور وشيخنا المتقدم الاعلى الشيخ علي في شهر واحد وهو شهر جمادى الاولى، وكانت وفاة شيخنا السيد حسن سادس شهر رمضان سنة ٩٣، وأقمت بالبلدة المذكورة الى تمام سنة ٩٤١ .

ورحلت الى مصر في أول سنة ٩٤٢ لتحصيل ماأمكن من العلوم واجتمعت في تلك السفرة بجماعة كثيرة من الافاضل ، فأول اجتماعي بالشيخ شمس الدين ابن طولون الدمشقي الحنفي وقرأت عليه جملة من الصحيحين وأجازني روايتهما مع ما يجوز له روايته في شهر ربيع الاول من السنة المذكورة .

قلت : وكانت قراءته عليه في الصالحية بالمدرسة السليمية وكنت انا اذ

ذاك في خدمته أسمع الدرس واجازني الشيخ المذكور الصحيحين المذكورين، ورآه بعض الاخوان الصالحين وهو الشيخ زين الدين الفقعاني تلك السنة في المنام في قرية يقال لها البصة على ساحل البحر مع جماعة فدخل عليهم رجل ذوهيئة ومعه جرة فيها ماء فألقم باب الجرة شيخنا الشيخ زين الدين وجعل يكرع من الماء وهو قابضها معه ، فسأل الرائي عنه فقيل له هذا الشيخ علي بن عبد العالي الكركي وهذا الشيخ يروي عنه شيخنا بواسطة[1] توفي مسموماً ثاني عشر ذي الحجة سنة ٩٤٥ وهو في الغري على مشرفه السلام ، وكنت أريد صحبته الى مصر فأرسلت اليه الوالدة أنه يمنعني من السفر فمنعني وماكان ذلك الا لسوء حظي ، وكان القائم بامداده وتجهيزه بهذه السفرة الحاج المحترم الخير الصالح شمس الدين محمد بن هلال رحمه الله ، عمل معه عملا قصد به وجه الله وقام بكل مايحتاج اليه مضافاً الى ما اسدى اليه من المعروف وأجرى عليه من الخيرات في مدة طلبه العلم قبل سفره .

هذا واصبح هذا الحاج محمد مقتولا في بيته هو وزوجته وولدان له احدهما رضيع في السرير في سنة ٩٥٢ ، وكان مع كونه من اهل الدنيا على غاية من الصلاح ، وكان في القافلة التي سافر معها رجل من اهل الشام يخاف من شره وعناده وغدره ، وكان الحاج محمد المذكور يحذره منه حتى بالغ وقال : لو كنت أنا اريد السفر وهذا الرجل في القافلة لتركت السفر وسيجيء مااتفق له مع هذا الرجل في الطريق وكفاية الله شره .

---

١) اقول انه يروي عنه بغير واسطة لما اجتمع معه في الجملة ، واجازته له عندي بخطه في اول شرح الجعفرية ، وكان الشيخ زين الدين قدس سره في أوائل السن ، وتاريخ الاجازة في ثالث شهر رجب من سنة أربع وثلاثين وتسعمائة . ويظهر مما يأتي انه لم يكن في هذه السنة مسافراً ، ويمكن أن تكون الاجازة المشارك له في الاسم وفيهما الشيخ زين الدين العاملي « منه » .

ثم ودعناه وسافر من دمشق يوم الاحد نصف ربيع الأول سنة ٩٤٢ واتفق في الطريق الطاف الهية وكرامات جلية حكى لنا بعضها:

منها ماأخبرني به ليلة الاربعاء عاشر شهر ربيع الاول سنة ستين وتسعمائة أنه في الرملة مضى الى مسجدها المعروف بالجامع الابيض لزيارة الانبياء الذين في الغار وحده، فوجد الباب مقفولا وليس في المسجد أحد، فوضع يده على القفل وجذبه فانفتح فنزل الى الغار واشتغل بالصلاة والدعاء وحصل له اقبال على الله بحيث ذهل عن انتقال القافلة وسيرها، ثم جلس طويلا ودخل المدينة بعد ذلك ومضى الى مكان القافلة فوجدها قد ارتحلت ولم يبق منها أحد، فبقي متحيراً في أمره مفكراً في اللحاق مع عجزه عن المشي وأخذوا أسبابه ومحافته، فأخذ يمشي على اثرها وحده، فمشى حتى اعياه التعب فلم يلحقها ولم يرها من البعد فبينما هو في هذا الضيق اذ أقبل عليه رجل لاحق به وهو راكب بغلا، فلما وصل اليه قال له: اركب خلفي، فردفه ومضى كالبرق، فما كان الاقليل حتى لحق به القافلة وأنزله وقال له اذهب الى رفقتك، ودخل هو في القافلة. قال: فتحريته مدة الطريق اني أراه ثانياً فما رأيته اصلا ولا قبل ذلك، وهذه كرامة ظاهرة وعناية باهرة لاينكرها الامن غطى هواه على عقله واعتقد أن الله لايعتني بمن هو من أهله.

ومنها انه لما وصل الى غزة واجتمع بالشيخ محي الدين عبدالقادر بن ابي الخير الغزي وجرت بينه وبينه احتجاجات ومباحثات واجازه اجازة عامة وصار بينهما موادة زائدة وادخله الى خزانة كتبه فقلب الكتب وتفرج في الخزانة، فلما أراد الخروج قال له: اختر لنفسك كتاباً من هذه الكتب. فوضع يده على كتاب من غير تأمل ولا انتخاب، فظهر كتاب لايحضرني اسمه من كتب الشيعة من مصنفات المرحوم الشيخ جمال الدين بن المطهر. وهذه كرامة واضحة ومنقبة راجحة.

ومنها انه لما وصل الى قطية وكان معه شيء من الشريط بضاعة ، فجاء جماعة الحاكم يطلبون المكوس من القافلة وأخذوهم الى عند الحاكم وكان هو من الجملة فمر، فرأى الرجل الشامي الذى كان الحاج محمد بن هلال المذكور يحذره منه جالساً عند باب الوالي ، فلما رآه مقبلا قال للحاضرين : هذا هو الذى قلت لكم عنه . فقال له ماالذى قلت لهم عني؟ قال : قلت لهم انك رائح الى مصر تطلب العلم وان الحاج محمد بن هلال أرسلك وامدك فحصل فى نفسه بعض ريبة ، فلما دخلوا على الوالي وجعلو يحاسبون التجار على مامعهم حتى وصلت النوبة اليه ، فلما نظر اليه تفرس فيه الخبر وكتب بخطه رقعة فيها جمال فلان سماح ، فلما خرج من عنده مر على الرجل الشامى المذكور فقال له : لاشك ان معك لجاماً تلجو به الناس ، فكأنه لما كان فى قلبه عليه دغالة وغيرها الله تعالى وكفاه ذلك قال له ذلك ، والذى كان معه من البضاغة نصف حمل فجعل جمال بعض رفقته له وخرجها .

قال نفع الله ببركاته: وكان وصولى الى مصر يوم الجمعة منتصف شهر ربيع الاخر من السنة المتقدمة ، واشتغلت بها على جماعة .

(منهم) الشيخ شهاب الدين احمد الرملي الشافعى، قرأت عليه منهاج النووى فى الفقه واكثر مختصر الاصول لابن الحاجب وشرح العضدي مع مطالعة حواشيه منها السعدية والشريفية ، وسمعت عليه كتباً كثيرة فى الفنون العربية والعقلية وغيرهما ، فمنها شرح التلخيص المختصر فى المعانى والبيان لملا سعد الدين ومنها شرح تصريف العربى ومنها شرح الشيخ المذكور لورقات امام الحرمين الجوينى فى اصول الفقه ومنها اذكار النووى وبعض شرح جمع الجوامع المحلى فى اصول الفقه وتوضيح ابن هشام فى النحو وغير ذلك ممايطول ذكره، وأجازنى اجازة عامه بمايجوز له روايته سنة ٩٤٣ .

(ومنهم) الملا حسين الجرجاني، قرأنا عليه جملة من شرح التجريد للملا علي القوشجي مع حاشية ملاجلال الدين الدواني وشرح اشكال التأسيس في الهندسة لقاضي زاده الرومي وشرح الجغميني في الهيئة له .

(ومنهم) الملا محمد الاسترابادي، قرأنا عليه جملة من المطول مع حاشية السيد الشريف والجامي شرح الكافية .

(ومنهم) الملا محمد الكيلاني ، سمعنا عليه جملة من المعاني والمنطق .

(ومنهم) الشيخ شهاب الدين بن النجار الحنبلي ، قرأت عليه جميع شرح الشافية للجار بردي وجميع شرح الخزرجية في العروض والقوافي للشيخ زكريا الانصاري وسمعت عليه كتباً كثيرة في الفنون والحديث منها الصحيحان، واجازني جميع ما قرأت وسمعت ومايجوز له روايته في السنة المذكورة .

(ومنهم) الشيخ ابوالحسن البكري ، سمعت عليه جملة من الكتب في الفقه والتفسير وبعض شرحه على المنهاج .

قلت كثيراً ما كان قدس الله سره يطري علينا احوال عدر الشيخ ويثني عليه ، وذكر أنه كان له حافظة عجيبة كان التفسير والحديث نصب عينيه ، وكان اكثر المشائخ المذكورين أبهة ومهابة عند العوام والدولة ، وكان على غاية من حسن الطالع والحظ الوافر من الدنيا واقبال القلوب عليه ، وكان من شدة ميل الناس اليه اذا حضر مجلس العلم أودخل المسجد يزدحم الناس على تقبيل كفيه وقدميه حتى منهم من يمشي حبواً حتى يصل الى قدميه يقبلهما .

صحبه شيخنا نفع الله به من مصر الى الحج وذكر أنه خرج في مهيع عظيم من مصر راكباً في محفة مستصحباً ثقلا كثيراً بعزم المجاورة بأهله وعياله، وكان شأنه انه اذا حج يجاور سنة ويقيم بمصر سنة ويحج ، وكان معه من الكتب عدة أحمال ، ذكر شيخنا عددها ولكن ليس في حفظي الان ، حتى انه ظهر

له منه التعجب من كثرتها ، فروى له أن الصاحب بن عباد رحمه الله كان اذا سافر يصحب معه سبعين حملا من الكتب بحيث صار ما صحبه قليلا فى جنب ذلك .

وذكر أنه حكى له فى أول منزل برز اليه الحاج خارج مصر أنه اخرج حتى صار فى ذاك المنزل ألف دينار من المال ، وكان محباً لشيخنا مقبلا عليه متلطفاً به ، ولما رآه اول مرة راكباً فى المحارة وهو كان فى المحفة سلم عليه وتواضع معه وقال له : يا شيخ أنا اول حجة حججتها ركبت فى موهية عبارة عن وعاء من الخوص ، وانت الحمدلله من أول حجة ركبت فى المحارة ، وكان شيخنا يتحرى ان لا يراه وقت الاحرام، فاتفق انه صادفه حال السير محرماً فقال له بصوت عال : ما أحسن هذا ما احسن هذا تقبل الله منكم ، وكانت له معه محاورات ولطائف فى تضاعيف المباحثات .

سأله يوماً فى الطريق : ما تقولون فى أمر هولاء العوام والرعاع الذين لا يعرفون شيئاً من الدلالات المنجية من الهلكات ، ماحكمهم عند الله سبحانه وهل يرضى منهم مع هذا التقصير ، بل تنقل الكلام الى العلماء الاعلام والفضلاء الكرام الذين جمد كل فريق منهم على مذهب من المذاهب الاربعة ولم يدر ما قيل فيما عدا المذهب الذى اختاره مع قدرته على الأطلاع والتفحص وادراك المطالب وقنع بالتقليد للسلف وجزم بأنهم كفوه مؤونة ذلك ومن المعلوم ان الحق فى جهة واحدة ، فان قالت احدى الفرق الحق فى جانبنا اعتماداً على فلان وفلان فكذلك الاخرى تقول اعتماداً على محققيهم واعيان مشائخهم ، لان ما من فرقة الا ولها فضلا ترجع اليهم وتعول عليهم ، فالشافعية مثلا يقولون نحن الامام الشافعى وفلان وفلان كفونا ذلك ، وكذلك الحنفية يستندون الى الامام ابى حنيفة وغيره من محققى المذهب، وكذلك المالكية والحنابلة يستندون الى فضلائهم ومحققيهم

وكذلك الشيعة يقولون نحن السيد المرتضى والشيخ الطوسي والخواجانصير الدين والشيخ جمال الدين وغيرهم بذلوا الجهد وكفونا مؤونة التفحص ونحن على بصيرة وثقة من أمرنا ، فكيف يكتفي مثـل هؤلاء الفضلاء بالاقتصار على احد هذه المذاهب ولـم يطلع على حقيقة المذاهب الاخر بـل ولا وقف على مصنفات أهله ولاعرف اسماءهم، فكون الحق مع الجميع لايمكن ومع البعض ترجيح من غير مرجح .

فاجاب الشيخ ابو الحسن : اما ما كان من العوام فنرجو من عفو الله انه لا يؤاخذهم بتقصيرهم ، وأما العلماء فيكفيهم كون كل منهم محقاً في الظاهر .

فقال شيخنا: كيف يكفيهم معما ذكر من تقصيرهم في النظر وتحقيق الحال؟

فقال له : يا شيخ جوابك سهل ، مثال ذلك من ولد مختوناً خلقة فانه يكفيه عن الختان الواجب شرعاً .

فقال له شيخنا : هـذا المختون خلقة لايسقط عنه الوجوب حتى يعلم أن هذا هو الختان الشرعي ، بأن يسأل ويتفحص من اهل الخبرة والممارسين لذلك وان هذا القدر الموجود خلقة هل هو كاف في الواجب شرعاً ام لا ، اما انه من نفسه يقتصر على ما وجده فهذا لايكفيه شرعاً في السقوط .

فقال له : يا شيخ ليست هذه أول قارورة كسرت في الاسلام .

توفي سنة ٩٥٣ بمصر ودفن بالقرافة ، وكان يوم موته يوماً عظيماً بمصر لكثرة الجمع ودفن بجانب قبة الامام الشافعي وبنوا عليه قبة عظيمة .

قال روح الله روحه الزكية : ومنهم الشيخ زين الدين الحرى المالكي ، قرأت عليه الفية ابن مالك .

(ومنهم) الشيخ المحقق ناصر الدين اللقاني المالكي محقق الوقت وفاضل تلك البلدة ، لم أر بالديار المصرية أفضل منه في العلوم العقلية والعربية، سمعت

عليه البيضاوى فى التفسير وغيره من الفنون .

(ومنهم) الشيخ ناصر الدين الطلاوي الشافعى ، قرأت عليه القرآن بقراءة ابى عمرو ورسالة فى القراءات من تأليفاته

(ومنهم) الشيخ شمس الدين محمد ابى النجا النحاس ، قرأت عليه الشاطبية فى القراءات والقرآن العزيز للائمة السبعة ، وشرعت ثانياً اقرأ عليه للعشرة ولم اكمل الختم بها .

قلت : كثيراً ما كان ينعت هذا الشيخ بالصلاح وحسن الاخلاق والتواضع وكان فضلاء مصر والاكابر يتردد دون اليه القراءة فى فنون القرآن العزيز لبروزه فيها ، وكان هذا الفن نصب عينه حتى أن الناس كانوا يقرأون عليه وهو مشتغل بالصنعة لايرمى المطرقة من يده الا اذا جاء أحد من الفضلاء الكبار فيفرش له شيئاً ويجلس هو على الحصير .

قال : اعاد الله علينا من بركاته .

(ومنهم) الشيخ الفاضل الكامل عبد الحميد السمهودى ، قرأت عليه جملة صالحة من الفنون وأجازنى اجازة عامة .

قلت : وهذا الشيخ ايضاً كان شيخنا قدس سره كثير الثناء عليه بالجمع بين فضيلتى العلم والكرم، وانه كان فى رمضان لايدعهم يفطرون الاعنده ، حتى أنهم غابوا عنه ليلة فلما جاؤا بعدها تلطف بهم كثيراً .

وقال : كل من فى البيت استوحش لكم البارحة حتى لطيفة اسم بنت صغيرة كانت له ، وكان له جارية اذا جاء أحد بطلبهم للضيافة يقول اعلمى سيدك بالحبر أن فلاناً يطلب الجماعة ليكونوا عنده الليلة ، تقول هذا الخبر لا أعلمه به ولا اقول له عن ذلك .

قال قدس سره (ومنهم) الشيخ شمس الدين محمد بن عبد القادر الفرضى الشافعى

قرأت عليه كتباً كثيرة فى الحساب الهموائى والمرشدة فى حساب الهند الغبارى والياسمينيةوشرحها فىعلم الجبر والمقابلة وشرح المقنع فىعلم الجبروالمقابلة وسمعت عليه بعض شرح الوسيلة واجازنى اجازة عامة .

وسمعت بالبلـد المذكور من جملة متكثرة من المشائخ يطـول الخطب بتفصيلهم، ومنهم الشيخ عميرة الشيخ شهابالدين بن عبد الحق والشيخ شهاب الدين البلقينى والشيخ شمس الدين الديروطى وغيرهم .

قلت ، وكل هؤلاء المشائخ لم يبق منهم أحد وقت انشاء هـذا التاريخ ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون .

ثم ارتحلت من مصر الى الحجاز الشريف سابع عشر شهر شوال سنة ٩٤٣، ورجعت الى وطنى الاول بعدقضاء الواجب من الحج والعمرة والتمتع بزيارة النبى وآله واصحابه صلوات الله عليهم .

وكان قدس سره قد رأى النبى صلى الله عليه وآله فى منامه بمصر ووعده بالخير ولا أحفظ صورة المنام الان، فلما وقف على القبر المقدس وزاره خاطبه وأنشده وقال :

صلاة وتسليم على اشرف الورى ... ومن فضله ينبوعى الحد والحصـر
ومن قد رقى السبع الطباق بنعله ... وعوضـه الله البراق عن المهـر
وخـاطبـه الله الـعلى بـحبـه ... شفاهاً ولـم يحصـل لعبد ولاحـر
عدولـى عـن تعداد فضلـك لايق ... يكل لسانى عنـه فى النظـم والنثر
وماذا يقول الناس فى مدح من اتت ... مدائحه الغراء فى محكـم الذكر
سعيت اليـه عاجـلا سعى عاجـز ... بعبء ذنـوب جمـة أثقلت ظهـرى
ولكن ريـح الشـوق حرك همتى ... وروح الرجا مع ضعف نفسى ومع فقرى
ومن عادة العرب الكرام بوفدهـم ... اعادتـه بالخيـر والجبـر والوفـر

وان يك وفد قد وفوا لنزيلهم فكيف وقد داوعدتني الخير في مصر
فحقق رجائي سيدي في زيارتي بنيل مناني والشفاعة في حشري

قال طاب مثواه : ووصلت رابع عشري شهر صفر سنة ٩٤٤ . قلت: وكان قدومه الى البلاد كرحمة نازلة وغيوث هاطلة أحيى بعلومه نفوساً اماتها الجهل وازدحم عليه أولوا العلم والفضل ، كان ابواب العلم كانت مقفلة ففتحت وسوقه كانت كاسدة فربحت ، وأشرقت انواره على ظلمة الجهالة فاستنارت وابتهجت قلوب اهل المعارف واضاءت ، اشهر ما اجتهد في تحصيله منه واشاع وظهر من فوائده مالم يطرق الاسماع ، رتب الطلاب ترتيب الرجال وأوضح السبيل لمن طلب الكمال . وفي هذه السنة توشح ببرود الاجتهاد وافاض مولاه عليه من السعادة ما اراد الا انه بالغ في كتمان امره ، وسيأتي تفصيل ذلك في بابه انشاء الله .

قال روح اللهروحهالزكية : وأقمت بها الى سنةست واربعين . قلت : وفي خلال هذه المدة عمر داره التي انشأها بجبع وقلت امدحها .

فيالك بقعة قد نلت خيرا وشرفك الاله بمن وطيك
لقد أصبحت تفتخرين بشرا بزين الدين اذ قدحل فيك
فكيف ولاافتخار وصرت ظرفاً ونبع العلم مسكوت بفيك
تمنى الواردون بأن يكونوا مكانك في سمار مسامريك
ليقتضوا غرايب كل فن من الاقطار قد جمعن فيك
فلا زال السرور بكل يوم يخاطب بالتحية ساكنيك

وكان يحصل له هذه الابيات غاية الابتهاج، وشرع ايضاً في عمارة المسجد المجاور للدار المذكورة وانتهى في سنة ٩٤٥ .

قال نفعنا الله بعلومه : وسافرت الى العراق لزيارة الأئمة عليهم السلام

وكان خروجي سابع عشري شهر ربيع الاخر سنة ٩٤٦ ورجوعي خامس عشر شهر شعبان منها .

قلت : وكنت في خدمته مع جماعة من الاصحاب وأهل البلاد تلك المرة وكانت من أبرك السفرات بوجوده ، واتفق انه رافقنا من حلب رجل اخو بعض سلاطين الازبك كان قد جاء من الحج ومعه جماعة من جملتهم رجل شيعي أعجمي ومنهم آخر من بلاده في غاية البغض للشيعة والبعد عنهم ، وكان شيخاً كبيراً طاعناً في السن واخر لا يصلي به اماماً ، وكان يظهر من الشيخ الكبير بعد زائد عن الشيخ ورفقته ، فلم يزل ذلك العجمي يقرب خاطره حتى ألف بينه وبين الشيخ وما بقي يصلي الا معه ، واذا نزلت القافلة حال نزوله عن الفرس يجيء الى عنده ، وألقى الله سبحانه حبه في قلبه وترك الصلاة مع صاحبه الملا وجعله قائداً لكلاب كانت معه ، فحصل في نفسه نفس ذلك الشيخ على شيخنا من الغل والحقد ما حصل وعزما على السعاية عليه في بغداد ، وكان شيخنا في وكر لذلك حتى انه عزم على الرجوع ان لم يمكنه الزيارة حضيه علما وصلنا الى الموصل ضعف ذلك الشيخ جداً وعجز عن السفر مع القافلة وانقطع هناك وكفاه الله شره ، وزار الشيخ قدس سره الائمة عليهم السلام مستعجلا ورجع واجتمع عليه فضلاء العراق ، وكان منهم السيد شرف الدين السماك العجمي احد تلامذة المرحوم الشيخ علي بن عبد العالي ، وأخذ عليه العهد عند قبة الامام اميرالمؤمنين عليه السلام الا ما اخبره ان كان مجتهداً واقسم له انه لايريد بذلك الاوجه الله سبحانه، ثم بعد رجوعه الى البلاد جاء منه سؤالات ومباحث وايرادات ، وأجابه عنها بما تقتضيه الحال وحقق فيها المقال .

قال أعلى الله شأنه في الجنة : وسافرت لزيارة بيت المقدس منتصف ذي الحجة سنة ٩٤٨، واجتمعت في تلك السفرة بالشيخ شمس الدين بن ابي اللطف

المقدسي وقرأت عليه بعض صحيح البخاري وبعض صحيح مسلم واجازني اجازة عامة ، ثم رجعت الى الوطن الاول المتقدم وأقمت به الى أواخر سنة احدى وخمسين مشتغلا بمطالعة العلم ومذاكرته مستفرغاً وسعي في ذلك ، ثم برزت الى الاوامر الالهية والاشارات الربانية بالسفر الى جهة الروم والاجتماع بمن فيها من اهل الفضائل والعلوم والمتعلق بسلطان الوقت والزمان السلطان سليمان ابن عثمان ، وكان ذلك على خلاف مقتضى الطبع وساق الفهم لكن ما قدر لا تصل اليه الفكرة الكليلة والمعرفة القليلة من أسرار الحقائق واحوال العواقب، والكيس الماهر هو المستسلم في قبضة العالم الخبير القاهر الممتثل لاوامره الشريفة المنقاد الى طاعته المنيفة ، كيف لا وانما يأمر بمصلحة تعود على المأمور مع اطلاعه على دقائق عواقب الامور وهو الجواد المطلق والرحيم المحقق ، والحمد لله على انعامه واحسانه وامتنانه ، والحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يهمل من غفل عنه ولا يؤاخذ من صدق عن طاعته بل يقوده الى مصلحته ويوصله الى بغيته .

وكان الخروج الى السفر المذكور بعد بوادر الاوامر به والنواهي عن تركه والتخلف عنه وتأخيره الى وقت آخر ثاني عشر شهر ذي الحجة الحرام سنة ٩٥١ ، واقمت بمدينة دمشق بقية الشهر ثم ارتحلت الى حلب ووصلت اليها يوم الاحد سادس عشر شهر المحرم سنة ٩٥٢، وأقمت بها الى السابع من شهر صفر من السنة المذكورة .

ومن غريب من اتفق لنا بحلب انا أزمعنا عند الدخول اليها على تخفيف الاقامة بها بكل ما أمكن ولم ننو الاقامة ، فخرجت قافلة الى الروم على الطريق المعهود المار بمدينة أذنة ، فاستخرنا الله على مرافقتها فلم يخر لنا ، فكان قد تهيأ بعض طلبة العلم من اهل الروم الى السفر على طريق ملوقات وهو طريق غير

مسلوك غالباً لقاصد قسطنطنية، وذكروا أنه قد تهيأ قافلة للسفر على الطريق المذكور فاستخرنا الله تعالى على السفر معهم فأخار به فتأخر سفوهم وساءنا ذلك، فتفألت بكتاب الله تعالى على الصبر وانتظارهم فظهر قوله تعالى « واصبر نفسك مع الدين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم »[1] فاطمأنت النفس لذلك وخرجت قافلة أخرى من طريق اذنة واشار الاصحاب برفقتهم لما يظهر من مناسبتهم، فاستخرت الله تعالى على صحبتهم فلم يظهر خيره وتفألت بكتاب الله تعالى على انتظار الرفقة الاولى وان تأخروا كثيراً فظهر قوله تعالى « ومن يولهم يومئذ دبره » الى قوله تعالى « فقد باء بغضب من الله »[2] ثم خرجت قافلة اخرى على طريق أذنة فاستخرت الله تعالى على الخروج معها فلم يظهر خيرة، فضقت لذلك ذرعاً وسمت الاقامة وتفألت بكتاب الله تعالى في ذلك فظهر قوله تعالى « واتبع ما يوحى من ربك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين »[3] ثم خرجت قافله رابعة على الطريق المذكور فاستخرت الله تعالى على رفقتها فلم يظهر خيرة، وكانت القافلة التى أمرنا بالسفر معها تسوفنا بالسفر يوماً وتكذب كثيراً في اخبارنا، ففتحت المصحف صبيحة يوم السبت وتفألت به فظهر قوله تعالى « وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون »[4] فتعجبنا من ذلك غاية العجب وقلنا ان كانت القافلة تسافر في هذا اليوم فهو من أعجب الامور وأغربها وأتم البشائر بالخير والتوفيق، فأرسلنا بعض أصحابنا يستعلم الخبر فقالوا له اذهب الى اصحابك وحملوا ففي هذا اليوم يخرج،

---

١) سورة الكهف : ٢٨ .

٢) سورة البقرة : ٦١ .

٣) سورة يونس : ١٠٩ .

٤) سورة الانبياء : ١٠٣ .

فحمـدنا الله تعالى على هذه النعم العظيمة والمنن الجسيمة التي لا نقدر على شكرها .

ثم بعد ذلك ظهر لاقامتنابحلب تلك المدة فوائد واسرار لايمكن حصرها، وظهر لسفرنا على الطريق المذكور ايضـاً فوائد وأسرار وخيرات لاتحصى ، واقلها انه بعد ذلك بلغنا ممن سافر على تلك الطريق التي نهينا عنهـا أن عليق الدواب وزاد الناس كان في غايـة القلة والصعوبة والغلاء العظيم ، حتى أنهم كانوا يشترون العليقة الواحدة بعشرة دراهم عثمانية ، واحتاجوا مع ذلك الى حمل الزاد أربعة ايام لعدم وجوده في الطريق لا للدواب ولا للانسان ، فلو نسافر في تلك الطريق لاتجه علينا ضرر عظيم لايوصف ، بل لايفي جميع ما كان بيدنا من المال بالصرف في الطريق خاصة لكثرة مامعنا من الدواب والاتباع، وكانت العليقة في طريقنا اكثر الاوقات بدرهم واحد عثماني واقل الى ان وصلنا ، ولم نفتقر الى حمل شيء بل جميع طريقنا تمر على البلاد العامرة والخيرات الوافرة فالحمد لله على نعمه الغامرة .

وكان وصولنا الى مدينة طوقات صبيحة يوم الجمعة ثاني عشر شهر صفر ونزلنا بعمارة السلطان بايزيد ، وهي مدينة كثيرة الخيرات عامرة آهلـة بحلب اليها ومنها اكثر الامتعة والارزاق كثيرة المياه والجبال محيطة بها من كل جانب ويليها الى الشمال واد طويل متسع فيه نهر كبير جداً يشتمـل هذا الوادي على ما قيل على نحو أربعمائة قرية شاهدنا كثيراً منها ومررنا فيه يومين بعد خروجنا من طوقات ، وهذه القرى المذكورة كلها عامرة جداً كثيرة الخير والفواكه متصلة بعضها ببعض لايفصل بينها شيء، وربما يعد الانسان منها في نظر واحد مايزيد عن عشر قرى الى عشرين قريـة ، وكان خروجنا من طوقات يوم الاحد عنـد الظهر ووصلناه يوم الاربعاء الى مدينة اماسية ، وبها ايضا عمارة السلطان بايزيد

عظيمة البناء محكمة غاية الاحكام في بقعة متسعة جداً حسنة تشتمل على مطابخ عظيمة وصدقات وافرة لكل وارد، وفيهامدرسة عظيمة حسنة وحاكم المدينةمع باقي تلك الجهات يؤمئذ السلطان مصطفى ابن السلطان سليمان ، وهذا السلطان مصطفى قتله ابوه خوفاً على الملك في سنة ستين وتسعمائة ، وهي السنة التي خرج فيها الى حرب الفرس وكان قتله وفيها كان موت ولده امر الزمان بحلب وقيل ان اباه قتله ايضاً .

واقمنابهذه المدينة ستة عشر يوماً ثم توجهنا منهانحو قسطنطنية . ومن غريب ما رأينا في الطريق بعد مفارقتنا اماسية بأيام انا مررنا بوادى عظيم لم تر احسن منه وليس عمارة طوله مسيرة يوم تقريباً ، وفيه من سائر الفواكه والثمار بغير ما لك بل هو نبات من الله سبحانه كغيره من الاشجار البرية ، وكذا فيه معظم أنواع المشمومات العطرة والازهار الارجة، فمما رأينافيه الجوز والرمان والفندق والعناب والعنب والتفاح وانواع من الخوخ وأنواع من الكمثرى والزعرور والقراصيا حتى ان بعض اشجار القراصيا بقدر شجر الجوز الكبير بغير حرث ولا سقي، وفيه البر باريس بكثرة . ورأينا من المشمومات الورد الابيض والاحمر والاصفر والياسمين الاصفر والبلسان والزيرقون والبان ، وكان ذلك الوقت أو ان زهرها وفيه من الأشجار الجيدة العظيمة شجر الصنوبر والدلب والصفصاف والسنديان والملول شجر البلوط، وهذه الاشجار كلها مختلطة بعضهاببعض ورأينا فيه انواعاً كثيرة من الفواكه قد انعقد حبها ولا نعرف اسماءها ولا رأيناها قبل ذلك اليوم ابداً.

ثم سرنا منه اياماً كثيرة ، ثم وصلنا الى أرض اكثر شجرها الفواكه سيما الخوخ والتفاح واكثر ما اشتمل عليه ذلك الوادى يوجد فيها وسرنا في هذه الارض خمسة أيام وهي من اعجب ما رأينا من أرض الله تعالى وأحسنها واكثرها فاكهة مجتمعة بعضها ببعض كأنها حدائق مقصودة بالغرس لا يدخل بينها اجنبى

وفيها أشجار عظيمة طولا وعرضاً وربما بلغ طولها مائتي شبراً فصاعداً ودور بعضها يبلغ ثلاثين شبراً فصاعداً ، ومررنا في جملة هذا السير على مدن حسنة وقرى جيدة .

وكان وصولنا الى مدينة قسطنطنية يوم الاثنين سابع عشرمن شهر ربيع الأول من السنة السابعة وهي سنة ٩٥٢ ، ووفق الله تعالى لنا منزلا حسناً وقفاً من أحسن مساكن البلد قريباً الى جميع اغراضنا ، وبقيت بعد وصولي ثمانية عشر يوماً لا أجتمع بأحدمن الاعيان ، ثم اقتضى الحال ان كتبت في هذه الايام رسالة جيدة تشتمل على عشرة مباحث جليلة كل بحث في فن من الفنون العقلية والفقهية والتفسير وغيرها ، وأوصلتها الى قاضي العسكر وهو محمد بن قطب الدين ابن محمد بن محمد بن قاضي زاده الرومي ، وهو رجل فاضل أديب عاقل لبيب من أحسن الناس خلقاً وتهذيباً وأدباً ، فوقعت منه موقعاً حسناً وحصل لي بسبب ذلك منه حظ عظيم ، واكثر من تعريفي والثناء علي فاضل ، واتفق في خلال المدة بيني وبينه مباحثة في مسائل كثيرة من الحقائق .

قلت : ومن قواعد الاروام المقررة في قانونهم بحيث لايمكن خلافه عندهم ان كل طالب مهم منهم لابد له من عرض قاضي جهته بتعريفه وانه اهل لماطلب الا شيخنا قدس سره فانه استخار الله سبحانه أن يأخذ عرضاً من قاضي صيدا وكان اذ ذاك القاضي معروف الشامي فلم يظهر خيره وكانت بينه وبينه صحبة ومداخلة ، فبقي متحيراً في أنه يساور ولا يعلمه ولا يطلب منه عرضاً ، فاقتضى الرأي ان ارسلني اليه لاسوق معه سياقاً يفهم منه الاعلام بالسفر ولا أطلب منه عرضاً ، فمضيت الى عنده وأعلمته بذلك ، فقال نكتب له عرضاً . فقلت : هوما قال لي من جهة العرض . فقال : رواحه بلاعرض لايمكن لانه لايقتضى له مهم الا به البتة لان من عادة هؤلاء الاروام وقانونهم انه لو مضى اليهم مذهبهم ابو

حنيفة وطلب منهم غرضاً من الاغراض يقولون له أين عرض القاضي فيقول لهم أنا أمامكم ولا احتاج الى عرض القاضي فيقولون له لابد من ذلك نحن لانعرف الا القانون .

وحكى لنا قدس سره انه اجتمع ببعض الفضلاء في قسطنطنية فسأله هل معك عرض القاضي ، فقال لا . فقال : اذاً أمرك مشكل يحتاج الى تطويل زائد ، فأخرج له الرسالة المذكورة التي ألفها وقال : هذا عرضى . فقال : ما تحتاج معه شيئاً .

قال طاب ثراه : ففي اليوم الثاني عشر من اجتماعي به أرسل الي الدفتر المشتمل على الوظائف والمدارس وبذل لي ما أختاره وأكد في كون ذلك في الشام أو حلب ، فاقتضى الحال أن اخترت منه المدرسة النورية ببعلبك لمصالح وجدتها ولظهور أمر الله تعالى بها على الخصوص ، فأعرض لي بها الى السلطان سليمان وكتب لي بها براءة وجعل لي لكل شهر ما شرطه واقفها السلطان نور الدين الشهيد ، واتفق من فضل الله سبحانه ومنه لي في مدة اقامتي بالبلدة المذكورة من الالطاف الالهية والاسرار الربانية والحكم الخفية ما يقصر عنه البيان ويعجز عن تحريره البنان ويكل عن تقريره اللسان فلله الحمد والمنة والفضل والنعمة على هذا الشأن ونسأله ان يتم علينا منه الاحسان انه الكريم الوهاب المنان .

ومن غريب ما اتفق لي من نعم الله تعالى وفضله وكرمه وجوده زمان اقامتي بمدينة قسطنطنية أن خرجت يوماً من الاصحاب وكان ذلك اليوم في شهر جمادى الاولى لزيارة مشهد شريف هناك يسمونه أبا ايوب الانصارى الصحابى قد بنى عليه سلطان محمد مشهداً خارج البلد ، فلما كنت في المشهد تخلوت وقرأت جزءاً من القرآن وأخذت المصحف وتفألت به ان يكشف لي عن حال حمل كنت قد فارقته بالزوجة قبل سفري وميعاد ولادته أوائل شهر جمادى المذكور ، فظهر لى فى أول الفاتحة «وبشرناه

بغلام حليم »[1] فسجدت لله شكراً ورجوت من الله تعالى أن يحقق لي ذلك وان يكون قد رزقني ولداً ذكراً مباركاً ميموناً حميد العاقبة ، فكتبت صورة الفال والتاريخ في تلك الساعة في رقعة ، واستمر الحال الى ان خرجت من المدينة المذكورة الى مدينة اسكدار وهي قريبة منها بينها وبينها قطعة يسيرة من البحر سيرها نحو ميل ، فجاءني وانا مقيم بها في يوم ثلاث تـاسع عشرى شهر رجب من السنة المذكورة كتب من أصحابنا بالبلاد في بعضها بشارة بولد ذكر ولد في المدة المذكورة .

قلت : البشارة كانت في بيتين انشأتهما في رسالة كتبتها اليه في تاريخ ولادة المولود المذكور وستأتي الرسالة وهما .

وقد من مولانا الكريم بفضله   عليكم بمولود غلام من البشر

فيا رب متعنـا بطول بقائه   واحيي به قلبا له الوصل قد هجر

وكان هذا المولود مـن زوجته الكبرى ابنـة الشيخ علي الميسمي وبنت خالته واسمه محمد مات صغيراً في غيبة والده المقدس .

قال طاب مثواه: فالحمد لله الذي حقق رجانا ونسأل من فضله الكريم وجوده العميم ونتوسل اليه بأشرف خلقه عليه محمد وآله ان يجعله ولداً صالحاً وعقباً ناجحاً راجحاً ويريني فيه ماتقر به عيني ويجعله لي وارثاً وذويه صالحة ويرزقه خيـري الدنيا والاخرة ، ويجمع له بين العمر السعيد والعيش الرغيد والعلم النافع والعمل بطاعته فانه على كل شيء قدير وباغاثة دعاء عباده جدير .

وكانت مدة اقامتي بمدينة قسطنطنية ثلاثة اشهر ونصفاً .

قلت لم يذكر اجتماعه فيها بالسيد عبد الرحيم العبـاسي ، فقد كان قدس سره كثيراً مايطري ذكره علينا وانه من أهل الفضل التام وله مصنفات منها شرح

---

[1] سورة الصافات : ١٠١ .

شواهد التلخيص سلك فيه مسلكاً واسعاً سماه كتاب معاهد التنصيص في شرح أبيات التلخيص ، نقل شيخنا منه جملة بخطه وذكر انه اذا تعلق بشرح بيت من الابيات أتى على غالب احوال منشده راشعاره ومايتعلق به واطنب ، ولهذا السيد اشعار في غاية الجودة موجودة منهاشيء بخط شيخنا في بعض المجاميع .

قال روح الله روحه: وخرجت منها يوم السبت حادى عشر شهر رجب في السنة المذكورة وعبرت البحر الى مدينة اسكدار ، وهي مدينة حسنة جيدة صحيحة الهواء عذبة الماء محكمة البناء ، يتصل بكل دار منها بستان حسن يشتمل على الفواكه الجيدة العطرة على شاطيء البحر مقابلة لمدينة قسطنطنية بينهما البحر خاصة. وأقمت بهاانتظروصول صاحبنا الشيخ حسين بن عبدالصمد لانه احتاج الى التأخر عن تلك الليلة .

ومن غريب ما اتفق لي بها حين نزلت بها اني اجتمعت برجل هندي له فضل ومعرفة بفنون كثيرة منهاالرمل والنجوم ، فجرى بيني وبينه كلام فقلت له: ان قاضي العسكر أشار علي بأن اسافر يوم الاثنين وخالفته وجئت فيهذا اليوم وهو يوم السبت حذراً من نحس يوم الاثنين بسبب كونه ثالث عشر الشهر ،وكان قد ذكر لي قاضي العسكر المذكور أن يوم الاثنين يوم جيد للسفر لايكاد يتفق مثله بالنسبة الى أحكام النجوم وان سعده يغلب نحسه بسبب كونه ثالث عشر . فقال لي ذلك الرجل الهندى على البديهة : صدق القاضي فيما قال ، وأما يوم السبت الذى خرجت فيه فانه يوم صالح لكن يقتضي انك تقيم في هذه البلدة اياماً كثيرة ، واتفق الامر كما قال فان الشيخ حسين بعد مفارقتي بحث عن أمر المدرسة التي كان قد اعطاه اياها القاضي ببغداد ، فوجد أوقافها قليلة فاحتاج الى ابدالها بغيرها ، فتوقف لاجل ذلك احدى وعشرين يوماً ، وظهر صدق

ذلك الفاضل الهندي فيما اخبر به على البديهة .

ثم اتفق لي أن رقمت له شكلا رملياً وطلبت البحث عنه ، ففكر فيه ساعة ثم أظهر لي منه اموراً عجيبة كلها رأيتها موافقه للواقع بحسب حالي ، وكان مما اخرجه من بيت العاقبة انها في غاية الجودة والخير والتوفيق ، فالحمد لله على ذلك ، ومن بيت السفر ان هذه سفرة صالحة حميدة جداً والعود فيها سعيد صالح ، لكن فيه طول خارج عن المعتاد بالنسبة الى العود الى الوطن ، وكان الامر في الباطن على ما ذكر لاني كنت قد عزمت على التوجه الى العراق لتقبيل العتبات الشريفة في طريق العود ثم ارجع منها الى الوطن ، وذلك بعد تأكد الامر الالهي لنا بذلك ونهينا عن تركه .

وكان خروجنا من اسكدار متوجهين الى العراق يوم السبت لليلتين خلتا من شهر شعبان ، واتفق ان طريقنا اليها هي الطريق التي سلكناها من سيواس الى اصطنبول ، ووصلنا الى مدينة سيواس يوم الاثنين لخمس بقين من شعبان وخرجنا منها يوم الاحد ثاني شهر رمضان متوجهين الى العراق ، وهو أول ما فارقناه من الطريق الاولى وخرجنا في حال نزول الثلج وبتنا ليلة الاثنين أيضاً على الثلج وكانت ليلة عظيمة البرد .

ومن غريب ما اتفق لي تلك الليلة ان نمت يسيراً فرأيت في تلك الليلة كأني في حضرة شيخنا الجليل محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله ، وهو شيخ بهي جميل الوجه عليه أبهة العلم ونحو نصف لمته بياض ، ومعي جماعة من أصحابي منهم رفيقي وصديقي الشيخ حسين بن عبد الصمد ، فطلبنا من الشيخ ابي جعفر الكليني المذكور نسخة الاصل لكتابه الكافي لننسخه ، فدخل البيت واخرج لنا الجزء الاول منه في قالب نصف الورق الشامي ففتحه فاذا هو بخط حسن معرب مصحح ورموزه مكتوبة بالذهب ، فجعلنا نتعجب من كون نسخة الاصل بهذه

الصفة ، فسررنا بذلك كثيراً لما كنا قبل ذلك قد ابتلينا به من رداءة النسخ. فطلبت منه بقية الاجزاء فجعل يتألم من تقصير الناس في نسخها ورداءة نسخهم وقال اني لاأعلم اين بقية الاجزاء ، وكان ذلك صدر منه على وجه التألم لتقصير الناس في نسخ الكتاب وتصحيحه وقال : اشتغلوا بهذا الجزء الى ان أجد لكم غيره . ثم دخل الى بيته لتحصيل باقي الاجزاء ثم خرج الينا وبيده جزء بخط غيره على قالب الورق الشامي الكامل وهو ضخم غير جيد الخط، فدفعه الي وجعل يشتكى الينا من كتابة كتابه بهذه الصورة ويتألم من ذلك ، وكان في المجلس الاخ الصالح الشيخ زين الدين الفقعاني نفعنا الله ببركته فقال : أنا عندي جزء آخر من نسخة الاصل على الوصف المتقدم ودفعه الي فسررت كثيراً ، ثم فتش البيت واخرج جزءاً آخر الى تمام اربعة اجزاء أو اكثر بالوصف المتقدم فسررنا بها وخرجنا بالاجزاء الى الشيخ الجليل المصنف وهو جالس في مكانه الأول، فلما جلسنا عنده أعدنا فيما بيننا وبينه ذكر نسخ الكتاب وتقصير الناس فيه ، فقلت: ياسيدنا بمدينة دمشق رجل من أصحابنا اسمه زين العابدين الغرابيلي قد نسخ كتابك هذا نسخة في غاية الجودة في ورق جيد وجعل الكتاب في مجلدين كل واحد بقدر كتاب الشرائع ، وهذه النسخة فخر على المخالف والمؤالف ، فتهلل وجه الشيخ رحمه الله سروراً وأظهر الفرح وفتح يديه ودعا له بدعاء خفي لم احفظ لفظه ، ثم انتبهت .

وانتهينا بعد اربعة ايام من اليوم المذكور الى مدينة ملطية ، وهي مدينة لطيفة كثيرة الفواكه تقرب من أصل منبع الفرات ومررنا بعد ذلك بمدينة لطيفة تسمى أزغين ، وهي قريبة من منبع الدجلة .

وكان وصولنا الى المشهد المقدس المبرور المشرف بالعسكريين بمدينة سامراء يوم الاربعاء رابع شهر شوال ، وأقمنا به ليلة الخميس ويومه وليلة الجمعة .

ثم توجهنا الى بغداد ووصلنا الى المشهدالمقدس الكاظمي يوم الاحدثامن الشهر وأقمنابه الى يوم الجمعة وتوجهناذلك اليوم لزيارة ولي الله تعالىسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهما .

ورحلنا منهالى مشهد الحسين عليه السلام ووصلنا يوم الاحدمنتصف الشهر المذكور ، وأقمنا به الى يوم الجمعة .

وتوجهنامنه الى الحلة وأقمنابها الى يوم الجمعة ، وتوجهنا منها الىزيارة القاسم ثم الىالكوفة ومنهاالىالمشهد المقدس الغروي، ووصلنا اليه يومالاربعاء ثالث شهر ذي القعدة الحرام وأقمنا به بقية الشهر .

واتفق لنا من فضل الله تعالى وكرمه ورأفته وعنايته من التوفيقـات الالهية والخيرات الربانية والتأييدات السبحانية والنعمة الشاملة والرحمة الواصلة مالا يقتضي الحال ذكره ومفيضه سبحانه اعلم به ، ونسأل من فضله العميـم وكرمه الجسيم أن يمدنا بفضله ويجود علينا بستره وكفايته كما عودنا ذلك فيما سلف، وان يعصمنا فيما بقي من كل مايخالف رضاه ويبعد عن جواده ويحرسنـا بعين عنايته ، وقدأظهر الله سبحانه لجماعة من الصالحين بالمشهدين وغيرهما آيات باهرة ومنامات صالحة وأسراراً خفية أوجبت كمال الاقبال وبلوغ الامال ، فله الحمد والمنة على كل حال .

قلت ، مما اخبرني به من الكرامات بعد رجوعه من هذه الزيارة فيصفر سنة ست وخمسين وتسعمائة انه لما حرر الاجتهاد في قبلة العراق وحقق حالها واعتبر محراب جامع الكوفة الذي صلى فيه امير المؤمنين صلوت الله وسلامه عليه ووجد محراب حضرته المقدسة مخالفاً لمحراب الجـامع واقام البرهان على ذلك وصلى فيه منحرفـاً نحو المغرب بما يقتضيه الحال وقرر ما أدى اليه اجتهاده في ذلك المجال وسلم طلبة العلم ذلك لمـا اتضح الامر لهم هنا لك ،

وتخلف رجل عن التسليم أعجمي يقال له الشيخ موسى وانقطع عن ملاقاته لاجل ذلك ثلاثة ايام وانكر عليه غاية الانكار لما قد تردد الى تلك الحضرة من الفضلاء الاعيان على تغاير الزمان خصوصاً للمرحوم الشيخ علي وغيره من الافاضل الذين عاصرهم هؤلاء الجماعة، وهذا الموجب لنفورهم عما حققه الشيخ قدس سره، فلما انقطع الرجل المذكور عنه هذه المدة رأى النبي صلى الله عليه وآله في منامه وانه دخل الى الحضرة المشرفة وصلى بالجماعة على السمت الذي صلى عليه الشيخ منحرفاً كانحرافه فانحرف معه أناس وتخلف آخرون، فلما فرغ النبي صلى الله عليه وآله من الصلاة التفت الى الجماعة وقال: كل من صلى ولم ينحرف كما انحرفت فصلاته باطلة. فلما انتبه الشيخ موسى طفق يسعى الى شيخنا قدس سره وجعل يقبل يديه ويعتذر من الجفاء والانكار والتشكيك في امره، فتعجب شيخنا من ذلك وسأله عن السبب فقص عليه الرؤيا كما ذكر.

قال احسن الله جزاه وطيب مثواه: ومما اتفق لي اني كنت جالساً عند رأس الضريح المقدس ليلة الجمعة وقرأت شيئاً من القرآن وتوجهت ودعوت الله أن يخرج لي ما اختبر به عاقبة امري بعد هذه السفرة مع الاعداء والحساد وغيرهم، فظهر في أول الصفحة اليمنى «ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين»[1] فسجدت الله شكراً على هذه النعمة والتفضل بهذه البشارة السنية.

وكان خروجنا من المشاهد الشريفة بعد أن ادركنا زيارة عرفة بالمشهد الحائري والغدير بالمشهد الغروي والمباهلة بالمشهد الكاظمي سابع عشر شهر ذي الحجة الحرام من السنة المتقدمة ولم يتفق لنا الاقامة لادراك زيارة عاشوراء مع قرب المدة لعوارض وقواطع منعت من ذلك والحمد لله على كل حال.

---

١) سورة الشعراء: ٢١.

واتفق وصولنا الى البلاد منتصف شهر صفر سنة ٩٥٣ ووافقه من الحروف بحساب الجمل حروف « خير معجل » ، وهو مطابق للواقع أحسن الله خاتمتنا بخير كما جعل بدايتنا الى خير بمنه وكرمه .

ثم أقمنا ببعلبك ودرسنا فيها مدة في المذاهب الخمسة وكثير من الفنون، وصاحبنا أهلها على اختلاف ارائهم احسن صحبة وعاشرناهم أحسن عشرة، وكانت أياماً ميمونة وأوقات ابهجة ما رأى اصحابنا في الاعصار مثلها .

قلت : كنت في خدمته في تلك الايام ولا أنسى وهو في أعلى مقام ومرجع الأنام وملاذ الخاص والعام ومفتي كل فرقة بما يوافق مذهبها ويدرس في المذاهب كتبها ، وكان له في المسجد الاعظم بها درس مضافاً الى ماذكر وصار اهل البلد كلهم في انقياده ومن وراء مراده بقلوب مخلصة في الوداد وحسن الاقبال والاعتقاد وقام سوق العلم بهـا على طبق المراد ورجعت اليـه الفضلاء من أقاصي البلاد ورقي ناموس السادة والاصحاب في الازدياد، وكانت عليهم تلك الايام من الاعياد وقلت انا في محاسن تلك الاوقات وصفائها وأعيان تلك الرجال وحسن وفائهـا ما دحساً :

ابيعلبك تـروم فرقـة صحبـة	كانت ليـالـي و صلهـم أيامـا
سادوا الانام بفضلهم وبجودهم	فلـذاك صـاروا للورى أعلامـا
حازوا السيادة والمكارم والتقى	فتجنبوا مـا يوجـب الاثا مـا

قال روح الله روحه : ثم انتقلنا عنهـم الى بلدنا بنية المفارقة امتثالا لامـر الالهي سابقاً في المشاهد الشريفة ولاحقاً في المشهد الشريف مشهد شيث عليه السلام ، وأقمنا في بلادنا الى سنة خمس وخمسين مشتغلين بالدرس والتصنيف.

اخر ما وجدته بخطه الشريف ممـا نسبه اليه من التاريخ المنيف ، وهـذا التاريخ كان خاتمة أوقات الامان والسلامة من الحدثان ، ثم نزل به ما نزل وستقف

عليه ان شاء الله الى خاتمة الاجل ، ولنكمل ما وعدنا به من اتمامه وما اطلعنا عليه في تضاعيف مخالطته وبلغنا من ثغات تلامذته ، ولنرجع الى ترتيب الفصول فنقول :

الفصل الثانى

(فى ذكر اجتهاده ومتى كانت بدايته وتعداد مصنفاته وما افاده من التحقيقات فى الرسائل الفائقه والمباحث الرائقه)

احبرنى قدس الله لطيفه وكان فى منزلى بجزين متخفياً من الاعداد ليلة الاثنين حادى عشر شهر صفر سنة ٩٥٦ ان مولده كان في ثالث عشر شوال سنة ٩١١ وان ابتداء امره في الاجتهاد كان سنة ٩٤٤ وان ظهور اجتهاده وانتشاره كان فى سنة ٩٤٨ ، فيكون عمره لما اجتهد ثلاثاً وثلاثين سنة .

وكان فى ابتداء امره يبالغ في الكتمان وشرع فى شرح الارشاد ولم يبده لاحد ، فكتب منه قطعة ولم يره أحد ، فرأيت في منامي ذات ليلة ان الشيخ على منبر عال وهو يخطب خطبة ما سمعت مثلها فى البلاغة والفصاحة ، فقصصت عليه الرؤيا فدخل الى البيت وخرج وبيده جزء فناولنى اياه ، فنظرته فاذا هو شرح الارشاد وقد اشتمل على خطبته المعروفة التى أخذت بمجامع البراعة والفصاحة وتردت بحسن الترصيع والبلاغة، سيما باشتمالها على براعة الاستهلال المفهمة لموضوع الكتاب وتعداد جملة من كتب الفقه بأوجز عبارة وارشف اشارة وقال اعلى الله درجته: هذه الخطبة التى رأيتها . وامرنى ان أطالع الجزء خفية وكان كلما فرغ من جزء يأتينى به فأطالعه ، وهذا الكتاب ما صنف للشيعة مثله، مزج المتن بالشرح ولم يسبق الى هذه الطريقة من أصحابنا ، خرج منه مجلد ضخم كتاب الطهارة والصلاة اويتم لتم به المراد ولكن حكمة الله تقتضى غالباً عكس

ما يظهر لعقول العباد .

ثم اكب على المطالعة والتأليف واستفراغ الوسع في التدريس والتصنيف الى سنة ثمان وأربعين وتسعمائة ، حتى اراد الله اظهار ماأراد كتمانه واعلى في البرية شانه وألقي في قلوب ذوي العلم الانقياد اليه والتسليم لما اعتمد عليه ، ودخل معه كل من له بالشريعة المطهرة تقييد في ربقة الرجوع اليه بالتقليد ، وظهرت عنه التصانيف الفائقة والمباحث الرائقة ورجعت اليه الفضلاء بالاذعان واطلق في ميدان السبق العنان ، وصارت فضائله مشاهدة بالعيان .

فأول ما افرغه في طالب التصنيف الشرح المذكور لارشاد الامام العلامة جمال الدين الحسن بن المطهر قدس الله روحه يعرف فضله من وقف عليه من أولى الفضل ورفع حجاب الهوى عن بصيرة العقل ، خرج منه مجلد ضخم ، ثم قطع عنه على آخر كتاب الصلاة والتفت الى التعلق بأحوال الالفية والمقلدين في الصلاة اليومية، وكتب عليها حاشية وسطى تتعلق بمهمات ، واخرى مختصرة تكتب على الهامش لتقييد الفتوى وغالب العبادات، وشرحاً مطولا مجلداً كاملا مزج فيه المتن بالشرح ايضاً واشتمل على مباحث شريفة وتحقيقات لطيفة .

ومن مصنفاته شرح الرسالة النفلية للامام السعيد ابى عبد الله الشهيد مزجاً مجلد .

ومنها الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية للشيخ المبرور المحبور الشهيد المذكور مجلدان مزجاً ايضاً ، سلك فيه مسلكاً لطيفاً وحرره تحريراً معروفاً[1] .

ولما علم الله النسبة بينه وبين الشهيد من المشاركة في نيل درجة السعادة بخاتمة الشهادة ألقي في قلبه الميل الى احياء آثاره والتعليق بشرح مصنفاته واظهار

١) كتب فى أول المجلد الاول ابتداء تصنيفه ، ومع تاريخ آخره يكون مدة ذلك ثلاثة اشهر واياماً « ع ل » .

تحقيقاته، ولقد كانت نفسه كأنها ممزوجة بنفسه ، وكثيراً ماكان يبني على مباحثه ويرجع الى عباراته ويصوب مـا اعتمده من ترجيحاته . كان من انسه به كأنـه معاصره ومن اطلاعه على شريف أنفاسه كأنه معاشره قدس الله روحهما الزكية وأفاض عليهما المراحم الربانية . واما رغبته في الشروح المزج فانه لما رآها للعامة وليس لاصحابنا منها حملته الحمية على ذلك ومع ذلك فهي في نفسهـا شيء حسن .

ومنها شرح الشرائع الذى تفجرت منه ينابيع الفقه وأخـذ بمجامع العلم سلك فيه اولا مسلك الاختصار على سبيل الحاشية حتى كمل منه مجلد ، وكان قدس سره كثيراً مايقول نريد نضيف اليه تكلمة الاستدراك مافات ، ثم أخذ في الاطناب حتى صار بحراً يسلك فيه سفن اولى الالباب ، فكمل سبعة مجلدات ضخمـة من احرزه فقد أحرز تمام الفقه مما حواه واستغنى بمطالعته عن غيره من كـل كتاب سواه .

ومنها كتاب تمهيد القواعد الاصولية والعربية لتفريع فوائد الاحكام الشرعية مجلد سلك فيه مسلكاً بديعاً ومنهجاً غريباً ما سبق اليه ، رتبه على قسمين احدهما فى تلخص القواعد الاصولية وتفريع ما يلزمها من الاحكام الفرعية والثاني في تقرير المطالب العربية وترتيب ما يناسبها من الفروع الشرعية ، واختار من كل قسم منهما مائة قاعدة متفرقة من أبواب مضافة الى مقدمات وفوائد ومسائل لانظير لها في رد الفروع الى اصولها المقيد بالملكة القدسية التي هي العمدة في المسائل الاجتهادية ، ووضع له فهرستاً مشتملا على جدول لطيف يستخرج منه الطالب أي مسألة أرادها، ولقد وصفنا هذا الكتاب لبعض فضلاء العجم بقزوين فقال مثل قواعد الشهيد قلنا احسن فقال دعوى عظيمـة فقلنا الشاهد حاضر ، ودفعنا اليـه الكتاب فأخذه الى منزله وفى اليوم الثاني أرسل يستأذن منا في تقطيع أجزائه

وتفريقها على الكتاب ليكتبوه عاجلا ، فكتبه في أيام قلائل ومدحه .

ومنها حاشية على قطعة من عقود الارشاد للعلامة مشتملة على تحقيقات مهمة ومباحث محررة .

ومنها حاشية على قواعد الأحكام للعلامة ايضاً حقق فيها المهم من المباحث ومشي فيها مشي الحاشية المشهورة بالبخارية للمولى السعيد الشيخ الشهيد، وغالب المباحث فيها بينه وبينه ، برز منها مجلد لطيف الى آخر كتاب التجارة .

ومنها كتاب منيـة المريد في آداب المفيد والمستفيد ، مجلد مشتمل على مهمات جليلة وفوائد نبيلة ، تحمل على غاية الانبعاث في الترغيب في اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل والتحلي بشيم الأخيار والعلماء الابرار .

ومنها حاشية مختصرة على الشرائع خرج منها قطعة صالحة .

ومنها جزء لطيف يشتمل على فتوى خلافيات الشرائع .

ومنها حاشية على مختصر النافع تشتمل على تحقيق المهم منه .

ومنها رسالـة في أسرار الصلاة القلبية رتبها على ترتيب الالفية وذكـر وظائف كل باب باعتبار ملاحظة القلب للاسرار الباطنية حسب ترتيب الواجبات الظاهرة .

ومنها رسالة في احكام نجاسة البئر بالملاقاة وعدمها ، جمع فيهـا الأقوال وحرر فيها الحال .

ومنها رسالة فيما اذا تيقن الطهارة والحدث وشك في السابق منهما .

ومنها رسالة فيما اذا أحدث المجنب في اثناء غسل الجنابة حدثاً اصغر وتحقيق المحل على أتم وجه .

ومنها رسالـة في تحريم طلاق الحائض الحائل الحاضر زوجها عندهـا المدخول بها .

ومنها رسالة تشتمل على حكم صلاة الجمعة فى حال الغيبة وتحقيق الخلاف فيها وبيان ما اعتمد عليه وساقة البرهان .

ومنها رسالة في الحث على صلاة الجمعة .

ومنها رسالة نفيسة فى بيان حال حكم المسافر اذا نوى اقامة عشرة أيام في غير بلده وتقسيم المسألة الى اقسامها المشهورة ، وفيما اذا خرج ناوى المقام عشرة الى ما دون المسافة وتقسيمها ايضاً الى اقسامها ، وبيان جميع أحكامها ، جليلة الفروع غريبة الوقوع سماها « نتائج الافكار في حكم المقيمين في الاسفار» .

ومنها منسك الحج والعمرة .

ورسالة لطيفة فى نياتهما .

ومنها رسالة في احكام الحبوة وتحقيق المقام على أتم نظام .

ومنها رسالة فى تحقيق ميراث الزوجة غير ذات الولد وتحرير الاقوال وبيان سائر الاحوال .

ومنها رسالة في أجوبة ثلاثة عن ثلاث مسائل لبعض الافاضل احداها فى شخص على بدنه مني واغتسل في ماء كثير ومعك بدنه لازالة الخبث فلما انصرف تيقن أن تحت اظفاره شيئاً من وسخ البدن المختلط بالمني فهل يطهر الوسخ الذى له جرم مخالط للمني بنفوذ الماء في اعماقه ام لا ، والثانية قطعة الجلد المنفصلة عن بدن الانسان هل هى طاهرة ام نجسة ، والثالثة فى شخص مرض مرضاً بالغاً اراد الوصية فعرض عليه بعض أصحابه ان يجعل عشرين توماناً من ماله خمساً فقال اجعلوا ـ الى آخر السؤال .

ومنها رسالة في عشر مباحث فى عشرة علوم صنفها فى اصطنبول وعقد فى كل مبحث اشكالا يعجز عن حله الراسخون في العلم .

ومنها كتاب مسكن الفؤاد في فقد الاحبة والاولاد .

ومنها رسالة فى الغيبة وتحقيق احكامها .

ومنها رسالة في عدم جواز تقليد الأموات من المجتهدين ووجوب تقليد الاحياء منهم على المكلفين، صنفها برسم الصالح الفاضل المرحوم السيد حسين ابن ابى الحسن قدس الله روحه .

ومنها البداية فى علم الدراية وشرحها .

ومنها كتاب غنية القاصدين فى معرفة اصلاحات المحدثين ، وهذا العلم لم يسبقه أحد من علمائنا الى التصنيف فيه وهو أول من فتح بابه وذلل صعابه.

ومنها كتاب منار القاصدين فى أسرار معالم الدين .

ومنها رسالة فى شرح قوله صلى الله عليه وآله « الدنيا مزرعة الاخرة » .

الى هنا كلام جامع الكتاب .

واقول : وانا الفقير الى الله تعالى على بن محمد بن الحسن بن زين الدين عفا الله عنهم أني عثرت له قدس الله روحه على كتب ورسائل غير ما ذكره هنا.

وهي : كتاب الرجال والنسب ذكره فى بعض مصنفاته .

وكتاب فى تحقيق الاسلام والايمان عندي بخطى .

ورسالة فى تحقيق النية عندى بخطى .

ورسالة في الولاية وان الصلاة لايقبل الا بها ذكرها فى شرح الارشاد .

ورسالة فى طلاق الغائب .

ورسالة فى المختار من مواضع الخلاف من اللمعة .

ورسالة فى تحقيق الاجماع عندي بخطه .

وكتاب الاجازات ذكره فى بعض فوائده

وحاشية على الارشاد الى آخره .

ومنظومة فى النحو وشرحها رأيت بعضها بخطه .

ورسالة في شرح « بسم الله الرحمن الرحيم » عندي بخط والدي رحمه الله. وسؤالات الشيخ زين الدين وأجوبتها ، وسؤالات الشيخ احمد واجوبتها.

ورأيت في تفصيل لمصنفاته زيادة عما ذكر وهي : فتاوى الارشـاد ، بغية المريد مختصر منية المريد، مبرد الاكباد مختصر مسكن الفؤاد، مختصر الخلاصة فتاوى المختصر ، رسالة في تحقيق قوله تعالى « والسابقون الاولـون » الاية ، رسالة في تحقيق العدالة ، جـواب المباحث النجفية ، جواب المسائل الهندية المسائل الشامية ، الرسالة الاصطنبولية في الواجبات العينية ، البداية في سبيل الهداية، فوائد خلاصة الرجال ، رسالة في دعوى الاجماع في مسائل من الشيخ ومخالفة نفسه .

وسمعت من بعض مشائخنا ان مصنفاته بلغت ستين مصنفاً .

ورأيت بخط جدي المبرور الشيخ حسن قدس الله روحه ما صورته: «ولد الوالد قدس الله نفسه في يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر شوال سنة احدى عشـرة وتسعمائة ، واستشهد في سنة خمس وستين وتسعمائة ـ انتهى .

وللشيخ بهاء الدين قدس الله روحه تاريخ وفاته وهو قوله :

تاريخ وفاة ذلك الاواه الجنة مستقـرة والله

أقول : ومما سمعته في بلادنا مشهوراً ورأيته أيضاً مشهوراً في غيرهـا انه قدس الله روحه لما سافر السفر الاول الى اصطنبول ووصل الى المكان الذي قتل به تغير لونه، فسأله اصحابه عن ذلك فقال ما معناه : انه يقتل في هذا المكان رجل كبير أو عظيم له شأن، فلما اخذ قتل في ذلك المكان .

ورأيت نسخة لشرح اللمعة عند بعض الاكابر أن الشيخ حسين بن عبدالصمد رحمه الله سأل عن هذا وكان رفيقه في ذلك السفر ، فأخبر بان ذلك حق سؤاله

او سؤال غيره[1].

وفي آخر المجلد الثالث من شرح الشرائع بخط السيد علي الصائغ رحمه الله ما صورته : هذا آخر كلامه بلغه الله أعلى مرامه وحشره مع نبيه وامامه وانتقم ممن كان سبباً في سفك دمائه ولا جعل له نصيباً في دمائه ، فانه كان اخذاً بالحق قابضاً بزمامه ولم يعطفه عنه خوف سلامه ، وناهيك بكيفية شهادته دلالة على فضله واعضامه وتجيله واكرامه ، فانه أسر وهو طائف حول البيت، واستشهد يوم الجمعة في رجب تالياً للقرآن على محبة اهل البيت ، والحال انه غريب ومهاجر الى الله سبحانه الذي هو على كل شيء رقيب ، وختم له بحج بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه افضل الصلاة واكمل السلام ، ليت نفسي كانت له الفدا ومهجتي تقية من الردى ، قدس الله نفسه وطهر رمسه ونفعنا به وجعلنا من خلص اصحابه انه جواد كريم ـ انتهى كلام السيد علي قدس الله نفسه نقلته حيث لم يوجد بقية هذا التاريخ .

---

١) وجد بخط المرحوم المبرور الشيخ حسين بن عبد الصمد رحمه الله بعد سؤاله وصورة السؤال والجواب :

سئل الشيخ حسين بن عبدالصمد « ره » : ما يقول مولانا شيخ الاسلام فيما روى عن الشيخ المرحوم المبرور الشهيد الثاني انه مر بموضع في اصطنبول ومولانا الشيخ سلمه الله معه فقال : يوشك ان يقتل في هذا الموضع رجل له شأن ، او قال شيئاً قريباً من ذلك ، ثم انه استشهد رحمه الله في ذلك الموضع ، ولاريب ان ذلك من كراماته رحمه الله واسكنه جنان الخلد .

نعم هكذا وقع منه قدس سره ، وكان الخطاب للفقير ، ويقال انه استشهد في ذلك الموضع ، وذلك مما كشف لنفسه الزكية حشره الله مع الائمة الطاهرين . كتبه حسين بن عبدالصمد الحارثي ثامن عشر ذي الحجة سنة ٩٨٣ في مكة المشرفة زادها الله شرفاً وتعظيماً ـ انتهى « ع ل » .

ومن ف كلام الشيخ جامح كتاب رحمه الله قال :

الفصل الثالث

(في ذكر اصحابه وفضلاء تلامذته الذين قرؤا عليه وترددو اليه واخذوا عنه واستفادوا منه من العرب وغيرهم).

اول من قرأ عليه في اوائل امره وتصديه للتدريس الشيخ الفاضل العالم الكامل عزالدين حسين بن عبدالصمد الحارثي الهمداني ، صحبه مدة مديدة وقرأ عليه كتباً عديدة : منها قواعد الامام العلامة من اولها الى آخرها وباقي مفرداته مذكور في اجازة مطولة اجازه اياها مشتملة على محاسن جميلةوفوائد جليلة ، وكان رفيقه الى مصر في طلب العلم والى اصطنبول في المرة الاولى ، وفارقه الى العراق وأقام بها مدة ثم ارتحل الى خراسان واستوطن هناك الان ادام الله توفيقه .

(ومنهم) الشيخ علي بن زهرة الجبعي ابن عم الشيخ حسين المذكور،قرأ عليه جملة من العلوم ، وكان غاية من الصلاح والتقوى والخير والعبادة ، كان شيخنا يعتقد فيه الولاية وكان رفيقه الى مصر وتوفي بها رحمه الله .

(ومنهم) الشيخ الجليل العالم الفاضل الشيخ محمد بن الشيخ محمد الحر أبقاه الله تعالى والد زوجته المتوفاة في حياته بمشغر، من اول المذعنين باجتهاده المخلصين معه ، قرأ عليه جملة من الكتب وأخذ عنه شرائع دينه وأجازه اجازة عامة،وكانت له به خصوصية ومحبة صادقة وعلاقة متصلة بتمام المودة وصدق المحبة .

(ومنهم) السيد الجليل الكبير المعظم خلاصة الاخيار وعمدة الابرار وزين الافاضل وعمدة الاوان ونادرة الزمان صاحب الشيم المرضية والاخلاق السنية

السيد نورالدنيا والدين ابن المرحوم السيد فخر الدين عبد الحميد الكركي القاطو بدمشق الان أدام الله أيامه وأعلى الله مقامه ، وانه من أكابر خاصةوأوائل العاكفين على ملازمته، قرأعليه جملة من العلوم الفقهية وغيرها واخذعنهوأجازه وكان له قدس سره عليه مزيد اعتماد ومحكم استناد .

(ومنهم)السيدالامام العلامةخلاصة السادةالابرار وعين العلماءالاخيار وسلامة الأئمة الأطهار السيد العالم الفاضل الكامل ذو المجد بن علي بن الامام السيد البدل أوحد الفضلاء وزبدة الاتقياء السيد المرحوم المبرور عزالدين حسين بن ابى الحسن العاملي أدام اللهشريف حياته،رباه كالوالد لولده ورقاه الى المعالى بمفرده وزوجه ابنته رغبة فيه وجعله من خواص ملازميه ، قرأ عليه جملة من العلوم الفقهية والعقلية والادبية وغيرها واجازه اجازة عامة .

(ومنهم) السيد الجليل الفاضل العالم الكامل فخر السادة الاعلام وأعلم العلماء الفخام وأفضل الفضلاء فى الانام السيد علي بن السيد الجليل النبيل حسين الصائغ العاملي أدام الله توفيقه ، قرأ عليه وسمع من جملة نافعة من العلوم فى المعقول والمنقول والادب وغيرذلك ، وكان قدس الله لطيفه له به خصاصة تامة وكان غالباً[1] .

ومن الكتاب المذكور من جملة منام سقط من أوله ما سقط والموجودمنه هذا : رأيت فى المنام قائلا يقول لي : ما لي أراك ملولا ؟ فقلت : وكيف لا أكون كذلك وأنا على هذه الحالة فى بلاد غربة . فقال : لا تخف فانك بين اثني عشر بيتاً فى كل منها ماء جارى ، ففتحت عينى فى النوم فرأيت كما قيل لي فانتبهت وحمدت الله تعالى على ذلك ووجدت بعض التخفيف مما كنت فيه ،

---

١) الى هنا انتهى ما وجدنا من الكتاب متصلا ، وبعده ما يأتى من أوراق من جملة منام سقط من أوله ماسقط « منه » .

فلما كانت ليلة الثلاثاء الثامن والعشرون من الشهر المذكور رأيت العجب العجيب والامر الغريب ، وهو انى اول ليلتى تلك فكـرت فى أمرى وقلت لو مت فى مرضي هذا ما يكون عاقبة أمري أمن اهل الجنة اكون أم من اهل النـار ، ثم التفت الى نفسي وأزريت عليها وقلت بأي عمل حسن ترجو الجنـة وأنت قد قضيت اكثـر عمرك فى الاسفار فى طهارة غيـر جيدة وأوقات غير محمـودة وليس لك عمل تستحق به الجنة ، اللهم الا الايمان وحب أهل البيت عليهم السلام .

ثم قلت فى نفسي لاشك ان الايمان علة تامة فى دخول الجنة وانا مؤمـن بحمدالله تعالى ولي ذنوب كثيرة فأعاقب عليها ثم أدخل الجنة ، ولكن العذاب فى مقابلة الذنوب خطر خطير وبلاء كبير ان لم يحصل مسقط من عفوالله تعالى وشفاعة النبي صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام وانى لي بالمسقط مع كثرة ذنوبى ، ثم امتد هذا الفكر برهة من الليل وأنا ازري على نفسي واعاتبها فأخذنى النوم على تلك الحال فرأيت فى المنام كأنى واقف فى أرض مقفـرة موحشة ليس فيها حشيش ولا أنيس ولا علي من الثياب الا مئزر من السرة الى الركبة وأرى جسدي مشوهاً فيه مثل الدماميل السود البشعة ، فطارعقلي وحار لبى لما رأيت وحشة المكان وقبح منظر بدنى ، فبينما انا كذلك اذ جاءنى شخص وقال: أجب . فقلت: ما الخبر؟ فقال: هذا يوم القيامة وقد طلبت للعرض والحساب، فسرت معه ساعة فأوقفنى فى ارض خالية واذاً قد اقبل شخص آخر وقال لي: سر. فقلت : الى أين ؟ فقال : قد امر بك الى النار فسرت معهما حزين القلب منكسر الخاطر وكان مسيرنا ذات الشمال. فقلت لهما: ألا تمران بى على النبي صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام لعل شفاعة . فقالا : لم نؤمر بذلك. فقلت :مرا بي قريباً منهم صلوات الله عليهم كأنكم غير قاصدين لذلك .

فبينما انا معهما في الخطاب واذاً بالنبي واميرالمؤمنين صلوات الله عليهما جالسان عن يميننا وعندهما ثلاثة اشخاص متأخرون عنهما في المجلس قليلا فلما رأونا طلبونا فلما قربنا منهم سلمت عليهم بقلب منكسر ورأس مطرق من الحياء من سوء المنظر ومن اني مأمور بي الى النار، فنظر الي النبي صلى الله عليه وآله وأنامنكس رأسي وتأمل طويلاثم قال : اذهبوا به الى الجنة . فقالوا: يارسول الله ليس في صحيفته شيء من الحسنات وصحيفة سيئاته مملوة، فأشار الي النبي صلى الله عليه وآله وكان معي صحيفتان فأعطيته صحيفة الحسنات واذاً في الصفحةالثانية من الورقة الاولى سطر واحد مكتوب فيه بخط واضح الايمان وحب أهل البيت والباقي بياض ليس فيه شيءاصلا، ثم اشار الى الاخرى فأعطيته صحيفة السيئات واذا هي مملوة ليس فيهاموضع كلمة ، فوضعهما صلى اللهعليه وآلهتحت ركبته ثم قال : اذهبوابه الى الجنة . فقالوا : يارسول الله قد رأيت صحيفته ، فأخرج صلوات الله عليه الحسنات فنشرها فاذا هي مملوة من الحسنات من اولهاالى آخرها ، ثم نشر صحيفة السيئات واذا هي خالية الاقليلا فقال لهما : انظرا . فقالا : الامر اليك يارسول الله ، فأشار بيده صلى الله عليه وآله ذات اليمين وقال : اذهبا به الى الجنة . فقالا : يا رسول الله لسنا ممن يؤدى الى الجنة . فقال لي صلوات الله عليه وآله : اذهب انت الى الجنةفقلت يارسول الله وأين الجنة . فقال : سر هكذا ـ واشار ذات اليمين ـ سترى باباً عالية نورانية فادخل . فقلت : يارسول الله ويكون الباب مفتوحاً.فقال : يكون مفتوحاً انشاءالله تعالى .

فقلت : يارسول الله كيف أدخل الجنة بهذه الخلقة المشوهة . فقال صلى الله عليه وآله : اذا دخلت تجد نهر الكوثر عند باب الجنة فاغتسل منه يزل ما بك من سوءالمنظر ثم اعبر الى الجانب الاخر تجد ثياباً معدة فالبس منها حاجتك

ثم اجلس واسرح و كل مما هناك . فقلت : وماهناك يارسول الله . فتبسم وكأنه قال مليح تسأل هناك رطب وعنب ولبن . فقلت له : وحقك يـا رسول الله اني أحب الرطب مع اللبن ، فكأنه قال : نعم هما مأكول اهل بلادك . فقلت : ثم ماأفعل يارسول الله . فقال صلى الله عليه وآله : اجلس هناك حتى يجيء اليك من يأخذك الى موضعك الذى أعده الله تعالى لك .

فسرت من عنده قليلا فرأيت باباً عالية نورانية واذا هى مفتوحة وليس هناك أحد ، فدخلت واذا بنهر الكوثر يجرى ، فنزلت فيه واغتسلت فذهب عني مافي من تشويه البدن ، وعبرت الى الجانب الاخر واذا هناك ثياب بعضها فى صناديق كبار وبعضها فى اسفاط صغار فلبست بعضها ، ونظرت فاذا أشجار كثيرة وأرض حسنة مأنوسة واذا بالثمار دانية والرطب واللبن والعنب كما قال صلى الله عليه وآله ، فأكلت كفايتى ثم جلست ساعة واسترحت مما كنت فيه من كرب الموقف والرعب الدى كان فى قلبى .

فبينما انا كذلك اذ أقبل شخصان فسلما وقالا قم لتنظر ماوعد ربك سبحانه وتعالى ، فسرت معهما قليلا فأدخلانى باباً حسناً متوسطاً بالعلو ، واذاً بأشجار مثمرة وانهار جارية وارض حسنة خضراء انيسة ، فقالا هذا ابتداء محلك ، وسرنا قليلا فوصلنا الى قبة على أعمدة ليس لها حيطان وانهار تجري حولها فقالا لي اجلس ، فجلست فقالا ألا تـأكل شيئاً فقلت لابأس ، فأحضر مائدة فيها ألوان من الاطعمة يفوح فيهـا الرائحة الزكية يحملهـا شبان حسـان الوجوه ومعهم امرأة متوسطة فى العمر ، فوضعوا المائدة وقالوا كل فقلت ألا تأكلون معى قالوا نحن ملائكة وهؤلاء خدمة ، فقلت للمرأة الا تأكلين معى فقالت بلى وسيأتى اليك من يأكل معك احب اليك منى .

فبينما نحن كذلك فى الكلام اذ أقبلت امرأة جميلة فلم ير الراؤن مثلها ،

فلما قربت سلمت وقبلت ركبتي وجلست عن يميني فقلت لها: بسم الله كلي ثم اشرت الى المرأة الأولى من هذه ؟ فقالت : هذه من الحور العين التى أعدها الله لك ، فأكلنا حتى اكتفينا وانا انظر اليها وأتحير في حسن منظرها ، ثم قال الملكان اللذان كانامعي أولاً قم حتى تنظر ما اعطاك الله ، فقمت معهما فسرنا قليلا واذاً قد أقبل ثلاثة اواربعة نفر حسـان الوجوه ومعهم دابة بين الفرس والبغل حسنة المنظر وعليها سرج فقالوا اركب ، فركبت وساروا بين يدى وانا أتفرج في تلك البساتين والانهار الجارية ساعة فقالوا لي : تدرى كم سرت ؟ قلت :لا. قالوا: مائة فرسخ تقريباً وبقي لك مثلها مراراً الى هذه الجهة التى نحن عليها .
ثم اخذوا بى يميناً وسرنا ساعة طويلة حتى انتهينا الى حائط فقلت لهم ما هذا الحائط ، قالوا هذا حد ملك الشيخ زين الدين ، فقلت واين الشيخ ، فقالوا هو جالس في الموضع الذى اعطاه الله تعالى ، فقلت وتلك الجراحات التى كانت في بدنه من أهل البغي والعدوان اندملت ، قالوا نعم لم يبق منها الأثر واحـد على عاتقة كالنجم المضيء بقي عـلامة ، فقلت ومن عنده قالوا أجمع اصحـابه وذكروا علـى الخصوص الشيخ محمد الحر والسيد علي والشيخ بهاء الديـن وجماعة لم يحضرني اسماؤهم . فقلت : أريد ان ارى السيد على بن الصائغ ، قالوا سيجيء .

فبينما نحن في الكلام واذا برجلين جالسان عليهما الهيبة والوقار ، فقلت من هؤلاء قالواهذا موسى الكاظم وابنه على بن موسى الرضا صلوت اللهعليهما، فسارعت اليهما وسلمت عليهما فردا علي السلام وكأنهما يهنيانى بما انعم الله تعـالى به علي وسايرتهما سـاعة ثم فارقاني صلوات الله عليهمـا ، فبينما نحن كذلك واذاً أنـا بالسيد على المذكور قد أقبـل ، فاستقبلته واستبشر كل منـا بصاحبه وسألته عن الشيخ والجماعة فقال هم بخير ، واذا هو يقول لابـأس ان

نعين مواضع لبعض من سيأتي، فقلت من هم فذكر ابن عمه السيد زين الدين وجماعة لم أحفظ اسماءهم وهو يعين لهم مواضع ثم انتبهت على تلك الحالة مسرور الخاطرمنشرح البال وعرقت بقية ليلتي تلك ومن الله تعالى علي بالعافية .

ونحن نسأل اللهسبحانه وتعالى ان لايجعل مارأيناه في المنام اضغاث احلام، بل يجعله موصولا بلطفه العام مبشراً بالوصول الى دار السلام ، لما ورد عنهم عليهم الصلاة والسلام من رآنا فقد رآنا ، فان الشيطان لايتمثل بنا وان يختم لنا ولسائر المؤمنين خاتمة خير ويدفع عنا وعنهم الضير ، وان يجعل سعينا فيما يحبه ويرضاهويمنعنا عما سواه انهسميع مجيب والى داعيه قريب،والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله اجمعين .

(ومن الكتاب) ومما سمح به الخاطر الفاتر والفكر القاصر ، وذلك عند النظر الى تلكالمعالم والرسوم فشاهدناها كما سيعربعنه المقال ويترجمبلسان الحال فقال :

هذى المنازل والآثار والطلل — مخبرات بأن القوم قد رحلوا
ساروا وقد بعدت عنا منازلهم — فاليوم لاعوض عنهم ولا بدل
فسرت شرقاً وغرباً في تطلبهم — وكلما جئت ربعاً قيل لي رحلوا
حتى وصلت الى دير وراهبة — يتلو الزبور وجنح الليل منسدل
شبكتعشري على رأسيوقلتله — ياراهب الديرهل مرت بك الابل
ياراهب الدير بالانجيل تخبرني — عن الركاب التي فيحيكم نزلوا
فرق لي وبكى من رحمة وشكا — وقال لي يا فتى قلت بك الحيل
ان الركاب التي عنهم تسائلني — بالامسقد نزلوا واليوم قدرحلوا
فحين أيقنت ان الذكر منقطع — وانه ليس لي في وصلهم أمل

رجعت والعين عبرى والفؤاد شج والحزن بى نازل والصبر مرتحل
وجئت نـاديهم الفيته قفـرا والطيـر تندبه والسهـل والجبـل
وعاينت أعينى الاصحاب فى وجل والعين منهم بميل الحزن تكتحل
فقلـت مـالكـم لاخـاب فـالكم قد حـال حـالكم والضر مشتمل
هل نالكم غير بعد الالف عن وطن قالوا فجئنـا بزين الدين يارجل
أتـى مـن الـروم لا اهلا بمقدمه نـاع نعاه فثـار الحـزن تشتعل
يقول ان أولى العدوان قدشهروا سيف الضلال وللمذكور قدقتلوا
لما سمعت كلام القوم خـامرنى وجد وحـل بقلبى المبتلى وجـل
وصار حزنى أنيسى والبكاسكنى والنوح دأبى ودمع العين ينهمل
لهفى له نـازح الاوطـان منجدلا فوق الصعيد عليه الترب مشتمل
مضرجـاً بالدمـا لاغسل ولاكفن لاقبـر فيـه يـوارى ذلـك البطـل
لابلـغ الله عينـى طيـب رؤيتـه ان حل فى خاطرى يومـاً له بدل
اشكو الى الله رزءاً ليس يشبهه الا مصيبـة مـن فى كربـلا قتلـوا
قد كنت املت آمـالا اسر بهـا فخاب ظنى وقد ضاقت بى السبل
لكن تسلـت همومـى مذ رأيتهـم فى النوم فى جنة الفردوس قدنزلوا
منعميـن مـع الاصحـاب قـاطبة فى جنة الخلد لا بـؤس ولا وجل
هذا جزائى لهم ممـا جرى لهم قـد وصلوا بـالقرب قـد حصلـوا
هذا وحزني عليهم لاانقضـاء له حتـى أراهـم عيانـاً حيثما نزلـوا

هذا آخر ما وجد من التاريخ المذكور ، ونرجو من الله تعالى الظفر بالتتمة فان الساقط منه كثير بمقتضى الفصول المتقدمة .

يقول جامع اصل الكتاب على بن محمد بن الحسن بن زين الدين العاملى تجاوز الله عن سيئاته: انه لما اقتضى الحال نقل مانقلته فى هذا الكتاب من بعض

احوال جدي العالم الرباني الشيخ زين الملة والدين الشهيد الثاني قدس الله تربته واعلى في عليين رتبته ، أحببت ان اتبعهما بنبذة من احوال ولده المبرور المحقق الحسن جمال الدين أبي منصور قدس الله روحه الزكية وافاض عليه المراحم الربانية ونبذة من احوال ولده فخرالدين ابي جعفر والد هذا الفقير قدس الله روحه ونور ضريحه ، فأقول :

[ترجمة الشيخ حسن صاحب المعالم]

ان الشيخ حسن رحمه‌الله كان فاضلا محققاً ومتقناً مدققاً وزاهداً تقياً وعالماً رضياً وكاملا ذكياً بلغ من التقوى والورع اقصاهماومن الزهد والعبادةمنتهاهما ومن الفضل والكمال ذروتهماوأسناهما ، وحق على‌ابن الصقران يشبه الصقرا ، كان لايحوزقوت اكثرمن‌أسبوع أو شهر الشك مني فيما نقلت‌عن الثقات،لاجل القرب الى مساواة الفقراءوالبعد عن‌التشبه بالاغنياء ، وشاهدي على حالهوفضله ماحرره من المصنفات وحققه من المؤلفات ، فمن عرفها حق المعرفة أذعن بثبوت دعوى هذه الصفة ، كان ينكر كثرة التصنيف مع عدم تحريره ويبذل جهدهفي‌تحقيق‌ماألفهوتحبيره، فتظلع‌من‌العلوم الحديث‌والرجال‌والفقه‌والاصول مستغنياً بما يحتاج اليه مما سواها من المعقول والمنقول .

كان هو والسيدالجليل السيدمحمد ابن‌اخته قدس‌الله روحيهما في‌التحصيل كفرسي رهان ورضيعي لبان، وكانا متقاربين في السن ، وبقي بعد السيد محمد بقدر تفاوت مابينهمافي السن تقريباً، وكتب على قبر السيدمحمد « من‌المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظرومابدلوا تبديلا » ورثاه بأبيات كتبتها على قبره ، وهي قوله :

لهفي لرهن ضريح صار كالعلم للجود والمجد والمعرف والكرم

قد كان للدين شمساً يستضاء به | محمد ذو المزايا طاهر الشيم
سقى ثراه وهناه الكرامة | والريحان والروح طرأ باريء النسم

والحق ان بينهما فرقاً في دقة النظر يظهر لمن تأمل مصنفاتهما ، وان الشيخ حسن كان أدق نظراً واجمع من انواع العلوم ، وكانا مدة حياتهما اذا اتفق سبق احد منهما الى المسجد وجاء الآخر بعده يقتدي به في الصلاة ، وكان كل منهما اذا صنف شيئاً يرسل اجزاءه الى الاخر وبعده يجتمعان على مايوجب البحث والتحرير رحمهما الله تعالى . ومثل هذا عزيز وقوعه من ابناء الزمان .

وكان اذا رجح احدهما مسألة وسئل عنها الاخر يقول ارجعوا اليه فقد كفاني مؤونتها ، استشهد والده قدس سره في سنة خمس وستين وتسعمائة كما تقدم نقله .

وبخطه الشريف عندي ما صورته : مولد العبد الفقير الى عفو الله وكرمه حسن بن زين الدين بن علي بن احمد بن جمال الدين بن تقي الدين عفا الله عن سيئاتهم وضاعف حسناتهم في العشر الأخير من شهر الله الاعظم شهر رمضان سنة تسع وخمسين وتسعمائة ، اللهم اختم بخير انك ولي كل خير .

وبخطه ايضاً مالفظه : وبخط والدي رحمه الله بعد ذكر تواريخ اخوتي ماهذا لفظه : ولد اخوه حسن ابومنصور جمال الدين عشية الجمعة سابع عشري شهر رمضان المعظم سنة تسع وخمسين وتسعمائة والشمس في ثالثة الميزان والطالع زايل اللهم خاتمتنا الى خير يامن بيده كل خير .

وقد تقدم عن السيد علي الصائغ رحمه الله ان وفاة والده كانت في شهر رجب ، فيكون سنه ذلك الوقت اربع سنين واشهراً ، وقدكان والده قدس الله روحه على ما بلغني من جماعة من مشائخنا وغيرهم له اعتقاد تام في المرحوم المبرور العالم العامل السيد علي الصائغ وانه كان يرجو من فضل الله ان رزقه الله ولداً أن يكون مربيه ومعلمه السيد علي المذكور ، فحقق الله رجاءه وتولى

السيد علي الصائغ والسيد علي بن الحسن رحمهما الله تربيته الى أن كبر وقرأ عليهما خصوصاً على السيدعلي الصائغ هووالسيد محمدا كثر العلوم التي استفاداها من والده من معقول ومنقول وفروع وأصول وعربية ورياضي ، ولما انتقل السيد علي الى رحمة الله ورد الفاضل الكامل مولانا عبد الله اليزدي تلك البلاد فقرءا عليه في المنطق والمطول وحاشية الخطائي وحاشيته عليها وقرءا عنده تهذيب المنطق ، وكان يكتب عليه حاشية في تلك الاوقات وهي عندي بخط الشيخ حسن .

وبلغني ان ملا عبد الله كان يقرأ عليهما في الفقه والحديث ، ثم سافر هو والسيد محمد الى العراق الى عند مولانا احمد الاردبيلي قدس الله روحه،فقالا له : نحن مايمكننا الاقامة مدةطويلة ونريد أننقرأ عليك على وجه تذكرة ، وان رأيت ذلك صلاحاً . قال : ما هو ؟ قالا : نحن نطالع وكل ما نفهمه ما نحتاج معه الى تقرير بل نقرأ العبارة ولا نقف وما يحتاج الى البحث والتقرير يتكلم فيه ، فأعجبه ذلك وقرءا عنده عدة كتب في الأصولوالمنطق والكلام وغيرها مثل شرح المختصر للعضديوشرح الشمسية مع الحاشية وشرح المطالعوغيره وكان قدس الله روحه يكتب شرحاً على الارشاد ويعطيهما اجزاء منهويقول انظروا في عبارته وأصلحوا منها ما شئتم فاني أعلم ان بعض عباراته غير فصيح فانظر الى حسن هذه النفس الشريفة .

وكان جماعة من تلامذة ملا احمديقرأون عليه شرح المختصر للعضديوقد مضى لهم مدة طويلة وبقي منه ما يقتضي صرف مدة طويلة اخرى حتى يتم ، وهما اذاقرءا يتصفحان اوراقاً حال القراءة من غير سؤال وبحث ، وكان يظهر من تلامذته تبسم على وجه الاستهزاء بهما على هذا النحو من القراءة ، فلما عرف ذلك منهم تألم كثيراً منهم وقال لهم عن قريب يتوجهون الى بلادهم ويأتيكم

مصنفاتهم وانتم تقرأون في شرح المختصر، وكانت اقامتهما مدة قليلة لايحضرني قدرها ، ولما رجعا صنف الشيخ حسن المعالم والمنتقي والسيد محمد المدارك ووصل بعض ذلك الى العراق قبل وفاة ملا احمد رحمه الله .

وطلب الشيخ حسن من مولانا احمد شيئاً من خطه ليكون عنده تذكاراً ، فكتب له بعض أحاديث فى الصحيفة التى عندي بخطه قدر ورقة ، وكتب فى آخرها كتبه العبد احمد لمولاه امتثالا لامره ورجاء لتذكره وعدم نسيانه اياه فى خلواته وعقيب صلواته ، وفقه الله لما يحبه ويرضاه بمنه وكرمه بمحمد وآله صلى الله عليه وآله ـ انتهى .

وفى تلك الصحيفة صفحة بخط الشيخ الجليل الشيخ بهاء الدين قدس الله روحه كتب فيها كلمات حكمية، وفى آخرها كتب هذه الكلمات امتثالا لامر سيده صاحب الكتاب حرس مجده وكبت ضده اقل العباد بهاء الدين الجباعى أصلح الله شانه سائلا منه اجراءه على خاطره الخطير وعدم محوه عن لوح ضميره المنير ، سيما فى محال الانابات ومظان الاجابات وذلك سنة ٩٨٣ ـ انتهى .

وكان اجتماعهما فى كرك نوح عليه السلام لما سافر الشيخ بهاء الدين الى تلك البلاد ، ولما رجع من العراق اشتغل بالتدريس والتصنيف وقرأ عليه والدي جملة من كتب العلوم معقولا ومنقولا وفروعاً واصولا حتى انه قرأ عليه شرح الشرائع من أوله الى آخره على مابلغني والمنتقى والمعالم وغيرهما، وتخرج عليه وقرأ مدارك السيد محمد وشرح مختصره عليه وغير ذلك، واستفاد من جدي المرحوم جماعة كثيرة من الفضلاء مثل السيد نور الدين والشيخ نجيب الدين والشيخ حسين ابن الظهير وغيرهم وذكرهم جميعاً يحوج الى التطويل. جده من جهة أمه الشيخ الكامل الفاضل صاحب الذهن الوقاد والفكر النقاد والفطرة السليمة الشيخ محى

الدين قدس الله نفسه .

ولقد بلغني عن بعض فضلاء اكابر العجم وهو خليفة سلطان قدس الله روحه وكان منصفاً ومتصدياً لتدريس المعالم وشرح اللمعة ومطالعة كتب مصنفيهما ، وكان له فيهما اعتقاد حسن انه قال يوماً ما معناه : كنت أسمع ان الشيخ حسن توفى في اثناء تصنيف المنتقى والمعالم ، ومن كان هكذا فكره وتحقيقه ليس عجباً وفاته في مثل هذا التصنيف والفكر فيه .

وله قدس سره مصنفات وفوائد ورسائل وخطب اطلعت منها على : كتاب منتقى الجمان في الاحاديث الصحاح والحسان مجلدان ، وكتاب معالم الدين وملاذ المجتهدين مقدمته اصول وبرزمن فروعه مجلد ، وحاشية على مختلف الشيعة مجلد عندي بخطه، وكتاب مشكاة القول السديد في تحقيق معنى الاجتهاد والتقليد ذهب فيما ذهب من الكتب، وكتاب الاجازات ، والتحرير الطاووسى في الرجال مجلد ، ورسالته الأثناعشرية في الطهارة والصلاة ، وله ديوان شعر كان في بلادنا بخطه سمعت أنه باق عند أولاد الشيخ نجيب الدين مجلد ، ومجموع جميعه بخطه يحتوى على نفائس الشعر والفوائد له ولغيره وهو عندنا بخطه ، ومجموع آخر بخطه انتخب فيه من فصول نسيم الصبا عشرة فصول وفيه فوائد وحكايات وأشعار وكان عندنا بخطه كتب كثيرة بقي منها القليل .

انتقل الى جوار الله في سنة احدى عشرة وألف ، ولا يحضرني خصوص الشهر واليوم ودفن في بلدة جبع قدس الله روحه ونور ضريحه ، فيكون سنه اثنتين وخمسين سنة وشيئاً.

واقول : جزى الله عنا سوء الجزاء من حرمنا من الكتب التي كانت عندنا اجتمعت في زمن الشيخ زين الدين والشيخ حسن ووالدي رحمهم الله وأضيف اليها كتب الشيخ محي الدين رحمه الله ، وقد وقع عليها الفتور غير مرة منها

قريب ألف كتاب احترقت وانا اذ ذاك ابن نحو سبع سنين أو ثمان حرقها اهل البغي ، ولما سافرت الى العراق كان الباقي لنا في الجبل ودمشق وغيرهما ما يقرب من ألف كتاب واكثرها منه ماأخذه الناس ومنه ماتلف من النقل والوضع تحت الارض ، والباقي نحو مائة كتاب وصلت الي بعد السعى التام .

ومن العجب اني لما فارقت ما فارقت من الكتب كان فيما بقي بعد الفتور الاول مايزيد عن مائة كتاب بخط جدي الشيخ زين الدين رحمه الله وما كان بخطه فيما تلف واحترق لايعلم مقداره ، ومما تواتر عنه رحمه الله انه كان اذا غمس القلم في الدواة ربما يكتب عشرين سطراً أو ثلاثين سطراً ، وهذا من جملة التأييدات الالهية ، ولهذا جعل كاتب التاريخ فصلاً في ذكر أمره في الكتابة وماله فيها من الايات ومحاسن الكرامات كما تقدم . وبالجملة فبذهاب هذه الكتب ذهب كثير من فوائده وفوائد جدي ووالدي رحمهم الله تعالى وحرمنا الاطلاع عليها والانتفاع منها .

ولنرجع الى تتمة ما يتعلق بجدي المرحوم الشيخ حسن فأقول : انه كان ذا شعر رائق واسلوب فيه فائق كالماء الزلال والسحر الحلال ، بلفظ حسن رقيق ومعنى جيد رشيق، ما بين مواعظ وألغاز وغزل ومراثي ومديح لالغرض دنيوي وقد تقدمت قطعة من شعره في الكلمات المنثورة ومنه قوله :

واعجباً مني وما ان أرى — تعجبي مني يحديني
أطيع نفسي ان دعتني الى — امر به توذي وتوذيني
وحيث أدعوها الى مطلب — تنجو به حقاً وتنجيني
تلقى دعايبها على غرة — بأي اعراض وتعصيني
فمن عذيري أو شيفعي اذا — ناديتها يوماً تلبيني
او من معيرلي نفساً بها — اعتاض عن نفسي وتكفيني

ومن شعره قدس الله روحه :

قف بالديار وسلها عن اهاليها ... عسى ترد جواباً اذ تناديها
واستفهمن من لسان الحال مافعلت ... أيدى الخطوب وماذا أبرمت فيها
فسوف تنبيك أن القوم قد رحلوا ... و لم تكن بلغت منهم أمانيها
وغادرتها صروف الدهر خالية ... قد هدمت اسفاً منها معانيها
وأصبحت بالنوى والبين فى ظمأ ... وماسوى القرب منهم ليس يرويها
وأظلمت بعدهم ايامها ولقد ... كانت بهم أشرقت بيضاً لياليها
وناب عن عزلها ذل الكآبة اذ ... تغيرت بعدما بانوا معانيها

ومن شعره لما كان بالعراق وقد شاهد ركباً متوجهاً من العراق الى الشام:

فؤادى ظاعن اثر النياق ... وجسمى قاطن أرض العراق
ومن عجب الزمان حياة شخص ... ترحل بعضه والبعض باق
وحل السقم فى جسمى فأمسى ... له ليل النوى ليل المحاق
وصبرى راحل عما قليل ... لشدة لوعتي ولظى اشتياقي
وفرط الوجد أصبح لى حليفاً ... ولما ينوفي الدنيا فراقى
وتعبث ناره بالروح حيناً ... فيوشك أن تبلغها التراقي
واظمأني النوى وأراق دمعى ... فلا ادوى ولا دمعى براقي
وقيدنى على حال شديد ... فما حر ذاالرقي منه بواقي
ابى الله المهيمن أن ترانى ... عيون الخلق محلول الوثاق
ابيت مدى الزمان لنار وجدى ... على جمر يزيد به احتراقي
وما عيش امرء في بحر غم ... يضاهى كربه كرب السياق
يود من الزمان صفاء يوم ... يلوذ بظله مما يلاقي
سقتنى نائبات الدهر كأساً ... مريراً من أباريق الفراق

ولم يخطر ببالى قبل هـذا — لفرط الجهل ان الدهر ساقي
وفاض الكأس بعد البين حتى — لعمرى قد جرت منه سواقـي
فليس لداء ما القى دواء — يؤمل نفعه الا التلاقـى

ومن شعره وهو بالعراق متشوقاً الى وطنه :

طول اغترابى بفرط الشوق اضنانى — والبين فى غمرات الوجد القانـى
يا بارقاً من نواحى الحى عارضنى — اليك عنى فقد هيجت اشجانـى
فمـا رأيتك فى الافاق معترضـاً — الا و ذكرتنـى اهلـى واوطانـى
ولا سمعت شجى الورقاء نائحة — فى الا يـك الا و شبت منه نيرانـى
كم ليلة مـن ليالي البين بـت بهـا — أرعى النجوم بطرفى وهى ترعانى
كأن ايدى خطوب الدهر منذنـأوا — عن ناظرى كحلت بالسهد اجفانـى
ويابليلا سـرت مـن حيهم سحـرا — فى طيها نشر ذاك الرند والبان
أحييت ميتاً بأرض الشام مهجته — وفى العـراق لم تخيل جثمـان
و كم حييت و كم قدمت من شجنى — ما ذاك اول احياء ولا الثانـى
شابت‌نواصي من وجدى فوا أسفى — على الشباب فشيبنى قبـل ابانى
والهف نفسي حصون البين عامـرة — وربع قـرب التلاقـى ماله بانـى
يالائمى كم بهذا اللـوم تزعجنى — دعنى فلومك قد والله أغرانـى
لا يسكن الوجد ما دام الشتات ولا — تصفوا لمشارب لـى الا بلبنـان
فى ربع أنسي الذى حل الشباب به — تمايمى وبـه صحبى وخلانـى
كم قد عهدت بهاتيك المعاهد مـن — اخوان صدق لعمرى أي اخوانـى
و كم نقضت لنـا بالحى آونـة — على المسرة في كـرم و بستان
لم أدرحـال النوى حتـى علقت بـه — فغمرتى من وقوعى قبـل عرفانـى
حتى‌م‌دهرى على ذا الهون تمسكنى — هـلا جنحت لتسريـح باحسـان

اقسمت لولا رجاء القرب يسعفني　　فكلما مت بالاشواق أحياني
لكدت اقضي بها نحبي ولا عجب　　كم أهلك الوجد من شيب وشبان
يا جيرة الحي قلبي بعد بعدكم　　في حيرة بين أوصاب فاشجان
يمضي الزمان عليه وهو ملتزم　　بحبكم لم يدنسه بسلوان
باق على العهد راع للذمام فما　　يسوم عهدكم يوماً بنسيان
فان يرانى سقامي أو نأى رشدى　　فلا عج الشوق او هاني والهاني
وان بكت مقلتي بعد الفراق دماً　　فمن نذكركم يا خير جيران

وله قدس سره في صدر كتابه :

سلام عليكم لااري العيش والنوى　　يجاذبنا ثوب الحياة يطيب
هل البين الا شرداء اذا اعترى　　فليس له غير اللقاء طبيب

وله قدس الله روحه :

سقوني في الهوى كاساً　　معاني حسنهم راحه
فلي في مهجتي اصل　　لوجد اين شراحه

وله قدس الله روحه :

قد كنت أحسب قلبي قبل مارحلوا　　مبرءاً ويحه من قسوة الناس
ومن بقائي وقد بانوا تبين لي　　انا سواء واني مثلهم قاسي

وله قدس الله روحه :

عرج على الأحباب ياذا الحادي　　انبئهم انى على الميعاد
وقل الكئيب لبعدكم غادرته　　كالميت ملقى بين اهل البادى
ذا مقلة اجفانها قد كحلت　　بعد التفرق والقلا بسهاد
ويقول من ظمأ به واحسرتي　　حتى متى يروى غليل الصادى
بعدت ديار أحبتي قلنا بهم　　قدح الزناد مسعر بفؤادى

ولقد نذرت صيام يوم لقائهم مع انه من أكبر الاعياد
روحي الفدا لاحبة من وصلهم ذهب الزمان ومابلغت مرادي
اشكو الزمان واهله فكأنما خلق الزمان واهله لعنادي
لكنني متمسك بهدايتي اولاء اصحاب الكسا الامجاد
اهل النبوة والرسالة والهدى للخلق بعد الشرك والالحاد
أعني النبي المصطفى المبعوث من ام القرى بالحق للارشاد
والطاهر الحبر الامام المرتضى زوج البتول اخا النبي الهادي
والبضعة الزهراء والحسنين سا دات الورى فبهم وبالسجاد
ومحمد وبجعفر وبكاظم ثم الرضا ومحمد والهادي
والعسكري ونجله المهدي من نرجوه يروي غلة الاكباد
تنجوا اذا وضع الكتاب ولانرى نفعاً من الاموال والاولاد
يا آل احمد حبكم لي منهج خلف عن الاباء والاجداد
أرجو به عند النزول بحفرتي انساً وذخرى انتم لمعادي

وله قدس الله روحه :

صد دلالا واثنني معرضاً فأرسل الصدغ على خاله
لئن ابى عن ان نراه فقد انبأنا المرسل عن حاله

وله قدس الله روحه :

اختلف الاصحاب في محنتي وما الذي أوجب لي البلوى
فقيل طول النأي والبعد عن نيل المنى من وصل من اهوى
وقيل لابل صدغه لم يزل بالسحر يرمي القلب بالاسوا
وقيل سهماً لحظه أذرنا لم يخطئا من جدي عضوا
وقيل ضعف الطرف والخصر اذ عليه قلب الصب لايقوى

وقيل بل كل له مدخل فيها وعندى انه أقوى

اقول : اني اكتفيت بهذا القدر من شعره قدس الله روحه خوف الاطالة ، ومن اراد الاطلاع على غيره طلبه من ديوانه .

وسمعت من بعض مشائخنا وغيرهم انه لما حج كان يقول لاصحابه نرجو من الله سبحانه ان نرى صاحب الأمر عليه السلام فانه يحج فى كل سنة ، فلما وقف بعرفة امر أصحابه ان يخرجوا من الخيمة ليتفرغ لادعية عرفة ويجلسوا خارجهامشغولين بالدعاء ، فبينما هو جالس اذ دخل عليه رجل لايعرفه ، فسلم وجلس قال : فبهت منه ولم أقدر على الكلام، فكلمني بكلام نقل لي ولايحضرني الان وقام، فلماقام وخرج خطر ببالي ماكنت رجوته وقمت مسرعاً فلم أره وسألت اصحابى قالوا : ما رأينا احداً دخل عليك . وهذا معنى ما سمعته والله اعلم .

[ترجمة الشيخ محمد العاملي]

وأما والدي الشيخ محمدقدس الله روحه فقد كان عالماً عاملا وفاضلاكاملا وورعاً عادلا وطاهراً زكياً وعابداً تقياً وزاهداً رضياً يفرمن الدنيا وأهلها فرارك من الاسد ويتجنب الشبهات وذويها فلا يركن منهم الى أحد ، جمع بين جيد الحافظة والذكاء حتى كان يكاد لاينسى ما رأى . وحاز من الفكر الدقيق والغور فى المسائل العميق ما اذا أرسله لم يصل الى حد ومنتهى .

كانت افعاله منوطة بقصد القربة وأقواله مربوطة بمراعاة مالا يخالف فيه خالقه وربه ، صرف عمره فى التصنيف والعبادة والتدريس والافادة والاستفادة.

كان اشتغاله أولا عندوالده والسيد محمد قدس الله روحيهما ، فقرأ عليهما وأخذ عنهما الفقه والحديث والاصولين وغير ذلك من العلوم ، وصار له معهما أبحاث شريفة يتعرض لذكرها في مصنفاته ، ومما قرأ المنتقى والمعالم وشرح

الشرائع بتمامه عند والده والمدارك بتمامه وما كتبه السيد محمد على المختصر النافع ، وكتب غالب ما قرأه من ذلك بخطه ولهما عليها بلاغات واجازات وكذا الاستبصار .

ولما انتقلا الى رحمة الله ورضوانه بقي مدة مشتغلا بالمطالعة والتدريس، ثم سافر الى مكة المشرفة وجاور بها سنين اظنها خمساً ، وكان اذ ذاك بمكة مرزا محمد الاسترابادي رحمه الله وكان بينهما اختصاص زائد ومحبة وافية ، وقابل عنده بعض الحديث وكان يفيد اكثر مما يستفيد وهذب له كتاب الرجال الكبير وبوبه احسن تبويب ورتبه أحسن ترتيب وكتبه بخطه .

ثم رجع الى البلاد واقام بها مدة قليلة وسافر الى العراق خوفاً وفرقاً وفراراً ممن نصبوا له العداوة حسداً منهم وحنقاً والجمال مظنة للحسد وصاحب الكمال لايكاد يصفو عيشه من الضيق والنكد ، واقام بكربلاء مدة طويلة وقرأ عنده جماعة من العرب والعجم في علوم شتى خصوصاً الحديث والفقه والاصول.

وكان مع التدريس مشتغلا بالتصنيف ، فصنف هناك كتباً يأتي تفصيلها انشاءالله مضافة الى ما صنفه في البلاد ، وكان يوماً يصلي في كربلاء على السطح فرماه رجل بسهم فمر تجاه صدره ووقاه الله منه ، فسافر الى مكة المشرفة وأقام بها مدة ثم رجع الى العراق فأقام بها مدة ، ثم عرض له ما يقتضي الخروج منها فسافر الى مكة وبقي الى ان اختار الله سبحانه له دار البقاء .

وكان وهو فى البلاد يذهب الى دمشق ويقيم بها مدة بعد مدة ، واختلط بفضلاء العامة وصاحبهم وعاشرهم أحسن عشرة وقرأ عندهم فى علوم شتى ، وكانت الشيعة بها تختلف اليه وتستفيد منه ، وكان من جملة من قرأ عليهم رجل فاضل فى علوم العربية والتفسير والاصول اسمه الشيخ شرف الدين الدمشقى، وكان يجتمع فى درسه خلق كثير رأيته انا وشاهدت حلقة درسه وهو طاعن فى

السن، وكان اذا جـرى بحث فى مجلسه وتكلم والدي في مسألة بكلام وبحث معه يعـارضه اهل ذلك المجلس عنـاداً أو لـؤفهم فيقع البحث بينهم والشيـخ ساكت ، فاذا انتهى الامر اليه ليحكـم بينهم يقول يا اخـوان لايغير فى وجـوه الحسان يعنى به والدي رحمه الله ، فاذا سمعوا هذا سكتوا .

سمعت هذا من شيخنا الشيخ محمد الحرفوشى رحمه الله لانه كان يحضر مجلس درس هذا الشيخ وقرأ على والدي واستفاد منه .

ولوالدي رحمه الله أشعار رائقة تشتمل على مواعظ وحكم وألغاز ومراسلات بينه وبيـن فضلاء ذلك العصر من المؤالف والمخالف وغزل ومديح وغيره ، وله مراسلات وانشاءات نثر، وكان مصاحباً للفريقين بحسن الخلق وبسط اليد .

ومن جملة احتياطه وتقواه انه بلغه ان بعض اهل العراق لا يخرج الزكاة ، فكان كلما اشترى من القوت شيئاً زكوياً زكاه قبل أن يتصرف فيه ، وأرسل اليه الامير يونس بن الحرفوش رحمه الله الى مكة المشرفة خمسمائة قرش، وكان هذا الرجل له أملاك من زرع وبساتين وغيرذلك يتوقى أن يدخل الحرام فيها ، وارسل اليه معها كتابة مشتملة على آداب وتواضع ، وكان له فيه اعتقـاد زائد والتمس منه أن يقبل ذلك وانه من خالص ماله الحلال وقد زكاه وخمسه، فأبى أن يقبل ، فقال له الرسول: ان اهلك وأولادك فى بلاد هذا الرجل وله بك تمام الاعتقاد وله على أولادك وعيالك شفقة زائدة فلاينبغى أن تجبه بالرد. فقال :ان كان ولابد مـن ذلك فابقهـا عندك واشتـر فى هذه السنـة بمائة قرش منها شيئاً مـن العود والقماش وغيره ونرسله اليه على وجه الهدية وهكذا نفعل كل سنة حتـى لايبقى منها شيء ، فأرسل لـه ذلك تلك السنة وانتقل الى رحمة الله ورضوانه .

وطلبه سلطان ذلك الزمان عفا الله عنه مرة من العراق فأبى ذلك ، وطلبه من مكة المشرفة فأبى ، فبلغه انه يعيد عليه امر الطلب وهكذا صارفانه عين له مبلغاً

لخرج الطريق ، وكان يكتب له ما يتضمن تمام اللطف والتواضع .

وبلغني انه قيل له اذا لم تقبل الاجابة فاكتب له جواباً فقال : ان كتبت شيئاً بغير دعاء له كان ذلك غير لائق وان دعوت له فقد نهينا عن مثل ذلك ، فألح عليه بعض أصحابه وبعد التأمل قال : ورد حديث يتضمن جواز الدعاء لمثله بالهداية . فكتب له كتابة وكتب فيها من الدعاء هداه الله لا غير .

وأخبرتني زوجته بنت السيد محمد بن ابى الحسن رحمه الله وأم ولده انه لما توفى كن يسمعن عنده تلاوة القرآن طول تلك الليلة . ومما هومشهور انه كان طائفاً فجاء رجل واعطاه ورداً من ورود شتى ليست فى تلك البلاد ولا فى ذلك الاوان ، فقال له : من أين أتيت ؟ فقال : من هذه الخرابات . ثم أراد أن يراه بعد ذلك السؤال فلم يره .

ورأيت فى شرحه على الاستبصار وهو عندى الان بخط الشيخ حسين المشغرى رحمه الله وكان ممن صاحبه واستفاد منه فى مكة المشرفة مالفظه : انتقل مؤلف هذا الكتاب وهو الشيخ السعيد الحميد بقية العلماء الماضين وخلف الكملاء الراسخين ، أعنى شيخنا ومولانا ومن استفدنا من بركاته العلوم الشرعية من الحديث والفروع والرجال وغيرها الشيخ محمد بن ابن الشهيد الثانى من دار الغرور الى دار السرور ليلة الاثنين عاشر من شهر ذى القعدة الحرام سنة ثلاثين من هجرة سيد المرسلين ، وقد سمعت منه قدس الله روحه قبيل انتقاله بأيام قلائل مشافهة وهو يقول لى : انى انتقل فى هذه الايام عسى الله أن يعيننى عليها وكذا سمعه غيرى وذلك فى مكة المشرفة ودفناه برد الله مضجعه فى المعلى قريباً من مزار خديجة الكبرى ، حرره الفقير الى الله الغنى حسين بن الحسن العاملى المشغري عامله الله تعالى بلطفه الخفي بالنبى والولى والصحب الوفي فى التاريخ المذكور ــ انتهى كلام الشيخ حسين رحمه الله بلفظه .

وقال له بعض أصحابه : انه بعد هذا يرسل اليك السلطان على وجه لا يمكنك الا السفر الى بلاده، فكان يدعو الله سبحانه أنه ان كان يعلم ان هذا الامر يلزمه وان وفاته خير له بحسب الاخرة ان يتوفاه، وبعد ذلك كان يقول انى انتقل قريباً وقد استجيب دعائى .

وله مصنفات جليلة دقيقة وتحقيقات عظيمة أنيقة وتدقيقات منيفة رشيقة : فمنها شرح الاستبصار برزمنه ثلاث مجلدات كبار سلك فيه مسلكاً عجيباً ومنهجاً غريباً مستوفياً احوال السند والرجال والمتن واللغة على وجه لم يسبق اليه فى هذا الفن، ومنه يعلم سعة اطلاعه وتتبعه للرجال واحوالهم مما فاق به على اهل هذا الفن الاعلى والده وجده طاب ثراهما وربما زاد عليهما وذلك كتبه على كتاب الطهارة والصلاة .

ومنها حاشية على شرح اللمعة مجلدان وصل فيها الى كتاب الصلح ، وله مع جده وغيره فيها أبحاث طويلة وفوائدها جليلة .

ومنها حاشية دقيقة على أصول معالم الدين لوالده مجلد متوسط .

ومنها حاشية على عبادات من لا يحضره الفقيه مجلد .

ومنها حاشية على تهذيب الحديث مجلد .

ومنها شرح اثنى عشرية والده مجلد ، وهو شرح مبسوط استوفى فيه مايليق به .

ومنها حاشية على مختلف الشيعة ذهبت فيما ذهب من الكتب .

ومنها حاشية على مدارك السيد محمد رحمه الله سوى الحواشى التى علقها على حاشية المدارك الذى كتبه وقرأه على مصنفه ذهبت ايضاً .

ومنها حاشية على المطول شرح التلخيص ، وهذه ايضاً غير موجودة عندى وذكرها فى بعض فوائده .

ومنها كتاب روضة الخواطر ونزهة النواظر رأيت منه المجلد الثاني والثالث، وهو كتاب مشتمل على فوائد ومسائل واشعار له ولغيره وحكم وغيرها ملتقطة من كتب شتى .

ومنها الرسالة المتقدمة في هذا الكتاب في المفاخرة بين الغنى والفقر .

ومنها رسالة في تزكية الراوي .

ومنها رسالة في التسليم في الصلاة حقق فيها ماترجح عنده .

ومنها رسالة في التسبيح والفاتحة فيما عدا الركعتين الاولتين وترجيح ما ترجح عنده من اختيار التسبيح .

ومنها كتاب مشتمل على مسائل وبعض أحاديث من الكافي نقلتها في كتاب الدر المنظوم وفيه فوائد متفرقة .

ومنها كتاب نقل فيه مسائل من كتب شتى وفوائد كذلك .

ومنها كتاب مشتمل على اشعار له ولغيره ومراسلات بينه وبين من عاصره .

ومنها كتاب جامع لاكثر اشعاره مشتمل على مواعظ ونصائح وحكم ومراثي وألغاز ومديح ومراسلات شعرية بينه وبين شعراء اهل العصر واجوبة منه لهم في المديح والالغاز وغيرها ، وهذا كان عندي وذهب فيما ذهب .

ولقد كان رحمه الله جيد الشعر كثير النظم سريعه يشتمل شعره على معان دقيقة وألفاظ رشيقة ومواعظ شريفة وفوائد منيفة ، ولم يكن الان يحضرني من شعره الا القليل النزر، فمما هو حاضر قوله يرثي شيخه السيد محمد ره :

صحبت الشجا مادمت في العمر باقيا وطلقت ايام السها واللياليا
وفلت عرى صبري مدى الوجد سروري وأمست الى المنايا امانيا
وعني تجافي صفو عيشي كما غدا يناظر مني الناظر السحب باكيا
ونومي نأى من حين امسى مسامري عظيم جوى قد أرسل الدمع جاريا

ولـم يبـق مني السقم الابقيـة ... على هلكها قد أصبح الخطب واليا
فلي ضر ايـوب واحـزان آدم ... وبي فرط وجد غادر الجسم باليـا
وكم في فؤادي من فم الفكر لسعة ... لها لم أجد مادمت فـي العمر راقيا
وقد قل عندي كل ماصرت واجداً ... بفقد الذي أشجى الهدى والمعاليـا
فتى زانه في الدهر فضـل وسؤدد ... الى ان غدا فوق السماكين راقيـا
حليم كريم شرف العصر شـأنه ... كما شرفت منه الايادي الايادي ـا
هو السيـد المـولى الذي تم بدره ... فأضحى الى نهج الكرامات هاديـا
مضى فاكتست ثوباً من الحزن بعده ... ليالي كان العيش فيهن صافيـا
وشقت عليه الشمس جيباً واعلنت ... ببوح الاسى والبدر قد صار خافيا
وكادت به الاطواد تعفو رسومهـا ... بما حملت والبحر قد بات شاكيـا
وكم للمعاني مأتم حين شاهدت ... سباسبها قد أقفـرت والفيافيـا
وللفقه نوح يترك الصلد ذائبـاً ... كماسال دمع الحق يحكي الغواديا
فويح المنايـا حيث لم ترع قدره ... وشلت يمين الخطب اذصار راميا
ولله رزء جـل حتـى لقـد غـدا ... به كل ذي حزن لشكواه ناسيـا
فقد تـابه النور الذي لم يزل به ... طريق الهدى للناس في الدهر باديا
امام بكاه الغيث اذ صار في الورى ... شقيقاً له والمـاء قد عـاد صاديـا
لقد كان شمس الديـن مغني وبـدره ... كما كان فيه مشرب الفضل صافيـا
فهل من معز للعلى في مصـابه ... بفقد جليـل كان في العسر كافيـا
وهل مخبـر للخطب من أم بـالردى ... فقد كان حين الرمي لاشك ساهيـا
ومن لليتامى بعد فقـدان كامل ... كفيل ومن امسى عن النكر ناهيـا
فلا خير في الدنيا اذا لم يدم بهـا ... سرور لما يأت مـا كان ماضيـا
وهيهات ان تصفو حيـاة لطالب ... وللدهر اهوال تشيب النواصيـا

وما نافع الانسان فيه سوى الرضـا   بما صار محتوماً على الناس جاريا

وله رحمه الله من قصيدة اولها من الكتاب :

ولدنـا على هـول نطول بأنفس   تضيـق احتمالا عند مـوقعه الاكم
فسر اذا ما كان محـض غذائنـا   هبيد البرادى حيث لذلنا الطعم
نعم شان منا الشان بعد مهذب   همى الشان من اشواقه وسرى السقم
كريم رفيـع المجد مصـدر بغية   حميد سما فاشتق من فعله الاسم
تخذنـاه درعـاً للزمـان منيعة   تقى البأس مافى مثلها نفذ السهم
نأى البخل عنه حيث كان كما دعـا   الى راحتيه البـذل واتضح القسم
سأنشر فيـه طي بعض حقـوقه   واذكر فيـه ما يقوم به النظـم
همـام له رب الفضـائل خـادم   وبين يديـه يسجد البأس والحزم
متى رام امراً أو تخيل موعداً   مضى قبل ان يلقى على فعله الجزم
مديحى له فوق المدايح مثل ما   سما فوق هام النجم وانخفض النجم
غـروس ابيـه دام بعض فنونهـا   وقد سقيت من فيض نعمائه العلم
لافنانهـا الفضل المبين ثمارهـا   بيان المعانى فقه تصريفها المعلم
يسير وأهل الارض تحت ركابه   يفيض عليهم من فواضله القسم
سرور الندامى ذكره ونعوتـه   على صفحات القلب اثبتها الرقم
له المدح مادام السماك مؤبد   واعـداؤه فى الارض لازمهـا الرغم
لاطفاله مهـد السـرور موبـد   واطفال من ناواه يخدمها اليتـم
اتانا كتـاب مـن رقوم يمينه   هو الـدر القاه الى نحونـا اليـم
له عمل الصهبا فى العقل كلما   تلاه امر اوشامه المـاهر القرم
فهذا الذى احيى السماع و اطرب   المحافل لاما احدث الناى والبسم
اساود مسك فى لجين صحائف   لملسوعها تسرى المسرة لا السم

نسينا به كرب الزمان وأحدث السرور من تنصيده عجب الجسم
اشار الى صدق العهود وصحة الوداد وابراج النوى حلها الهدم
اثار اشتيـاقـاً كامناً لمؤيـد وقد حلت الاباط فى بعده الحزم

وله رحمه الله فى مدح بعض امراء الشيعة وكان شاعراً اذا شعر جسد وقد مدحه بقصيدة فأجابه بهذه وذلك فى اوائل سن الشباب :

جادت بسكت الحيا من مائها الحب واستبشرت بالحيا الارضون والحقب
والارض حاكت لها الانواء هاطلـة اثواب وشى حكتها الانجم الشهب
والطير غنت على الافنان من طرب فاهتز من لحنها الاغصان والقضب
والجو هبت بـه ريح الصبـا فغـدا بعطرها تهتـك الاستار والحجب
واكؤس البشر دارت وهى صافيـة على الورى فاحتساها والعجم العرب
والعيش قـد حفـه صفو فعادلـه نضارة وانقضى الطالب الارب
وراية العـدل في الآفاق قـد نشرت والجور احشـاؤه قدمسها الوصب
وعسكر الهم ولى وهو منهزم وموطن الغم منه داثر خرب
والدهـر ذو السن بالمـدح ناطقـة لكامل ذاته الافضال والحسب
موسى ابى الجود قدحاز الكمال كما يحاز بالسبق فـى ميدانـه القصب
الوارث المجد والافضال عن سلف له كمـا في البرايـا يورث النسب
مولى اباد العدا لما الم بهم كأنه مذنشا فى حتفهـم سبب
لم ترم بالسحر آيات له شهـدت بأنه الان فى فلك العلى قطب
وقد حكاه لدى الهيجاء قسورة لكن اظفاره الهندية القضب
بالجود والعدل قد احيى الانام كما يحيى النبات اذا مـا عمت السحب
فالشاة والذئب فى مرعاهما اصطحبا كما به اصطحب الاحسان والادب

ضرباته علة في الحتف كاملة اذا اتت لم تكن البيض واليلب
ان كان موسى له الطاعون معجـزة فهلك اعداه من سطواته العجب
و لم يشاور سوى نفس مؤيدة في امره ان بدا في نفسه الطلب
مولى به الحق امسى و هـو مبتهج لما غدا منه دمع الشرك ينسكب
وقد اتى ساير العافين نائله بذلك الاجر في اخراه يحتسب
به سمت بعلبك الشام وافتخرت اذ لم تحز مثله مصر ولا حلب
لولم يكن ذكره في النطق ماحسنت الفاظه وهي مع ذكر له ضرب
كذاك لولم يكن في بذله ذهب حال الندى في الورى لم يكمل الذهب
مولى له البشر داب والسرور فلا يلغى له ساعة في عمره غضب
في كل قلب له بالحس منزلة فان نأى ظاهراً معنى له كتب
لو رام حاسده يخفي مكارمه أبانها الشكر والاشعار و الخطب
فما عسى أن يفي مثلي بمدحتـه اذ حط فكري بذاك العجز والتعب
لازال في سائر الازمان محتفظاً وعيشه واسع في دهره خصب
ماهب في ساير الاقطار ريح صبا وما تداولت الاقلام والكتب

وكتبه رحمه الله جواباً لبعض معاصريه عن قصيدة ارسل بما اليه من البحر والقافية :

يا خليلي باللطيف الخبير وبود أضحى لكم في ضميري
وبعهد ما بيننا وولا ليس ينسى على ممر الدهور
وبحق الاخا وعيشي هني قد خلا صفوه من التكدير
وزمان زهي بكم اذ نعمنا بلقاكم في ظل صفو السرور
وبوجد اشجى الفؤاد فأمسى ذالهيب ضاهاه حر السعير
خصصا بالثنا اماماً جليلا وخليلا أمسى عديم النظير

حائز السبق جابراً كل كسر في المعاني بحسن لفظ نضير
اروع بارع اديب أريب حازم الرأي في جميع الامور
حاد عما يشينه بعد ان جاد ببذل قضى بشأن خطير
ماجرير وابن الخطيب وقس ان يقاسوا به وما ابن الخبير
بدر علم عفت بهظلام الجهل وكالشمس فضله في الظهور
مفرد في الانام اذجمع الفضل اتفاقاً مع كامل التدبير
لفظه شامل له عدل الجم على قدرة الجليل الكبير
هاك شمس الاسلام نظماو قصدى بث عذرى لكم عن التقصير
لا برحتم في نعمة وسرور ماحدا منشد بركب المسير

وكتب طاب ثراه الى بعض الفضلاء من معاصريه جواب لغز كتب به اليه من هذا البحر والقافية، وقد تقدم شيء في باب الالغاز من نظمه رحمه الله في رسالته الغنى والفقر :

ما لفؤادى مدى بقائى قد صار وقفاً على العناء
وما لجسمى حليف سقم بدابه اليأس من شفائى
و ما لجفنى به سهاد ارعى به انجم السماء
أمن زمان به استطالت على البرايا يد القضاء
ام من ثواء على طلول بها اعتبار لكل رائى
ام من غزال رنى بلحظ اورث قلبى عظيم داء
استغفر الله ليس ضرى يخفى على الناس مع دوائى
كيف وعنى ناىء خليل رقى الى ذروة العلاء
محمد الحبر من سناه في الناس اضحى بلا خفاء
مولى ودادى له حقيق كما له خالصاً ثنائى

به لقد شيد ركن مجد | و زين الفضل بالحياء
وطالما قد زهت معان | مذمنحت منه بالصفاء
فيا اماماً له فؤادى | ربع كما حل فى حشائى
هاك جواباً لحل لغز | من قاصر كامل الولاء
وهو اسم بنت لدى ملك | و فروعه عادم البقاء
له معان تطول شرحاً | ان اهملت احرف الهجاء
فمنه وصف يفتح عين | لحسن عين من الظباء
وساكنوا الخلد فيه اسم | لهم و لكن بضم فاء
و ان تزد فيه كل آن | فاسم بلاد بلا امتراء
هذا ومع حذف عين فعل | فهو مداد يزيد باء
و فيه بحر و فيه حرب | و قلب ذا موجب البلاء

و كتب طاب ثراه لغزاً لبعض فضلاء معاصريه وأرسله اليه وهو فى سليمان:

يا ايها المولى الذى شانه | علا على كل مقام وشان
الكامل الحبر الذى فضله | لديه صعب القول فى الدهر هان
اليك انهى الان ما قدبدا | بخاطرى والقصد منك البيان
ولا تؤاخذنى بذنبى فقد | انبأنى حلمكم بالامان
وها هو اسم جاء فى لفظه | اسمان غير الاصل فيما استبان
وان حذفت السدس فاسم لمن | صاحب خير الخلق فى كل آن
و حذفك السدسين يبقى به | اسم لسلطان قريب الزمان
مقلوب عجز فيه ان رمته | فعل مسماه يريح الجنان
وصدره سل عنه من بعد ان | تفتحه الفكر يرى بالعيان
أحرفه ست و لكن اذا | صحفت ذا الاسم تراها ثمان

وان يكن من بعد فيه خفا — فالعجز ان صحفته العلم حان

وربما تلقاه قد مات من — بعد و من يطلبه الان مان

هذا ولى سدساه واسمى به — سدس وباقيه اتى فى سنان

وبعد ذا فالسدس فى عده — نصف لنصف فيه والأمر بان

افد فلا زلت لنا باقياً — فى نعمة ما نجم الفرقدان

وله طاب ثراه ملغزاً وارسله الى بعض الفضلاء :

يا ايها المولى الذى فضله — لكل من في عصره قد بهر

وغاص فى الدأماء مستخرجاً — بفكره الصافي نفيس الدر

وافتض ابكار المعاني لها — ارشق لفظ رايق قد مهر

اللوذعي الالمعي الذى — كل فنون العلم فيها مهر

وحاز بالسبق رهان العلى — دون سواه بالقضا والقدر

ما اسم ثلاثى اتى لامه — فى الذكر من اسماء بعض السور

مقلوبه غير بعيد اذا — اطلت فيما قدر مزت النظر

فى البشر ثلثاه بلا شبهة — وهكذا البحر كما فى الخبر

وعجزه فى الشرق دوماً كما — فى الغرب اضح الصدر فيما ظهر

هذا وان دمت بياناً له — من جهة يرجا لديها الظفر

فانظر الى تصحيف مقلوبه — فرب صفو جاء بعد الكدر

وان يكن من بعد فيه خفاً — فصحف الاصل تجد ما استتر

فهو اذا فعل اذا رمته — مضارع من فعل قلب البشر

ماضيه قد رق الذى وصله — فيه ذهاب للعنا والضرر

لا زلت ذا عمر طويل ومن — عاداك رغماً عمره ذو قصر

واقتصر على هذا القدر من شعره قدس الله روحه ونور ضريحه حيث ان

هذا الكتاب لايناسبه نقل اكثر من هذا .

وعندى بخط جدي المرحوم المبرور الشيخ حسن قدس الله روحه ماهذا لفظه بعد ذكر مولدولده زين الدين علي: ولد اخوه فخرالدين محمد ابو جعفر وفقهما الله سبحانه لطاعته وهداهما الى الخير وملازمته وأيدهما بالسعدوالاقبال في جميع الامور وجعلني فداهما من كل محذور ضحى يوم الاثنين العاشر من الشهر الشريف شعبان عام ثمانين وتسعمائة ، وقدنظمت هذاالتاريخ عشيةالخميس تاسع شهر رجب عام واحد وثمانين وتسعمائة بمشهد الحسين عليه السلام في هذين البيتين وهما :

احمد ربى اللهاذجاءنى	محمد من فيض نعماه
تاريخه لازال مثل اسمه	بجـوده يسعـده الله

انتهى . فظهر من تاريخ مولده ووفاته ان عمره خمسون سنة وثلاثة أشهر قدس الله تربته واعلى فى عليين رتبته .

[ترجمة الشيخ زين الدين العاملى]

اقول : انياحببت ان اذكر نبذة من احوال اخى وشقيقى وقرة عينى الشيخ الجليل زين الملة والدين عطر الله مرقده ، فقد كان فاضلا ذكياً وعالماً لوذعياً وكاملا رضياً وعابداً تقياً ، اشتغل فى اول امره فى بلادنا على تلامذة ابيه وجده، ثم سافر الى العـراق في أوقات اقامة والده رحمه الله بها ، وكان يتوقـع مـن والده زيادة عما أظهرله من المحبـة وكان اذ ذاك فى سن الشباب ، فسافر الى بلاد العجـم ، ولما قدمها انزلـه المرحـوم المبرور الشيخ بهاء الملـة والدين العاملي قدس الله روحه في منزله واكرمه اكراماً تاماً ، وبقي عنـده مدة طويلة لا يحضـرنى ضبط مقدارها ، وكان في تلك المدة مشتغلا عنده قراءة وسماعـاً

لمصنفاته وغيرها، وكان يقرأ أيضاً عند غيره من الفضلاء فى تلك البلادفي العلوم الرياضية وغيرها.

ولما انتقل الشيخ بهاء الدين رحمه الله فى السنة التي توفى فيهـا والدي طاب ثراهما وهي سنة ثلاثين بعد الألف سافر الى مكة المشرفة واقام بهامشتغلا بالمطالعة ، ثم سافرت اناالى مكةالمشرفة ورجعت في خدمته الى بلادناوقرأت عنده فى الاصول والفقه والهيئة ، ثم سافر مرة ثانية الىبلاد العجم لامراقتضى ذلك ورجع سريعاً الى البلاد ، وكنت مدة فى خدمته أستفيد منه الى أن اتفق سفري الى العراق ، وله فوائد متفرقةعلى بعض الكتب وما رأيت له كتاباًمدوناً وله شعر رائق فى فنون الشعر، فمن شعره قصيدة يرثى بها ولداً كان لي فىجبل عاملة وانتقل الى جوارالله صغير السن واسمه محمد ، وكان ذا فطرة عجيبةوفطنة غريبة تشعران بعدم بقائه فى هذه الدار الفانية ، وكان يحبه حباًشديداً كما كنت أحب أخى رحمه الله ويحبنى وهي قوله :

هو الدهر لا يلفى لديه سرور ... فتأميل صفـو العيش فيه غرور
تصاريفه فىكل يوم وليلـة ... بكاسات حتف فى بنيه تدور
واحداثه تسعى بعين بصيرة ... لهدم مبانى المجد حين تسير
فكم ثل منهاعرش مجدوسؤدد ... وهان لها بين الانام خطيـر
اذامنحت بعدالصباح سرورها ... يكون لها قبـل المساء شرور
سلوني عن الأيام اني بشانها ... لما بلغت مني الخطوب خبير
رمتني برزء فادح جل خطبه ... حقيـق بارسال الدموع جـدير
ففي كبدى نارلتذكار وقعـه ... يؤججها داعى الأسى وسعيـر
هوىنجم ابنىمن مطالع سعده ... فهطال دمعي مـا حييت غزير
وخلت بجهل ان دهرىماملى ... ففاجـأني بالغـدر منه نذير

وغاض سروري منذ غاب محمد على انني في النائبات صبور
هلال دهاه الخسف قبل كماله وغصن طواه الحتف وهو نضير
تقضت لنا اوقات أنس بقربه قصار وما في حسنهن قصور
لبسنا جلابيب الكآبة بعدها فليس لنا حتى الممات سرور
وصرت حليفاً للسهاد وليس لي سوى فرط اشجاني عليه سمير
ولي في دجى ليلي اذا جن انة تقطع افلاذ الحشا وزفير
فليت زماني حين جارت صروفه علي بغير الخطب فيه تجور
وليت الكرى من بعده زار مضجعي عسى روح انسي في المنام يزور
بقلبي وروحي ظاعن جل فقده صغير وان الرزء فيه كبير
خلت من معانيه الربوع واقفرت فلا غرو ان شقت عليه صدور
ثوى مذ ثوى صفو الحياة وطيبها فمما لها حتى النشور نشور
تخذناه للخطب الكبير ذخيرة فأودت بها الايام وهو صغير
ولو أنه يفدى بروحي فديته وماصنتها ان الفداء حقير
وان غاب عن عيني بديع جماله فقلبي لديه حيث كان اسير
على العيش والايام من بعده العفا فكيف يلذ العيش وهو مرير
يعز علينا ان يكون له الثرى وطاءاً وان تعلو عليه صخور
وان تصبح الأوطان منه خلية وتضرب من دوني عليه ستور
وان يتوارى في التراب ولم يكن له من دموعي الهاطلات طهور
سأبكيه ماحنت اليه جوانحي وكاد لذكراه الفؤاد يطير
فكل البكا الا عليه سفاهة وكل الاسى الا عليه لزور
اذا رمت عنه سلوة حال دونها غرام على جيش العزا يغير
سقى جدثاً وارت معانيه تربة وحياه من غادى الغمام مطير

ومن شعره رحمه الله :

ان خنت عهدی ان قلبی لم تخن　　عهد الحبيب وان اطال جفاه
لكنه يبدی السلو تجلداً　　حذراً من اللاحی ويخفی داه

وله قدس الله روحه :

وحق هواك ما حال المعنى　　بحبك عن هواك ولا يحول
ولو قطعت بالهجران قلبی　　واحشائی وافنانی النحول

وله طاب ثراه :

ولما رأينا منزل الحی قد عفا　　وشطت اهاليه واقوت معالمه
لبسنا جلابيب الكآبة والاسی　　واضحی لسان الدمع عنا يكالمه

وله رحمه الله :

أو دعكم ولی جسد نحيل　　وصبر راحل وهوی مقيم
وقلب كلما ذكرت ليالی　　نهبناها بقربكم يهيم

وله رحمه الله :

لا تحسبونا وان شط المزار بنا　　وعاند الدهر فی تفريقنا وقضی
نحول عن منهج الود القديم لكم　　او ينتفی بالتنائی عنكم عوضا

وله رحمه الله :

سقياً لليلة وصلنا من ليله　　ما راعنا فيها حضور رقيب
وأبيح لی فيها المنی حتی بدا　　فی ظلمة الظلما بياض مشيب
كادت لفرط تقاصر من طيبها　　يأتی الصباح بها قبيل غروب
املت لو مدت بكل شيبة　　وسواد أحداق لنا وقلوب

ومن شعره رحمه الله :

كم ذا أواری الجوی والسقم يبديه　　واحبس الدمع والاشواق تجريه

شابت ذوائب آمالي وما نجحت ... وليل هجرك ما شابت نواصيه
ولا هب الوجد في الأحشا يخمده ... رجاالوصال وداعي الوجد يذكيه
رفقاً بقلب المعنى في هواك فما ... أبقيت بالهجر منه مايعانيه
وكيف يقوى على الهجران ذو كبد ... جرت لطول التنائي من اماقيه
صب رماه الهوى في كل مهلكة ... من الاسى حين ناجته دواعيه
ما زال جيش النوى يغزو حشاشته ... حتى طواه الضنا عن عين رائيه
يا من نأى وله في كل جارحة ... مني مقام اذا ما شط يدنيه
هل انت بالقرب بعد اليأس منعطف ... وراجع من لذيذ العيش صافيه
فقد تمادى الجوى فينا ورق لنا ... قاسي قلوب العدا ما نقاسيه
فاستخبر الليل عن وجد اكابده ... فكم نشرت غراماً في دياجيه
وان سمحتم لا جفاني يزور كرى ... فيطرق الطيف منكم في مطاويه
عساه يشفي عليلا بالنوى يئست ... منه الأساة واعياهم تداويه
وحملوا الريح من انفاسكم ارجا ... يكون للروح روحاً في مساريه

وله رحمه الله :

الى كم مقاساة النوى والنوائب ... وتعليل نفس بالاماني الكواذب
وحتى متى سعي على غير طائل ... وقطع الفيافي بالسرى والسباسب
وكم ذا أعاني لوعة بعد لوعة ... وأصحب من هذا الورى غير صاحب
اما آن للايام انجاز بعض ما ... وعدن به من نيل بعض المآرب
فيصبح روض الانس غضاو نجتني ... ثمار الاماني من رياض المطالب
ويسمح بالعتبى زماني وينثني ... به البعض من آمالنا غير خائب
فقد سئمت انضاؤنا السير والسرى ... وكلت عن الشكوى متون النجائب
وكلفت حمل الذل نفساً ابية ... ترى دون ما حملت ضرب القواضب

وفلت عرى صبري الجميل واصبحت ربوع اصطباري مقفرات الجوانب
واصعب ما القى من الدهر هين وان عد كل من جليل المطالب
سوى سطوات البين شلت يمينه وتكديره من كل ورد مشاربي
غداة افترقنا والجفون قريحة وليل النوى والبين مرخي الذوائب
وصحبي وقوف للوداع كأنما يودع كل منهم غير آئب
نحدث عما في القلوب من الجوى بدمع يروي ماحل الترب ساكب
فهل لكئيب شتت البين شمله وابعده عن اهله والحبائب
فأمسى كئيباً نازح الدار باكياً حليف الضنا الف الخطوب النوادب
بشير يطيب الوصل يحيي بقربه صريعاً رماه البين عن قوس صائب
فيا برق يمم سفح لبنان ناشداً لقلبي المعنى بين تلك الملاعب
وقل لهم ذاك الكئيب الذي نأى على رغمه عن حبكم غير راغب
مشوق ولولا ما جنى الدهر لم يكن الى غيركم يلوى عنان الركائب
له جسد مضنى من البين ينطوي ضناه على قلب من الشوق ذائب
يحن اذا ما شام بالشام بارقاً فيصبو ولا يصغي الى قول عاتب
عساك اذا ما ابت تهدي لمسمعي احاديث هاتيك الظبا والربائب
أحاديث اشهى في النفوس على الظما من الري او وصل الحسان الكواعب
الى الله اشكو انه القادر الذي يرجى لدفع الحادثات النوائب
جنايات دهر لايديم لما جد سروراً ولا يصفو به عيش ناجب
ولا نال فيه مطلباً ذو مطالب من الناس الاغاله بالسوالب
فما من مريد وجهه رد خائباً ولا غلقت أبوابه دون طالب

ومن شعره رحمه الله :

هل من معين في الهوى أو مسعد فلقد فنى صبري وباد تجلدي

وتطولت مـدد الفراق فهل يرى | للوصل عند أحبتى من موعد
يا صاحبى قفا بأكناف الصفـا | كرمـاً وعوجـا نحو ذاك المعهـد
وتنشـدا قلبى بهاتيـك الربـا | وتعرضا لظباء ذيـاك النـدى
فلقد سلبت هنـاك أفلاذالحشـا | وضللتعن رشدى هناكومرشدى
واستخبرا رشاى لاى جنـاية | قطعت لجفوته حبـاك توددى
وحرمت رشف برود رائق ريقة | ظلمـاً فواظمأي لذاك المورد
واضاع بالاعراض عهدى والجفا | حتى كـأن وداده لـم يعهد
واستعطفاه على حليف صبـابة | ظـام الى سلسـال مرشفه صدي
يقضي الدجى يرعى النجوم بناظر | مـن فرط لوعتـه عليه مسهد
ما شام برقاً مـن ثنيات الصفا | الا تنفس عـن فؤاد موقـد
حيران ليـس لـه اليه وسيلـة | يطوى الظلوع على عنـاء مجهد
شغلته لوعتـه بحيران الصفـا | عن كل مرتبع سـواه ومجتد
يـا منتهى أملي وغاية مطلبى | ومرامي الاقسى وأسنى مقصدى
هلا أعدت زمـان وصل أن يعـد | يسعف بوصلك من قطعت ويسعد
وطويت مانشر الزمان من النوى | وشفى غليـل عواذلـي والحسد
فشفيت علة مدنف بئس الاسى | من بريه وجفاه أدنى العسود
أنسـاه هجرك انسه وسروره | وحبـاه صدك كل عيش انكد
وقف الغرام به عليك على شفا | تلـف وحـر صبـابة متوقـد
مال حال بعدك عنمواثيق الهوى | لاليـم بعـد أو تغيير مبعـد
ما رام بعدك فى الورى متحسناً | يصبـو اليـه ولا تعشق أغيد
وجد الخلاعة فيك أجمل حلة | ورأى التهتك فيك رأى المهتدى
فطوى عن اللاحى المعنف كشحه | ولوى المسامع عن مقال مفند

الهاه ذكرك عن تذكر قومه وطريف حبك عن هواه المتلد
يرضى الهوان لديك فى طوع الهوى ويروح في أمر الغرام ويغتدى
لولاك لم يكن الغرام له هوى يصبو اليه ولم يهم في معهد
فاذا بخلت بطيب وصلك فاسمحى بكرى يزور به خيالك مرقدى
فلقد جفا بجفاك اجفاني الكرى وتركت أيامى كليل الارمد
لانال منك مرامة من سره يوماً سواك ولا ارتوى من سؤدد
لو كنت املك فيك فاضل مهجة ذهب الغرام بها وهجرك من يدى
لوهبتها لمبشرى بك واجداً اسعافه بقبولها أعلى يد
سقياً لليلتنا التى فزنا بها بمنى النفوس وليتها لم تنفد
بعدت ولما يبق لى من بعدها غير المقال علالة لاتبعدى
كانت لها مقل الزمان غوافلا عنى وسهم البين غير مسدد
فأحالها جور الليالى حسرة بغنى الزمان وحرها لم يبرد

وكتب رحمه الله جواب لغز كتبه اليه بعض أصحابه : أيها المولى الجليل والفاضل النبيل المحيى موات الآداب والمجد ومعاهد الشعراء والكتاب ، قد تشرفت بمطالعة لغزك الرائق وكلامك الفائق ، فوجدته فى اسم أوله من المئات وثالثه من الاحاد وثانيه من العشرات ، ان نصفت زبر أوله ونقصت منه مضعف بيناته ساوي عدد عظام الانسان ، وان اشتد عكس مصحفه الى الاوطان دل على تلاشى احوال السكان ، وان نقصت من ثانيه مضعف ثالثه ساوى مضعف عدد الابراج ، واذا حل مسماه فى ارض ظهرت عليها آثار الابتهاج ، ان أبقى على حاله كان غريباً وان صحف طرفاه يصير فارسياً ، وان اضيف الى مضروب زبر ثالثه فى نفسه بينات أوله ساوى عدد العقول ، وان نصف بينات ثالثه واسقطت منها زبره ساوت عدد الضروب المنتجة عند أهل المعقول ثانيه من حروف الجر

معدود ونصب الفعل بعده ايضاً معهود ، ان ضعف ثانيه وزيد عليه عدد الاشكال حصل عدد مجموع الضروب في الحال ، وان قسمته على ثالثه خرج عدد الصحابة المشهورين عند اهل الجماعات ، وان اضفت الى آخره عقيم ضروب الشكل الأول ساوى عدد القضايا الموجهات مضعف ثالثه يساوي عدد البسائط ومربعه يساوي عدد المركبات ، نصف ثانيه كمال ظهوري لسدسه ، وان اضيف اليه مضعف تاليه كان كما لاشعورياً لخمسه ، وان ربعت أحد طرفيه عادل موانع الصرف ، وان زدت على ذلك بينات الاخر عادل حروف العطف ، وان نقصت من وسطه مكعب طرفه ساواه ، وان قسم الاول على الثاني خرج عدد الحروف المهموسة بلا اشتباه ، مربع ثانيه يساوي مربع ثالثه في العدوان كان التفاوت بينهما فوق الحد ، ان اضعف مربع ثالثه ساوى عدد العوالم وان نصفت زبر وسطه واسقطت منه بينات طرفه كان بقدر أنواع الخيار ، وان زيدت بينات احد طرفيه على الاخر ساوى انواع ترجيح الاخبار ، وان نقصت من مكعب احد طرفيه مضعف بينات الأخر ساوى علاقات المجاز ، وان زيد على احد طرفيه مضروب بينات الاخر فيه ساوى أركان حساب الخطائين ، وان زيد على ذلك سدسه يبلغ مقدار طبقات العين ، مربع أحد طرفيه يساوي ما تجب فيه الزكاة ، وان نقص منه مضعف بينات الاخر يبقى عدد التكبيرات الافتتاحيات ، وان زدت على احد طرفيه عدد الاجناس العالية للحميات ساوى عدد الاشياء التي تحصل بها الزكاة ، ان أسقطت من مضروب ثانيه في ثالثه مضعف بينات اوله وأضفت اليه عقيم ضروب الشكل الثاني عادل حد الزانية والزاني ، وان اسقطت احد حروفه وصحفت الباقي كان امرأ بما يدل على الحزن والكآبة ، وان غيرت التصحيف كان امراً باظهار الوجد والصبابة ، ان صحفت ذلك الاسم كان تاريخاً للعام ، وهذا القدر كاف في ايضاح المقام . اتفق انشاؤه في شهر ذي الحجة

الحرام سنة ١٠٣٠ـ انتهى كلامه اعلى الله مقامه وبلغه في الآخرة مرامه بمحمد وآله صلى الله عليهم .

وله قصيدة مطلعها :

سئمت لفـرط تنقلي البيـداء وشكت لطول ترحلي الانضـاء
ما ان ارى في الدهر غير مودع ولكم لعمرك في الوداع عناء

وهي طويلة ولا يحضرني بقيتها .

وله اخرى مطلعها :

متى يفوز بطيب الوصل مضناكـي وقـد جعلت التجافي من سجاياكي
لانلت منك مرادي في الهوى ابـداً ان أطرب القلب الا طيب ذكـراك
انت المرام وان عزت مطالبنا لديك ليس يروم القلب الاكي
يا مطلبي في الورى ماذا عليك اذا اضفت للحسن يوماً بعض حسناكي

والقصيدة طويلة .

وله رحمه الله اشعار غير ما نقلته مثبتة في اماكنها . وكان مولده سنة ١٠٠٩ تسع الف ولا يحضرني خصوص وقت آخر ، وانتقل الى رحمة الله ورضوانه في اليوم التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ١٠٦٤ اربع وستين بعد الالف وكنت اذ ذاك في مكة المشرفة اجتمعت معه يوم عرفة وبقيت في خدمته الى ذلك اليوم من تلك السنة ، ودفن مع والده في المعلى قدس الله روحه ونور ضريحه وآخر الصحبة الفراق وآخر العمر الموت، نسأل الله حسن الخاتمة بمنه وكرمه.

ولقد احببت ان أنقل قصيدته المخمسة يرثي بها الحسين صلوات الله عليه في هذا الكتاب ، فانها قصيدة جيدة رقيقة ، وهي قوله طاب ثراه :

سلبت لـوعتي لذيذ الرقـاد وكستني ثوب الضنا والسهـاد
ورماني دهري بسهم العناد وغرامي ما ان له من نفاد
كل يوم وليلة في ازديـاد

لی حزن فی کل آن جدیـد و عنـاء یشیب منه الولیـد
و التهاب یذوب منه الحدید قدبکی رحمة لحالی الحسود
و دموع تسح سح الغوادي

لست ابکی لفقد عصر الشباب وتقضی عهد الهوی والتصابی
وصدود الکواعب الا تراب و تنائی الخلیط والاحباب
من سلیمی وزینب وسعـاد

قد نهانی النهی عن التشبیب وادکار الهوی وذکری الحبیب
وتفرقت للاسی والنحیب مداتی زاجراً نذیر المشیب
معلنا بالفنا حیـن ینادي

بل بکائی لاجل خطب جلیـل اضرم الحزن فی فؤاد الخلیـل
ورمی بالعناء قلب البتول و اسال الدموع کل مسیل
وتـردی الهدی ثیاب الحداد

رزء من قد بکت له الفلوات واقشعرت لموته المکرمـات
وهوت من بروجها النیرات و المعالـی لفقده قابـلات
غاب والله ملجأی وعمـادی

فجعة نکست رؤوس الموالـی واستباحت حمی الهدی والجلال
ورمت بالقذی عیون الکمال قد اناخت بخیر صحب وآل
عترة المصطفی واهل الایـادي

یالهـا فجعة و خطباً جسیمـاً اوقعت فی حشا الکلیم کلومـا
وبقلب الامین حزناً مقیماً و اعادت جسم القسیم سقیما
جفنه للاسی حلیف السهاد

یالها فجعة علی الایمان جرعت اهله کؤوس الهوان

وغدا الشرك في اعز مكان　　　ظفرت اهله بنيل الاماني

قائلا قد بلغت اقصى مرادي

لهف نفسي على رهين الحتوف　　　حين امسى نهب القنا و السيوف

ثاوياً جسمه بأرض الطفوف　　　وهو ذو الفضل والمقام المنيف

و سليل الشفيع يوم المعاد

منعوه ورود ماء الفرات　　　وسقوه كأس الفنا والشتات

بعد تقبيل اهله والحماة　　　و احاطت به خيول الطغاة

بمواضي الظبا وسمر الصعاد

فبكت حسرة عيون السماء　　　ما زجات دموعها بدماء

بعدما اظلمت نواحي الفضاء　　　وغدا المجد في اشد عناء

معلناً بالبكاء في كل نادي

و غدا الدين عند ذاك يقول　　　غاب نجم الهدى و حار الدليل

و دهاني خطب فضيع مهول　　　فلدمعي مدى الزمان همول

آه مما جنت علي الاعادي

غاب بدري وخاب مني الرجاء　　　وتناهى الاسى وعز العزاء

برح الحزن بي وزاد العناء　　　فعلى العيش والزمان العفاء

بعد شمس الهدى ونجم الرشاد

آه مما جنت جيوش ابن سعد　　　حين جاءت لهدم اركان مجدي

باذلات في قصدها كل جهد　　　شاهرات بالبغي سيف التعدي

طمعاً في جوايز ابن زياد

قد اراقت دم الهدى و الرسالة　　　عند ما جردت سيوف الضلاله

باياد تسوق سبي الجلالة　　　سلكت بالعمى سبيل الجهاله

و اضاعت سبل النهى والسداد

هتكوا حرمة النبى الكريم　　ورعوا ذمة الدعى اللئيم
فسيصلون حرنار الجحيم　　ويجازون بالعذاب المقيم
يوم حشر الارواح والأجساد

واتوا يطلبون من غير عذر　　بسيوف الضلال ثارات بدر
وشروا الدين والرشادبكفر　　فطووا منهج الهدى بعد نشر
و اعدوا للحشر اخبث زاد

وغدا المهر فى الفلاة يجول　　حاملا حاله يراه النحول
قائلا و الدموع منه تسيل　　زال عزي وفاتنى المأمول
ووهى جانبى وذل قبادي

بعد ماكنت فى مقام الفخار　　صائلا صولة الأسود الضوارى
فسأبكيه بالدموع الغزار　　فى دياجى الظلام والاسحار
جاعلا مدمعى دماء الفؤاد

لهف نفسى لزينب و اساها　　حين جاءت تنعى الحسين أخاها
و تنادي اجدادها واباها　　و هى تذري الدموع لما دهاها
محن قرحت عيون العباد

و احسيناه يا ملاذ العفاة　　وسراج الظلام فى المشكلات
وسليل الكرام والطاهرات　　و امام الهدى و زين الكفاة
ورجايى فى النايبات الشداد

آثما جنى الزمان العنيد　　حين صالت على الموالي العبيد
وغدا السبط وهو فرد وحيد　　قد أحاطت به هناك الجنود
بعد فقد الحماة والأجناد

ادركت ثارها امية منى　　بعد ما غاب نور وجهك عني

ولقد خاب بعد فقدك ظنـي فالى الله اشتكى فرط حزني
والى المصطفى رفيع العماد
وتداعى عند النـزال الرفاق الوداع الوداع حـان الفـراق
وخيول الفنـا عليهم تساق وميـاه الحياة منهـم تراق
بأكف العنـاد في كل وادى
فغدوا بين مثخن بالجـراح وقتيـل بذابلات الرمـاح
وذبيح بماضيـات الصفـاح قد ارقيت بهم دمـا الصلاح
واسيـر يقـاد في الاصفـاد
آه واحسرتـا لذاك الصريع حين أضحى مذملا بالنجيـع
ورموه بكل خطب فضيـع واستباحوا حمى الجناب الرفيع
بالعوالي وبالمواضي الحداد
فبكته الوحـوش والاطيـار وشموس الافاق والاقمـار
وقفـار الفـلاة والامصـار والسمـاوات دمعهـا مدرار
لمصـاب مفتـت الاكبـاد
وبكى عند ذاك جبرائيـل في ملوك السمـاء واسرافيل
وغـدا في العشـا ميكائيـل ولعـرش الاله دمع همول
وتداعت اسى ذرى الاطواد
لو وفت حقـه ذو المعقول لبكتـه مدى الزمان الطويل
وتأست في رزئه بالبتـول طمعاً في رضى الالـه الجليل
وجليل الحيـاء والاصفـاد
وحداني على البكا والنواح حمل تلك الرؤوس فوق الرماح
بعد تقطيعها ببيض الصفاح فاختفى عند ذاك ضوء الصباح
وتردى النهـار ثوب السواد

ورؤوس السراة أمست هدايا تترامى بها نسول البغايا
صيروها ظلماً أمام السبايا من بنات الرسول ازكى البرايا
وكرام الابـاء والأجداد

وعلى الأفق كل يوم جديد ومساء يغشى عيون الرقود
حلة صبغها دماء الشهيد نور عين الهدى سراج الوجود
صفوة الله خيرة العباد

ثم ساقوا سلالة الانبياء من ستور الوقار سوق الاماء
عند ما ضيعوا حقوق الوفاء واذاعوا العقوق بعد الخفاء
وابانوا ضغائن الأحقاد

ثم ساروا بالسبي سبي الجلال من نساء الحسين والأطفال
في اسار الهوان والاذلال حاسرات على ظهور الجمال
باديات لا عين الحساد

يقطعون الفجاج والآكاما ويؤمون في المسير الشاما
والمرامى اضحت بهم تترامى بعد ما جرع الحماة الحماما
وغدوا في مذلة الانقياد

والموالى تساق سوق العبيد في اسار الهوان بين الوغود
فقدت عزها لفقد العميد وبراها السرى وهجر الهجود
ولها مدمع كصوب العهاد

لهف نفسى للطاهرات العذارى من بنات البتول تمسى أسارى
في قيود الهوان تمشي حيارى لو بدت لليهود اوللنصارى
حرمت للاسى لذيذ الرقاد

غابت الاسد فاستباح حماها معشر حاولوا بلوغ مداها

وأرادوا ادراك شاءو علاهـا ضلة مـن عقولهم وسفاهـا
فأضاعوا عهود حفظ الوداد

أيها النادبون هذ الأوان فاندبو من بكتـهم الاكوان
ووحوش القفـار والحيتان والمحـاريب دمعها هتـان
لا يرجى لحزنها من نفاد

وبكتهـم مدارس الايات وفروض الصيام والصلوات
وجليل الصلات والصدقات حيـن أمست لفقدهم عاطلات
من حلاها تسام سوم الكباد

جددوا الحزن كل عاشوراء واندبوا الطيبين اهل الولاء
فلقد جرعوا كؤوس الفنـاء بعـد أن عاينـوا اشد العنـاء
بسيوف الطغاة والأوغاد

كيف ترقى بعد الحسين الدموع ويلذ الكـرى لنا والهجوع
وجناب الحسين ذاك الرفيع قد دهاه من العدى ما يروع
وقضى وهو في الهواجر صادى

كيف لا تهجر العيون المناما وبنات الرسول امست هيامى
في فيافي الفلاة تشكو الأواما فقدت عـزها ثمال الأيامى
وغدت بين حاسد ومعادى

مالها مسعد ولا من يعين دأبها النوح والبكا والحنيـن
نالها بالردى الزمان الخؤون قرحت بالبكاء منها الجفون
تترامى بها أيادى البوادى

لو رأت فاطم البتول بنيها بعد فقدان رهطها وذويها
وطيور الفنا تحوم عليها وسهام المنون تسعى اليها
عن قسي الضلال والالحاد

شغلت بالبكاء والاوصاب عن لذيذالكرى وصافي‌الشراب

واقامت مآتماً للمصاب تضرم النار في فؤاد السحاب

وتبكي عيون كل جماد

شاركوا في‌المصاب خير الانام سيد الرسل والموالي الكرام

فهو في فجعة واوفى هيام تظفروا بالامان يوم الزحام

وتنالوا مراتب الاسعاد

واذكروا ما جرى لآل النبي من جنود الدعي وابن الدعي

فلقد ضيعوا حقوق الوصي واطاعوا الغوى نجل الغوى

وحكوا في صنيعهم قوم عاد

يا هداتي يا ساكني كربلاء والغرى المعطر الارجاء

وبقاع البقيع والزوراء واراضي طوس وسامراء

انتم عدتي ليوم معادي

عبدكم بالولاء زين الدين قد رأى ان حبكم فرض عين

مسرف في‌الذنوب لكن يقيني ان اخلاص ودكم سيقيني

حر نار السعير يوم التنادي

وعليكم مدى الزمام سلامي ماغدت نحوكم ركوب الشئام

وبدا البرق في دياجي الظلام وهمى بالسحاب جفن الغمام

وبدا كوكب بافق بلاد

[ترجمة مؤلف الكتاب]

ورأيت اناذكرشيئاً من مجمل‌احوال هذا الفقير المضيع عمره في‌التضييع والتقصير، الراجي من مولاه‌الكريم الصفح عماجناه والعفو عماكسبت‌جوارحه

في أولاه يوم لاينفع مال ولابنون الا من أتى الله بقلب سليم ، وأن يمن عليه بالخاتمة الحسنة وان يتفضل عليه بتبديل سيئاته بالحسنة انه اكرم مجيب ومن داعيه قريب .

وهو انى لما سافر والدى رحمه الله الى العراق كان عمرى اذ ذاك نحو ست سنين ، ووقع على بلادنا فتور عظيم احترق لنا فيه نحو ألف كتاب ، ثم انتقلنا الى كرك نوح عليه السلام وأقمنا بها مدة ، ثم سافر اخى وسني اذ ذاك نحو اثنتيعشرة سنةالى العراق، وكنتاولا اختلف الىالمكتب واقرأالقرآن، فختمته فيما يقرب سني فيه من تسع سنين ، وكانت والدتى رحمها الله شديدة الرأفة بيوالشفقة علي ، ودائما توصي الذى اقرأ عنده ان لايضربني ولايهينني، وتتفقد احوالى في اليوم مراراً لذلك .

ثم اشتغلت على من كان من تلامذة جدي ووالدى رحمهما الله وغيرهم ، وهم الشيخ الجليل الفاضل الشيخ نجيب الدين قدس الله روحه وأخى الشيخ زين الدين والسيد الاجل السيد نور الدين والشيخ حسين بن الظهير والشيخ محمد الحرفوشي رحمهم الله جميعاً .

ولما سافر أخى عنى كنت مشغولا مع صغرى بعيال ونظام الاملاك المخلفة عن آبائى، ومع هذا كنتاشتغل بما يمكنني مع ذلك، وكتبت هناك كتباًمتعددة وكنت حريصاً على حفظ الكتب التي بقيت .

ثم سافرت الى مكة المشرفة بعد وفاة والدي رحمه الله ، وذلك في سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين بعد الالف وسني اذ ذاك نحو ست عشرة سنة، وكنت أرى من الهى جل شأنه عناية ولطفاً بى مع صغر سني و وحدتي ، واتفق ليفي ذلك السفر أمور لاتخلو من غرابة :

(منها) انا لما سافرنامن دمشقأول منزل كنت راكباً بغلة وتقدمت مع جماعة

في اوائل الحاج وجمالنـا كانـت وراء، وكان لنـا رفيق ومعه عبد صغير هندي وكان معي سكين فوقعت مني واتفـق ان عبد ذلك الرجل نام على ظهر الجمل فوقـع فرأى السكين في ذلك المكان ، فأتى بها الي في المنزل وكان يعرفها وذكر القصة .

انا لماوصلنا الىمكان يسمىمبرك الناقةبينجبلين وهناك معبر ضيق لايمكن فيه المرور الابقطار أو قطارين ، فتقدمت مع بعض الرفاق راكبين بغالا ونزلنـا في مكان ننتظر الى ان يفرغ الحاجمن ذلكالمضيق، فأبطأ ذلك علينا فعزمرفاقنا على التقدم الى بلد يقـال له العلا ، فسرت معهم ونسيت في ذلك المكان بعض الاشياء التي صحبتها في السفر ، ومن قاعدتهم هناك أنه كلما تعدى ذلك المكان جماعة يبركون الجمال الى أن يجتمع جميع الحاج ثم يسيرون ، فاتفق مناخ جمالنا ليلافي ذلكالمكان ولما جاؤا الى المنزل اتوا بما نسيته .

(ومنها) ان الشيخ محمد الحر سلمه الله كان حاجاً تلك السنة وحاج الشام قسمان مقاطرية وشعارة يمشون عن يمين الحاج وشماله ووراءه، فوقـعمنيشيء من آلات السفر في الليل ، فنزل الشيخ محمد يمشي وهو مع الشعارة فلقي ما كان ضاع مني وأتى به الي .

(ومنها) اني لما دخلتمكةالمشرفةسبقت الحاجأنا واثنان راكبين بغالا من عسفان، فلما وصلناالى مكةالمشرفة ذهبتالى الحرم لطوافالعمرة واناوحدي، فدرت اولاحول البيت الحرام حتى عرفت الاماكن المعهودة التي ينبغيمعرفتها وقت الطواف ، ثم أردت ان شرع في الطواف واذا رجل ممن هناك يطوفون الناس جاء لي وقال انااطوفك ، فقلت له انارجل من اهل الشام وسبقت الحاج الشامي وما معي شيء من الدراهم أعطيك اياه ولاعندي شيء سوى ماانا محرم به فان كنت ترضى أن تعلمني بغير شيء والا فـاتركني أطوف لنفسي ، فجعل

ينازعني ويتكلـم بكلام خشن ، فبينمـا نحن فـي ذلك اذ أقبل رجل فجذب ذلك وقال له أتركه يطوف لنفسه انت تريد تعلم هذا الطواف ، هذا وأبوه من قبله يعلمان مائة مثلك الطواف أو قالمعنى هذا اتركه يطوف ، فتركني وطفت كما اردت .

(ومنها) انا لما رجعنا من مكة المشرفة وكان المنزل بدراً وهي ما بين مكة والمدينة، فلماطلع الصبحوكان معيرفيق واحدراكبحماراً، فنزلنافي فسحةبين قطارات الحاج ، فتوضأنا وصليناالصبح وكان معي سيفووضعته حال الصلاة على الارض والحاجماش عنيمين ذلك المكان ويساره، فركبنا ونسيت السيف وكان بيننا وبين المنزل مايقرب من نصف فرسخ، فوصلنا وضربنا الخيمة فخطر ببالي ذلك الوقت السيف ، فقلت لرفيقي تعال نركب ونذهب الى ذلك المكان فان رأينا السيف والا تفرجنا على الحاج ورجعنا ، فقال هذا عبث، قلت اركب معي فركبنا وسرنا حتى وصلنـا الى قريب ذلك المكان فرأيت السيف من بعد مكانه والحاج ماش منالجهتين، فقلتله أسرع بنا لئلا يستبقنا احداليه ،فأسرعنا وأخذنا السيف والناس ينظرون الينا ويتعجبون من ذلك .

واتفق لي مرة أني في أوائل الامر كنت أدرس شرح اللمعة ، فمرت عبارة فيها الصدوقان، فسألنيمن يقرأ الصدوقان منهمافقلت له محمد بن بابويهوأخوه وكان ذلك غلطاً مني ، فرأيت تلك الليلة في المنام جدي المبرور الشهيد الثاني وهو يقول لي ياولدي الصدوقان محمد وابوه .

وكنت سعيت سعياً زائد على ان يرسل الي ما بقي من الكتب في بلادنا ، فما اتفق ذلك على طريق بغداد ، فأرسلت الى مكة وبقيت مدة بسبب انقطـاع الحاج فبذلت لرجل مهما أراد مني اناتي بها وكنت في انتظار خبريأتيني لما قرب مجيء الحاج ، فرأيتليلة في المنام ان رجلا جاء اليومعه طبق وفيهصدر

آدمی مع اضلاعه ، فسألت‌منه ماهذا؟ فقال هذا صدر الشيخ زين الدين جدك، وفي يوم تلك‌الليلة وصل الي خبر بأن ذاك أتى‌بالكتب وكان فيهاكثير بغير جلود وبعضها لحقه تلف من كثرة النقل والتحويل .

ورأيته مرة في المنام وجماعة آخذوه ، فسألت الى اين يأخذونه ؟ فقالوا يريدون قتله ، فقلت قـاتلهم الله ماكفاهم القتل الاول حتى يقتلوه مرة أخرى ، وبعد ايام جاءنى خبر أن اكثر الكتب التى بقيت في البلاد تلفت ونهبت .وكل هذا من كراماته قدس الله روحه .

ومن غريب مااتفق‌لي‌اني لماعزمت على‌السفر من‌اصفهان الى مكة المشرفة بعت بعض كتب كانت عندى‌خفية من غيرأن‌تشتهر ذلك، فجاءنى في اليوم‌الثانى رجل خصي اسمه خواجه التفات وكان من توابع زينب بكم‌بنت الشاه طهماس رحمهما الله ، فقال أريد أن تخبرنى هل بعت شيئـاً من كتبك فى هذه الايام ، فقلت له أخبرنى عن سبب سؤالك حتى اخبرك . فقال : أرسلت الي البكم في هذا الوقت تطلبنى ، فلما ذهبت‌اليها قالت في هذه البلدة رجل اسمه الشيخ‌على من أولادالشيخ زين‌الدين؟ فقلت : نعم.فقالت: رأيت‌هذه الليلة في المنام الشاه عباس وهو يقول‌مامعناه‌ان هذاالرجل يجيء الى بلادناوكنا نطلب اباه فلم يقبلوا أن يجيئوا الى‌عندنا وتصل حاله‌الى أن يبيع كتبه وانتم موجودون ، فلماسمعت منه هذا أخبرته بالواقع وهو أني بعت الكتب من غير اظهار لذلك .

ولما سافرت‌الى‌البلاد المعلومة لامور اقتضت ذلك‌لاعلى‌وجه‌الجبر واكلت من مشتبهاتهاوسلكت غيرما سلكه آبائى رحمهم‌الله‌في ذلك بان‌عني ذلك‌الفيض والصلاح الذى كان في اوائـل السن ، ومن تساوى يومـاه انه لمغبون فكيف بترجيح الاول على الاخر ، فكنت ككركى تصقر فانكسرت رجل الدنيا ورجل الاخرة ، والمرجو من عفو الله وكرمه حسن الخاتمة .

واما توجهت مرة ثانية من تلك البلاد الى مكة المشرفة اتفقت لى أشياء ببركة الحج والزيارة .

(منها) انه بلغنى مابين اصفهان والبصرة أن رجلا من بلادنا مع الحاج قال: انا مسافر الى مكة بقصد أذى فلان في مكة واشاعة أنه كان ببلاد العجم وانه كان يفعل كذا وكذا، فضاق صدري لذلك، فلما كنا ببلد يسمى بالدورق كنت جالساً في الخيمة اذ مرعلي فناديته وقلت له: بلغنى انك قلت كذا وكذا. فقال : نعم وسترى ماأفعل . فقلت : موجب هذا ماهو ؟ فقال كلاماً حاصله : انك ما أعطيتنى شيئاً في اصفهان وانا أريد افعل بك هذا. فقلت : اسأل الله ان يدفع عني شرك ،فلما قام من عندي وذهب الى مكانه حم وبعد أيام قليلة وصل الى البصرة وتوفي بها وكفى الله شره .

ووقع لي نحو ذلك في مكة ومنى من رجلين وكان ذلك لو لم يدفعه الله عنى موجباً لتلف النفس بل ربما سرى الى تلف أنفس ، ودفع الله ذلك ونقل ذلك يحوج الى التطويل ، وكان ذلك من بركة حج بيت الله الحرام .

(ومنها) مااتفق لي في ذلك السفر ، وهو انا لما خرجنا من بغداد متوجهين الى اصفهان كان معنا ثلاث جوارى وحرم غيرهن ، فوصلنا الى منزل يقال له بعقوبا وبه رجل من توابع الحاكم لئيم معاند يأخذ على كل من الجارية والعبد أشرفيين وعلى الجمل أربع عباسيات سوى الاهانة والضرب، فعبرناهناك شطاًوهو جالس على شاطئه، وكلماطلعت امرأة من السفينة ينظر الى يدها ليعلم أنها جارية ام لا فركبنافي السفينة فلماقربنا من الشاطىء جاء اليه رجل بشيء فقام مغضباً وركض وبيده العصا، فخرجنا من السفينة وضربنا الخيمة ووضعنا الجوارى وراء الكجاوات، فأرسل امرأة تتفحص في الخيام وتنظر ، وكنت خارجاً فلما جئت أخبرونى بأن امرأة كشفت طرف الخيمة ورأت جارية واحدة ثم بعد ساعة جاء ذلك الرجل وقال : كم عندكم جارية ؟ قلنا : واحدة ، ثم راح الى خيمة أخرى وفيها امرأة

وعندها عبد فقالت له : ان كنت ادلك على ثلاث جواري ماتأخذ مني شيئاً على عبدي . قال: نعم . قالت له : في تلك الخيمة ـ واشارت الى خيمتنا وارسلت زوجها معه يدله عليها، ولما قلناله عندنا واحدة خفنا ان يظهر الخلاف ويحصل منه اهانة عظيمة، فقلت للجمال: حمل كجاوتين على جمل ونركب مع كل واحدة من حرمنا جارية والايحصل علينا وعليك ضرر عظيم ، فقبل ذلك ووضعناهما مع امرأتين ، فجاء ذاك الرجل مع زوج المرأة فمارأى الا واحدة ، فضرب زوجها ضرباً عنيفاً وذهب الى عندها واخذ العبد وقال : علي تكذبين . فقالت له : قد أركبوها على جمل مع امرأتين وارسلوا الجمل وحده أولا ثم شرعوا في تحميل الباقي ، فغضب وطلب فرسه وركبه وركضه ومر على ذلك الجمل وأعماه الله عنه وسار نحو فرسخ ووصل الى من هناك من القافلة وفتش جميع الخيام فما رأى شيئاً ، فرجع ومر على ذلك الجمل وهو ماش قبل أن يصل الى القافلة مرة أخرى وأعماه الله عنه ، فرجع الى المرأة واخذ العبد وبعد تعب زائد اخذ منها نحو عشرة قروش جريمة حتى اعطاها العبد ، وكانت اماكن الاخذ في كل منزل الى الحدود بغداد وتنفق لنا نحو ذلك ولم نخسر شيئاً بتوفيق الله سبحانه .

ولما وصلنا الى شهربان كانوا يأتون ومعهم امرأة يدخلونها الخيام ، فلما وصلوا الى خيمتنا قالوا هذه اول ماابتدانابها ولم يكن دخلها منهم احد والباقي نحو هذا .

وهذا الحقير مضت اكثر أوقاته في بلاد الغربة مكدر العيش محزون القلب ولم يحصل على شيء سوى الندم ، وكنت مع هذا مشغولا بالمطالعة والبحث والتدريس ولم يكن عندي كتب احتاج اليها ، فكتبت مما احتاج اليه مايزيد عن سبعين كتاباً .

واتفقت لي برهة من الزمان كتبت فيهـا حاشية على شرح اللمعة مجلدين ، وكنت شرعت في شرح على أصول الكافي ظهر منه مجلد الى البياض ولم يتفق تبييض بقية المسودات ، وجمعت هذا الكتاب الذي اكتب فيه الان ، وكتبت كتاباً في الرد على من شنع على علماء الشيعة من المتصوفة الحائدين عن طريق علمائنا وانتصر لملاحدة المتصوفة سميته السهام المارقة من أغراض الزنادقة ، وكتبت رسالة في الرد على ملا محمد امين الاسترابادي وتشنيعه على علمائنـا وتكفيره اياهم من غير مادة له تقتضي معرفة مرادهم وهي في اوراق متفرقة لـم اجمعها بعد ، وحواشي على معالم جدي رحمه الله لم يتفق ترتيبها، وحواشي على من لايحضره الفقيه كذلك ، وكتبت كتاباً جمعت فيه رسائل كثيرة في فنون شتى وفوائد وأشعـاراً وحل احاديث وغير ذلك يقرب من اربعين الف بيت ، ومثله كتاب آخر يقرب من اثنى عشر الف بيت ، ومثله كتاب آخر يقرب من خمسة الالف بيت ومجاميع أخر .

وكان مولدي في شهر ربيع الاول سنة ثلاث عشرة أو أربع عشرة بعد الالف.

وجدتي ام والدتي بنت المرحـوم المحقـق الشيخ علي بن عبد العالـي الكركي قدس الله روحه ، ادركتها وهي طاعنة في السن وانا ابن نحو تسع سنين وقت وفاتها ، وربما قاربت من التسعين فما زاد ، وكانت على غاية من الصلاح والتقوى والعبادة ، أوقاتها مصروفة في تلاوة القرآن والأدعية وغيرها ، رحمها الله تعالى وكانت بي رؤوفة جداً وعلي عطوفة .

ومما شجاني في هذه البلاد وحرم اجفاني لذيذ الرقاد واضرم النـار في احشائي وزاد مع ذل الاغتراب محنتي وحزني وبلائي ، وجرعني غصصا تضيق عن حملها الجبال ويتصرم لها القوى من حيال الاحتيال ، وسقاني كأس مصبرة واظلم ليلتـي بعد ان كانت مقمرة ، وأذوى غصنـي بعد النضارة وأورثني حسرة

تتعنت لهاصم الحجارة وأذاب جليد جلدي واذكى النار في فؤادي و كبدي وشفى في مبغضى وحسدي و كدر مصادري وموارد ي ، فرجعت خائباً من مطالبى ومقاصدي ، وهد القوى منى وكانت ضعيفة فلم يبق منها في الحقيقة الا اسم ، وأعقبنى احوالا كضرب من الجنون لابل هي الجنون، وجرت مدامعى ليلاونهاراً وعشيات وأسحاراً عيوناً من العيون ، فصارت الدموع عيونها العيون والعيون عيونها الدموع ، وحرمت لذة القرار والهجوع ، وجفا أجفانى الوسن وصار حليفى ونديمى الوجد والنوح والحزن، فراق ولد كان قرة عينى وثمرة فؤادى وافلاذ كبدي وسواد ناظري ونتيجة عمري وفذلكة دهري وانيس وحشتي وجليس وحدتي ومسكن فؤادي وذخيرتى من طارفى وتلادي :

ليس ما بى من السقام عجيباً | عجبى من فراقه وبقائى
لو كنت ممن يفتدى لفديته | بسواد عينى بل سواد ضمايري

فارقته فالعين عين بعده والقلب قلب ، فالعين لا يرقى لها غرب كان العين غرب ، ما كنت أحسب انني ابقى وظهري بعد احبابى اجب .

والله ما طلعت شمس ولا غربت | الا وأنت مني قلبى و وسواسى
ولا جلست الى قوم أحدثهم | الا وأنت حديثى بين جلاسى
ولا تنفست محزوناً ولا فرحاً | الا و ذكرك مقرون بأنفاسى
ولاهممت بشرب الماء من عطش | الا رأيت خيالا منك فى الكاس
يا سادتى هل يخطرن ببالكم | من ليس يخطر غيركم في باله
حاشاكم ان تغفلوا عن حال من | هو غافل في حبكم عن حاله
ياكوكباً ما كان أقصر عمره | وكذاك عمر كواكب الاسحار
عجل الخسوف عليه قبل أوانه | فعلاه قبل مظنة الابدار
وهلال أيام مضى لم يكتمل | بدراً ولم يمهل لوقت سرار

ابكيه ثم اقول معتذراً لـه وفقت حيث تركت الام دار
جـاورت اعدائى وجاورربـه شتان بين جواره و جـواري
كان لم يمت حي سواه ولـم تنح على احد الا عليه النوائح

وكان ابتداءالذي بى مجونأفلا تمكن أضحى جنوناً ، وكنت اظن الهوى هيناً فلاقيت منه عذاباً مهيناً ، وكيف لايذهب لبى ويشتعل من نار فراقه كبدي وقلبى ولم أره من أول عمره الى آخره يميل الى لعب أو ينظر الى غير أدب ، لم يرفع طرفه الي اذاكلمنى ويتلجلج لسانه بذلك حتى لا أكاد أفهم ما يريد ، ولم يطلب مني شيئاً بغير واسطة ، وكان منذكان سنه نحو عشر سنين معتاداًلقيام الليل وصلاته وينبه النائمين للصلاة ، ويحيى جميع ليالي شهر رمضان بالعبادة والتلاوة والدعاء، ولا يشكو الى احدمع كثرة عياله وتقتيري عليه في الجملة في الخرج ليعتاد القناعة ، وهذا مما اذا تذكرته كدت اذوب ندماً واسفاً ، ان جلس مع أحد لم يبتده بالكلام حياء وحجاباً ، عمر نحواً من اثنتين وعشرين سنـة وقرأ في هذه المدة القصيرةمن الفقه علي الالفية ومختصرالنافع والشرائع وكتبهما بخطه وشرح اللمعة وكتب حواشيه التى كتبتها عليه مفردة ومدونة ، ومن النحو شرح الاجرومية وشرح القطر وشرح الفيـة ابن مالك وكتبهما بخطه ، وقـرأ مغنى اللبيب على غيري ، وقرأ علي من الحديث من لا يحضـره الفقيه بتمامـه وكتب حواشيه التي علقتها عليه وسمع طرفاً من التهذيب، وقرأ علي من الرجال الخلاصة وكتاب الدراية وكتبهما بخطه ومعالم الدين بعضها عندى وبُعضهاعند غيري وشرح الشمسية ومختصر التلخيص واكثر المطول وشرح التجريدوخلاصة الحساب ورسائل اخرى في الحساب وتشريح الافلاك وطرفاً من شرح الجغميني في الهيئة وقرأ اكثر تحرير اقليدس وكتبه بخط حسن وكان يثبت اشكاله مـن أول مرة ، وشرع في تفسير القاضي مع كتابته ، وقـرأ حاشية الخطائي ووصـل

في حسن الخط الى مرتبة عالية ، وكان يجدول الكتاب من غير معلم ويجلده من غير معلم ، فاذا رأيته اقول له يا ولدي لاي شيء تخرج هذا الخرج على هـذا فيقول انا جلدته وجدولته ، ورآني اعمل وقت ساعة فتعبت في تصحيفها فرأيته عمل ساعـة وساعتين وثلاثاً واربعاً وثمانياً ، وكان اذا رأى شيئاً هيأ اسبـاب عمله وعمله .

ولما كان ابن نحو ثمان سنين سألني فقال : الولد قبل البلوغ يدخل الجنة؟ قلت : نعم. فقال : ادع الله أن يميتني وانا صغير لادخل الجنة. قلت له : والكبير اذا كان صالحاً يدخل الجنة ايضاً .

ووصل الى هذا السن ولم يجتر ان يسألني في اثناء الدرس حياء ، لكنني كنت اذا رأيت وجهه يتقبض عند التقرير أراجع المسألة فأرى اني قررتها على غير وجهها او انه لم يفهمها فأعيد تقريرها على غير ذلك الوجه أو عليه مرة اخرى فاذا فهمها تهلل وجهه .

وكنت أظن اولا أن قلة كلامه عياً عن الكلام حتى اذا شرع في قراءة درس أو مقابلة كان لسانه امضى من السيف القاطع لم أسمع منه غيبة لاحـد ، وكان يتألم مما يدخل الينا من وجـوه المعاش ، واذا أردت ان اراه في ليالـي شهر رمضان وسمع صوتي يرفع كتابه وقرآنه وسجادته ، فاذا دخلت عليه أقول له يا ولدي هذه ليالي عبادة وتلاوة وانت تجلس هكذا فينكس رأسه حياء ولايجيبني ثم تخبرني زوجته بعد انه هكذا يفعل .

رزقه الله اولا ذكراً ، وتوفي وهو ابن ايام وكنت ابكي عليه بكاء كثيراً وهو قليل البكاء يظهر عليه أثر الرضا بحكم الله ، ووهبه الله سبحانه بعده ثلاث بنات وكلما جاءت واحدة يظهر منه البشر ويسلي زوجته بأن ثوابنا صار اكثر ان طلبت احداهن منه شيئاً اورآها محتاجة اليه قام مسرعاً وذهب الى السوق واتى

به ، لم يطلب مني ركوب دابة قط مع وجودها وعدم احتياجي اليها حياء مني، ولا طلب خرجه المقرر الا بالارسال مع جارية أو ولد صغير . وكنت اذا أوصيته ان لا يسرف يسكت وان اجابني يقول انت عندك عيال وعندي عيال فقس هذا على هذا فأنظر فاذا هو أقل مما ذكر، وغير ذلك مما لو عددته من صفاته الحميدة لطال.

ولما آن ان ينتقل الى جوار الله سبحانه ورضوانه ذكر لي أنه يريد زيارة الرضا عليه السلام فقلت له: انا لا أطيق مفارقتك وانشاء الله أسافر معك في وقت آخر ، فقال لي بعد هذا : قد تفألت في القرآن فظهرت هذه الاية « فلن أبرح الارض حتى يأذن لى ابى او يحكم الله لى وهو خير الحاكمين »[1] فقلت له : لا آذن لك فى هذا الوقت خوفاً عليك ، وبعد ايام قليلة مرض وبقى ثمانية ايام واختار له ربه دار البقاء، فحكم الله سبحانه له بارساله الى المشهد المقدس وبقيت حسرته في قلبي ما دمت حياً ، فانا لله وانا اليه راجعون، وارجو من كرمه ان يعوضني صبراً جميلا واجراً جزيلا .

وبعد مدة رآه ابن عمه في المنام وانه جاء الى بيتهم ودق الباب قال : فخرجت اليه فرأيته راكباً فرساً حسناً، فقلت له ادخل فقال الان بيوتكم لا تعجبني وأنا فى بيوت من اللؤلؤ والجوهر، ولكن جئت أخبركم ان عندى كتاباً عارية لرجل اسمه ملا افضل فاني لم اوص به ، وعندي ستة عشر هزاراً في صندوقي، فأرسلت من فتح الصندوق واذا فيه كتاب الرجل المذكور وستة عشر هزاراً ، وهذا دال على صحة المنام .

كان مولده في آخر ساعة من نهار الثلاثاء ثامن عشر ذي الحجة سنة ست وخمسين بعد الألف ، ووفاته في الحادى والعشرين أو الثانى والعشرين من ذى الحجة سنة ثمان وسبعين والف ، واسمه حسين .

---

١) سورة يوسف : ٨٠ .

وكان له اخ اسمه محمد توفي قبلـه بنحو سنتين وسنه نحو ثمان سنين ، وكان زكياً فطناً اختار الله له دار البقاء ، فجاءت هذه الحسرة فخيمت على تلك.

فراق اتى فى اثر هجر وما اذى — بأوجع من كلـم اصاب على كلـم
حالت لفقدانهم أيامنا فغدت — سـواداً وكانت بهـم بيضاً ليالينـا
ان الزمان الذي قد كان يضحكنا — بقربهم صار بالتفريق يبكينا

والله المستعان، والمرجو من كرمه ان يمن على هذا الضعيف بحسن الخاتمة والصبر على هذه المصائب والاجر عليها .

ولقد كنت فى اوائل عمري اتعاطى نظم الشعر ، وكنت كلما نظمت شيئاً من قصيدة وغيرها تطلب نفسى ما يكون أعلى طبقة من ذلك النظم ، وكنت لذلك لا أثبت ما نظمته وبقي الان فى خاطرى بعض أبيات أثبت منها ما يحضرنى فى وقت الكتابة ليكون تذكرة ، فمنه من قصيدة رثيت بها ولدي محمد الاول الذي رثاه أخى طاب ثراه وكان سنه نحو أربع سنين وكانت تظهر منه امور غريبة نقل لى بعضها وانا اذ ذاك غائب عنه ، وهذا مما كان سبباً لتأثر اخى رحمه الله واحتراقه عليه فرثاه بما تقدم ، وأول قصيدتى :

عرفت الليالى غثهـا وسمينها — فسيان عندي سهلها وحزونهـا
فلا بروه يرجا جريح سهامها — ولا داؤه يلغى دواه طعينهـا
اذا وهبت ثم دالسرور شمالها — على غلـط غالتـه عمداً يمينهـا

(منها) :

قوافل احزان فؤادي مناخهـا — وانهار أشجان عيونى عيونهـا
تقر عيون الشامتين فلم يكـن — لنفسى شيء فوق ما بى يهينهـا

(ومنها) :

ومالم خشف لم تجد طول عمرها — سواه ولـم تظفره نجل بعينهـا

اضربه جرا الهجر فأصبحت | على حاله فيها يجن جنونها
فلاح لها ماء فلما تعرضت | له نفسه وافته ثم منونها
بأعظم منى لوعة يوم خبروا | بأنك فى تلك الفلاة دفينها
فيا ليت سمعى صم قبل سماعه | ويا ليت نفسى قبله حان حينها
فقد كان للعين القريحة نورها | فمذ غاب عنها ساورتها شؤونها

هذا ما حضرنى منها وقت الكتابة وهى طويلة . ومن مرثية له ايضاً ذهب من خاطرى اكثرها أولها :

ما ان تعرض يوم ذر شارقه | الا واودت بأحشائى طوارقه
ولا تذكرت اياماً بكم سلفت | عراه الا ودمع العين سابقه
شلت يمين النوى والبعد كم رشقت | قلبى على غير ما ذنب رواشقه
وكم اجرع منه للاسى غصصاً | وكم تخالس آمالى بوائقه
لو كان ما بى بلبنان لاوهنه | حاشاه الا انفصمت منه وثائقه
فلى باحشائه قلب عدمت له | عقلى وطود اصطبارى خرشاهقه

(منها) :

لاتحسبوا رغبة عنكم اقامته | وانما زمن عاقت عوائقه

ومن قصيدة رثيت بها اخي الشيخ زين الملة والدين قدس الله روحه يحضرنى منها هذا :

ألا يانسيما قاصداً أرض لبنان | تحمل رعاك الله من بعض اشجانى
وقف وقفة ما بين اهلى وجيرتى | وقومى واخوانى وتربى وخلانى
وبث لديهم لوعتى وصبابتى | وحزنى على من كان عينى وانسانى
و قل لهم ان الغريبين قد قضى | عظيمهما والحزن قد اسر الثانى
وحيداً كئيباً لا خليل يعينه | بعبرة ذى وجد وانة لهفان

و قل لربوع أقفرت ومنازل عفت وخلت من خير اهـل وسكان
مضى اهل ذاك العلم والفضل والتقى وزعزع ركن اى ركن لايمان
فتى كان يخشى الله سراً وجهرة ويعبده عن محض علم وعرفان

ومما نظمته فى ايام الشباب :

لو تحمل بعض مالقيت الصم من فرقتكم عفت وزال الرسم
أو بث لكم قليل وجدى، أحد ما ادرك بعض ما يقول الوهم

ومما نظمته :

يا من لفراقه طغى بلبالى حبيك سواه لم يكن فى بالى
لو مثل شخصى لك من شاهدنى ما امكنه سوى رميم بالى

ولما توفى مرزا حبيب الله رحمه الله نظمت تاريخاً لوفاته ولنصب ولديه :

و فى حبيب الله امر حبيبه فمضى اليه وامره محمود
فبكته أندية المكارم و العلى ولبسن ثوب الحزن وهو جديد
قد كان للايتام والضعفا ابأ ولكل عان عيشه مجهود
فلفقده قد جاء تاريخاً اب مات الحيا لمماته والجود
لكن بحمد الله خلف بعده شبلين جدهما اعز سعيد
فكلاهما علمان زاد علاهما تاريخ كل ظله الممدود
فلتهدأ الزفرات وليكن البكاء فرحاً وتختال العلى وتميد
فالجود حى و المكارم غضة والعيش طلق والزمان وليد

ولما سافرنا الى العراق صحبنا بعض من اقتضى الحال مدحه بهذه الابيات:

هواي وشوقى لا لنعم ولا سعدى ولكن لمن حاز المكارم والمجدا
همام نسينا عنده ذكر حاتم و معن وقس فى الفصاحة ان عدا
كريم سخى اريحى سميدع سما فى ذرى العليا دون الورى فردا
اذا ما تثنى السمهري بكفه رايت بروقاً لا تطيق لها عدا

حوى الجود كلما بل هو الجود نفسه | و أدرك شأو المكرمات وما صدا
وان وردت اسيافه جيد ضده | دوين اذا الاسياف لم تستطع وردا
وتلقاه حراً في الكريهة والندى | وفي خدمة الأضياف تحسبه عبدا
فها بعض أبيات عجالة وقتها | وان قرت الأضعان اسبحك القصدا
مدحتك تأكيداً لصدق مودتي | لديك ولا ابغى عطاء ولا رفدا

وكتبت الى آخر في ذلك السفر :

اذا قيل لي اين السماحة والندى | وربع المعالي قلت يحيى بن هاشم
فتى حسنت اخلاقـه وصفاته | الى أن رقى أوج العلى والمكارم
ولا عيب فيه غيـر أن قبابه | اذا ما أقيمت أمهـا كل قادم
فلا زالت الا مال منقادة له | ولا برحـت أيامه كالمواسم

ولما من الله تعالى بولدي محمد الاول نظمت له تاريخاً :

قد جاد مـولاى على عبده | بعبده والله نعم الجـواد
محمد لازال مثـل اسمه | محمداً من فضل رب العباد
تاريخه اسأل مـولاى أن | يسلك به سبل الهدى والرشاد

ولما قرب رحيلنا من دمشق الى العراق كتبت كتابة ومن جملتها هذه الابيات:

باق على الود وان شطت | الـدار به أو بعد العهـد
صب لقاكم منتهى قصـده | انى وقـد اتلفـه البعـد
سميـره اشجـانه والبكا | ودأبه الاحـزان والوجـد
يرجو من الله اجتماعاً بكم | وهو المنى والسؤل والقصد

ولي قصيدة مطلعها :

خلى من البلوى فتى لم يفارق | فكيف وقد شابت عليه مفارقي
وناج من الشكوى امرألا يهيجه | ترنم طيـر أو تألـق بارق

ومما نظمته :

يا سادة جسمي نأى عنهم ... رغماً وقلبي عندهم باقي
اني وان دهري اساء واجترى ... بشت ملمـوم واخلاق
وجدي وجدي وهواي الهوى ... فيكم وميثاقي وميثاقي
سلاف تذكاركم احتسي ... ممزوجة مـن دم آماقي

ويحضرني الان مطلع قصيدة :

يادهر سؤلي الردى أبدي ... كم ذا بغدري تبذل الجهدا
لم تبق لي خـلا استريه ... وتركتني بين الملا فردا
فرقت شملا كان مجتمعاً ... وتبت وصلا كان مشتـدا

وكتب الي الشيخ الاجل شيخنا الشيخ محمد الحرفوشي رحمه الله بهذه القصيدة من دمشق الشام الى جبع يهنيني بالولد المقدم ذكره وهو محمد الأول :

هوا مقلتي انزارني طيفكم اغفا ... وكيف يزور الطيف مشبهه وصفا
نآى اصطباري منذ بنتم وصحتي ... فلا غلتي تروى ولا علتي تشفى
ترحل قلبي معكـم فتعطفـوا ... عليه فقد زاد الغرام به ضعفـا
وقد كنت ارجو بعده عن جوانحي ... فلمـا نأى عنى تذكرته الغـا
وفي موقف التوديع ابصرت حالة ... يرى دونها حاشاك اهل الهوى حتفا
فمن كبد حرى ودمع مرقرق ... حذاراً من الواشي ومن مهجة تلقى
وماانس لاانس الزمان الذي بكم ... سرت أنيق التفريق تستبق الطرقا
ومنكم على الاكوار كل محجب ... يفوق المهاطر فأو ريح الصبا لطفا
يحرك من داء الهوى كل ساكن ... ويضـرم ناراً للصبـابة لا تطفى
فلا در در البين كم بت غربه ... على غرة حبل الوصال وما انكفا
واهاً لايام مضيـن حميـدة ... قطفنا بها اللذات يانعة قطفـا

ومعهد انس ضم شملي بغادة ... رشيقة قد تودع الأزر الحقفا
مهفهفة الأعطاف مالت من الصبى ... كما مال نشوان حسا قرقفاً صرفا
تضوع اذا فاهت عنه او مابهـا ... عبير وتولى الشمس اذتنجلي كسفا
عقيلة حي لو تراءت لراهب ... تردى رداء النسك يطلب الزلفى
لاصباه منهـا نظـرة اثر نظرة ... وحل به ما لا يطيـق له صرفا
ولكن من يهوى الدمى يتخذ له ... مـلابس سامت لابسيها بها خسفا
سأصرفت نفسى عن غرام مبرح ... وامنع طرفي ان يرى عاده وطغى
وارحل عن دار بها الضيم لازب ... واضرب وجه الارض معتسفاً عسفا
واطوى ببنت الارجية مفـرداً ... موامي لا تخفى عليها وقد تخفى
الى ماجد فرد الزمان مهـذب ... كريم غـدا دون الانام لنا كهفا
همام سري اريحـي سميدع ... جواد المعتل الرجا صاح قد أشفى
امام أشاد الفضل بعـد دروسه ... وهذب ما استعصى على الفكر واستخفى
عليم بما يأتي يكـاد بفكره ... يرفع عن مكنون غيب له سجفا
له منطق ماء الحجى منه صيب ... وافيته للوافدين غدت وقفـا
متى ماعلت في الطرس منه أنامل ... اتت در رفى النطق يرصفها رصفا
ترفع قدراً أن تحاط صفـاته ... ولو ملا الكتاب في وصفه الصحفا
ويزداد ما ازداد ارتقا تواضعاً ... وهاتيـك منه شيمة أبداً تلفى
فياابن الاولى شادوا المعالي وارتقوا ... الى ذروة المجدالتي اعجزت وصفا
ويا ابن الاولى حلو مفارق دهرهم ... بما اصطفوه من ما أثرم عطفا
تواصوا بما ينفي الدنية عنهم ... ومافيه كسب الحمد عن سلف خلفا
هم بيت مجد لم يجد فيه منشد الزمان ... على طول المدى أبداً زحفا
هم السابقون الاولون الى العلى ... بعزمة صدق غادرت ذا العلى خلفا

هم كرعوا من منهل الفضل وارتووا … وهم عمروا ربع الكمال الذي عفى
هم القوم سحت من بطون اكفهم … مياه العطايا حين هزوا لها عطفا
هم بذلوا في طاعة الله انفساً … أبت كل يفنى وما ذكره يفنى
هم كشفوا عن وجه كل خفية … نقاب التباس عنه أعيى الورى كشفا
تهن بهم يا أكرم الناس محتداً … واوفرهم فضلا واسمحهم كفا
ولا زلت مسروراً بمولودك الذى … بدا غرة في جبهة المجد مستصفى
أهل فواقي البشر عند ولادة … ولاح محياه الذى احرز الظرفا
وأشرق شمس الفضل منه بطلعة … بها اليمن والاقبال حين بدا احتفا
تفألت اذ قالوا تسمى محمداً … بحمد الورى اياه في الجهر والاخفا
ودام لك العز المقيم بماجد … شقيقك فرد الدهر ظل الورى الاضفى
عماد البرايا معدن العلم والحجى … مؤمل من رجى وكان من استكفى
متى تأته تلمم به تلف واحداً … من الناس ساوى في عزيمته ألفا
هصور يخاف الدهر سطوة بأسه … لذلك مهما رام منه له وفى
ويطبع من آرائه ان عرا الورى … صروف سيوفاً تذهب الخطب والصرفا
جرى في العلى طلقا تقصر دونه … بنو عصره حتى استكانوا له ضعفا
ودونكها بكراً اليك زففتها … تجرر ذيل الفخر في سعيها زفا
اتتك على بعد المزار ضئيلة … على مهل تسعى وما شمخت أنفا
حوت من جميل المدح أفضل حلية … وجانست الافواه والردف والاكفا
يلذ بها سمع الكرام وربما … تمنوا بأن صيغت فكانت لهم شنفا
ولولاك لم يسمح بها خاطرى الذى … اليه صروف الدهر قد أقبلت زحفا
ودم حاوى الذكر الجميل مسدداً … مرفه بال عيشك الارغد الاصفى
وعش سالماً ماجاد روضاً غمائم … وماسجعت ورقاء قد ذكرت ألفا

وكتب رحمه الله .

وارتجالا تاريخه جاء دوما ... هو في السعد والسرور المقيم

وبخط جدي المبرور الحسن ابي منصور رحمه الله ماصورته : ومن قصيدة للفاضل السيد رحمت الله النجفي سلمه الله يرثي بها والدي رحمه الله أولها .

طرق المسامع طارق لا يسمع ... فالقلب من تسماعه متوجع
والروح تزهق لاتطيق سماعه ... والنفس من انفاسها تتقطع
ذابت اسى فالدمع من ذوبانها ... هام يسح كمزنة لا تقلع
نعى الامام العالم الحبر الذى ... بعلومه سمت الشريعة مهيع
رب التقى كنز الحجى علم الهدى ... لمن اهتدى والمقتدى المتورع
يا ايها الناعى رويداً انما ... بهجاً تذيب اسحر وقلباً تفجع
يا يومه ما كنت الا علقماً ... يا يومه انت القبيح الاشنع

منها :

لله ذر أما اجل مصابه ... ومصيبة منها المصايب تخشع
جلت فجل بها المصاب وانها ... نار الغضا حنيت عليها الاضلع
طوراً تبوخ وفى الضمير دخانها ... يرقى وطوراً تستشب فتلدغ

ومنها :

اشبيهنى اعنى التى فى ايكها ... بين الحمائم في الغباهب تسجع
نوجى فقد هيجت حزناً كامناً ... وصدعت قلباً كان لا يتصدع
ما نحن ياورقاه في حال سوا ... في الحزن بل حزني اجل واوسع

ومنها :

للدين والدنيا انوح وانما ... نحتى على الدنيا فخطبى اقضع
يا ظاعناً متزملا بدمائه ... امسى لكامنات المنية يجرع

لهفى عليك وحسرتي وتاسفى هـذا لهـذا تـابع ومشيـع
لهفي عليك وقد غدوت مكبلا بـالقيد لاحـام ولا مستشفـع
ذلا تقاد وانت عند ذوى النهى حقـاً اعز ملوكهـا والارفع
ما للشوامخ لاتمـور بأرضهـا غضبـاً ومـا للشهب لا تنقشع
مستعظم مور الجبال لفقد زين الدين لابـل سيخهـا متوقـع
يـا أيها الحبر الجليل ومن له الفضل الجزيل ووصله لايقطع
يـا ايهـا العلم الذى بظهوره اهـل الفضايل تعتفيه وتبتشع
مـا ضرك الاعدا حقـالا ولا ماحاولوا من ذى الجناية ينجع
راموا خمودك حيث كنت عليهم نـاراً تاجج نورهـا يتشعشع
انى وقد احييت رسماً طامساً من ديـن احمد فهو بعدك مشرع
نم لاجناح عليك في بحبوحة من جنة المأوى شذا يتضوع

ومنها :

وانعم فأنت لدى الاله منعم حي و من الطافه متمتع
أسر فى خطب اصابك اذبه حزت الشهادةأم لفقدك أجزع
ياللرجال لقد ضنيت تلهفاً وجداًو لست ارى التلهف ينفع

ومنها :

هل عارف ما حيله المضنى اذا جد العزام به وماذا يصنع
لله أى معظم قد صغروا أوذى حفاظ حقه قد ضيعوا
ما كان ظنى والظنون كثيرة ان الردى لك عن قريب يصرع
ما كان أخوفنى عليك من الردى واليوم قلبى آمن لا يفزع
قد كنت آمل ان دهرى يرعوى بعد الشموس وشملنا يتجمع

ومنها :

فاليوم قد خاب الرجا وتنغصت لذات عيشي حيث فات المطمع
او كنت ذا قبر يزار ودونه بيض المواضي والعوالي شرع
لقصدته ولثمت ترب ضريحه وقطعت بيدا لاتكاد تقطع
هذا قليل من عبيد مودة والحر يرضى بالقليل ويقنع

وبخطه ايضاً والسيد عبد النجفي سلمه‌الله يرثي والدي رحمه الله .

لقد هوى من سما العلم والحكم نجم الهدى فبم التدليح في الظلم
توى الامام الذى بث العلوم كما بث النوال بيوم الجود والكرم
آراه مشرقة في كل شارقة كالشمس تأتي على الاوهاد والاكم
ذا كعبة الفضل والطلاب عاكفة به عطوف حجيج الله بالحرم
ألفاظه كنسيم الروض في لطف اولا كما ضمه اوحنت على علم
كنز من العلم ينموحين تنفقه فكم لبيب به اثرى من العدم
اذا اليراع نظاه يوم معظلة رأيت معنى أسود الغاب في الاجم
وان ترى حمرة في الرمح يوم وغى فانها خجلة من مرهف القلم
لزمت يا دهر كم افنيت من عدد وكم نقضت بناء غير منهدم
وكم صرعت قروناً غير ضارعة وكم فللت شيئاً صمصامة خدم
وكم رفعت مضافاً للهوان كما خفضت كل لبيب مفرد علم

|حديث صلاة الرسول الى القبلتين|

ومن ذلك ماروا‌ه الصدوق رضى الله عنه في الفقيه قال صلى رسول الله صلى الله عليه وآله الى بيت المقدس بعد النبوة ثلاث عشر سنة بمكة وتسعة عشر شهراً بالمدينة ، ثم عيرته اليهود فقالوا له انك تابع لقبلتنا، فاغتم غماشديداً، فلما كان في بعض الليل خرج عليه السلام يقلب وجهه في آفاق السماء، فلما أصبح صلى الغداة،

فلما صلى من الظهر ركعتين جاءه جبرئيل عليه السلام فقـال له «قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام »[1] الاية ، ثم أخذ بيدالنبي صلى الله عليه وآله فحول وجهه الى الكعبة وحول من خلفه وجوههم حتى قام الرجـال مقام النساء والنساء مقام الرجـال ، فكان أول صلاته الى البيت المقدس وآخرها الى الكعبة ـ الحديث .

اقول : محل الاشكال في هذا الحديث قوله « حتى قام الرجال مقام النساء والنساء مقام الرجال » ، والمعنى ـ والله أعلم ـ انه لما كان بيت المقدس الى جهة الشمـال والكعبة الى جهة الجنوب كان مقام الرجال أولا أقرب الى بيت المقدس الذي كان قبلة ، ومقام النساء أبعد حيث ان الرجـال يتقدمون النساء ، فلما حول عليه السلام وجهه حولوا وجوههم مع انتقالهم الى خلفه فصار الرجال مقامهم أبعد من مقام النساء باعتبار القبلة الاولى ومقام النساء اقرب من مقام الرجال باعتبارها ايضاً .

فان قلت : ماالذي دل على ماذكرت من الانتقال مع التحويل .

قلت: دل عليه قوله « حتى قام الرجال مقام النساء والنساء مقام الرجال» ، ومن المعلوم المقرر تقدم الرجال على النساء وعدم جواز تقدم المأمومين على الامام.

وروى محمد بن يعقوب رضي الله عنه بسنده عن الحلبي عن ابي عبدالله عليه السلام قال : سألته هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي الى بيت المقدس ؟ قال : نعم . فقلت : كان يجعل الكعبة خلف ظهره ؟ فقال: أما اذا كان بمكة فلا وأما اذا هاجر الى المدينة فنعم حتى حول الى الكعبة . فهذا الحديث دال على كون بيت المقدس مقابلا للكعبة .

هذا كله اذا كانت صلاتـه عليه السلام في وسـط المسجد بحيث يبقى مع

---

١) سورة البقرة . ١٤٤ .

التحويل مكان تقف خلفه الرجال والنساء ، فلو كانت قريبة من طرف المسجد بحيث لو تحول من غير انتقال من موضعه لم يبق مكان للرجال والنساء خلفه كان المعنى انه لما حوله انتقل من مكانه الذى كان به متوجهاً الى الكعبة فصف الرجال خلفه والنساء خلف الرجال ، فصار مكان الرجال للنساء ومكان النساء للرجال ، كما اذا كان انتقاله الى ماوراء صف النساء فصار النساء مكانهن مكاناً للرجال وعكسه لتقدم الرجال عليهن .

وهذا الوجه اظهر من المقام ، وانتقاله عليه السلام يظهر من انتقالهم وقيام كل مقام الا خر . والله اعلم .

[نبذة من باب الاستخارة]

ومن ذلك نبذة أحببت نقلها من باب الاستخارة في القرآن بعد الجلالات : أتاني رجل لا اعرفه ، فخرجت اليه فقال أريد استخارة ، فظهرت هذه الاية « ياابراهيم اعرض عن هذا »[1] فسألته بعد ذلك عن اسمه فقال اسمى ابراهيم .

وطلب منى آخر استخارة في القرآن الكريم ، فظهرت هذه « وما أنت علينا بعزيز »[2] فسألنى عن الاية فأخبرته بها فتبسم وتعجب، فقلت له : لاي شيء تفعل ذلك ؟ فقال: الاستخارة على رجل اسمه عزيز استخرت الله ان أجعله وكيلا على مايتعلق بى .

وكان رجل من الاعيان يطلب منى الاستخارة مكررا ويرسل رقعة ويطلب الجواب بأنها جيدة أو غير جيدة ، فكنت اكتب له ذلك ، فأرسل يوماً يريد استخارة وكتب انى اريد ان تكتب لي الاية التى تظهر وترسلها مع الرسول ،

١) سورة هود : ٧٦ .

٢) سورة هود : ٩١ .

فظهر قوله تعالى « وما كان لرسول ان يأتي بآية الاباذن الله »[1].

وجاء الي رجل واراد مني استخارة على ولاية يريد السلطان ان يوليه اياها ، فقلت له : انا لااستخير على أمر غير مشروع . فقال : انا خائف من تلف النفس لولم أقبل ، فظهر قوله تعالى « وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط »[2]

واستخار رجل على التزويج فظهر قوله تعالى « وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً »[3].

وظهرت غير مرة هذه الاية في امر التزويج «كلتا الجنتين آتت اكلهاولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً * وكان له ثمر »[4].

وجاءني اخوان يريدان السفر الى الهند ولهما خال في الهند وهو مشهور بالفسق وشرب الخمر ويريدان التوجه الى عنده، فظهر قوله تعالى« أمااحدكما فيسقي ربه خمراً واما الاخر فيصلب »[5]الاية

وكان رجل اعطى الحكومة على اليهود ، وكان يستخير مكرراً ويظهر له آيات تتعلقبموسى وهارون عليهماالسلام وبني اسرائيل .

وظهر الاخريريد الدخول على السلطانلغرض مهم ومطلب له عظيم«فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من امركم مرفقاً »[6].

وظهر لاخر في نحو هذا « رب اشرح لي صدري * ويسر لي أمرى *

---

١) سورة الرعد : ٣٨ .

٢) سورة المائدة : ٤٢ .

٣) سورة الفرقان : ٥٤ .

٤) سورة الكهف : ٣٤ .

٥) سورة يوسف : ٤١ .

٦) سورة الكهف : ١٦

واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي »[1] الآية .

ووقع لشخص مع زوجته خصومة من جهة جارية ، فاستخار على شراء جارية فظهر قوله تعالى « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » الى قوله تعالى « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين »[2].

وكان قد وقع في الهند فتور زائد ، فاستخار رجل على السفر اليها فظهر قوله تعالى « أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود »[3] وبعد مدة قليلة جاء الخبر بذلك .

واستخرت لنفسي مرة على الخروج الى غير ما انا مقيم به ، فظهر قوله تعالى « ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها »[4].

واستخرت لرجل يريد الخروج ظاهراً ، فظهر قوله تعالى «ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين »[5].

[اعراب بيت من قصيدة البردة]

ومن ذلك بيت في القصيدة المشهورة بالبردة ، وهو قوله :

ان لم تكن في معادي آخذاً بيدي   فضلا والا فقل يا زلة القدم

وفيه اشكال من حيث ان الارفع لما تقدم فيصير المعنى ان أخذت بيدي فقل يازلة القدم أي أقل ذلك، وهذا غير المقصود من هذا .

١) سورة طه : ٢٥ ــ ٢٩ .

٢) سورة البقرة : ٣٥ .

٣) سورة الهود : ٧٦ .

٤) سورة النساء : ٧٥ .

٥) سورة التوبة : ٤٦ .

أقول : انه خطر لي في توجيهه أوجه .

أحدها : أن يكون قوله « ان لم تكن » الخ بمعنى خذ بيدي فضلا والا فقل بإزالة القدم ، والنكتة في العدول عن قول خذ بيدي الى الشرط العدول عما هو في صورة الامر وان كان طلباً ودعاء ، كما تقول ان لم تقتل زيداً والاقتلتك بمعنى أقتله والا قتلتك ونظير هذا قولك « ماقام غير زيد » ، فان ظاهر تركيبه نفي القيام عن غير زيد والمرادمنه اثبات القيام له وحده .

الثاني : ان يكون جواب الشرط الاول محذوفاً دل عليه المقام، وتقديره ان لم تكن في معادي آخذاً بيدي فضلا هلكت ، ونحوه كماتقول انلم تدركني، فالمعنى وان لم تكن اخذاً بيدي قلت بإزالة القدم ايضاً .

الثالث : ان يكون قوله « والا » تأكيداً للاول وان لم يكن اصطلاحاً ، والمعنى ان لم تكن في معادي آخذاً بيدي فضلا وان لا تكن في معادي آخذاً بيدي فضلا أقل بإزالة القدم . والظاهر ان قوله فقل مخاطبة لنفسه ، وذلك كما تقول ان لم تعطني كذا وان لم تعطني كذا مع كون ذلك شيئاً واحداً ، وان كان ترك الواو في هذا أنسب لكن مثله كأنه جائز .

[مكاتبة انشأها المؤلف]

ومن ذلك مكاتبة كتبها لبعض الاصحاب انشاء ، وهي : مولى موالي الدهر روح جثمان الفخر ، انت المتفرد بالمعارف عقلا ونقلا الجامع لفنون المنطوق والمفهوم شملا ، رأس الرئاسة الانفس بل روح حياتها مقناطيس قلوب الانفس من كل جهاتها :

يكاد يحكيك صوب المزن منسكباً

لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت

والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

ويا من أغنى بجميل خلالة عن التعرض لبيان حاله ، وخص بالشرف الشامخ والشأن الرفيع البازخ وأقامت بباله العالى أنواع المكارم والمعالى :

فألقيت عصاها واستقر بها النوى	كما قر عيناً بالاياب المسافر
شخص الانام الى صنيعك فاستعذ	من شر اعينهم بعيب واحد
يا كامل الاداب منفرد العلى	والمكرمات ويا كثير الحاسد

رمت والثناء عليك كاخلاقك الغبر رياضى العبير والسناء يتألق من شمس معارفك تألق ندى يديك فضفاضى الغدير في دولة ممتدة الرواق مشتدة النطاق ثابتة الاوتاد شامخة الاطواد عالية المناد سامية المقدار ، ماسبح الله ملك ودار بمشيته فلك ، وانى لم أرض بهذه الحصة اليسيرة من الثناء والسهم القليل من الدعاء ، الابعد الاعتراف بالعجز عن عبارات تليق بشأنك ، ويدرك شأوها سامى رتبتك وعلو مكانك ، وليس يزيد البدر حسناً وبهجة اطالة ذى وصف واطراء مادح . كيف لاو أنت ثمرة الشجرة النبوية وشبل القسورة العلوية ، وحق على ابن الصقر أن يشبه الصقرا. وكيف لا وانت شجرة فضل عودها ادب واغصانها علم وحسب ، وثمرتها عقل وعروقها كرم ونيل ، تسقيها سماء الحرية وتغذيها أرض المروة .

ثم المنهي الى الجناب العالي لازال محروساً من حوادث الايام وصروف الليالى ، ولابرحت اغصان آماله مورقة وبحار سعوده واقباله معذقة ، وشموس فضله وافضاله من افق التوفيق مشرقة ، ان هذا الداعى المخلص يهدى الى جنابه جزيل السلام والدعاء وجميل التحية والثناء وخالص المودة والولاء ، والعين مع تعظيمه مقدارها تقبل ما يهدى لها المرور مبتهلا الى الله جل شأنه ان يطيل بقاء

تلك الذات محروسة من جميع الافات والبليات في جد سعيد وعيش رغيد وامر سديد بمحمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين .

(مكاتبة اخرى انشأتها وكتبتها لبعض اعيان السادة) .

اهدى من تحف التسليمات لذلك الجناب العالي مابه يليق ومن لي بذلك ، ومن جواهر التحيات مايخجل عنده غوالي الجواهر وعوالي اللالى مما هو به حقيق واني لي بسلوك هذه المسالك ، ومن غوالي الاثنية مايفضح نشره ارج انواع الغوالي بحيث يقابل به صاحب ذلك النسب العريق ومتى أقدر على التورط في هذه المهالك ، ومن صرافي الادعية ماينتظم في سلك دعاء الداعين من الاواخر والاوالي لتهب عليه نسمات القبول وتبعيض لايليق بالعبد فكيف بالسيد المالك ، وبالجملة :

فليس يزيد البدر حسناً وبهجة اطالة ذى وصف واطراء مادح

هذا وان تفضلتم بالسؤال عن احوال هذا المخلص فانه والله المستر بخير داع لذلك الجناب بطول البقاء ودوام التوفيق وعلو الشأن وكتب الحاسد ورد كيد المناوي والمعاند ، مبتهلا الى الله سبحانه ان يديم عليه مامنحه من السعادة وان يزيده من رفعة الدارين مايتمناه منهما وزيادة انه جواد كريم .

[الارغام بالانف في السجود]

ومن ذلك ماذكره الشيخ رضي الله عنه في التهذيب مؤيداً لكون الارغام بالانف في السجود ليس بواجب وان تركه مكروه ، وهو قوله : والذى يدل عليه على كراهيته مارواه احمد بن محمد عن محمد بن يحيى عن طلحة بن زيد عن جعفر عن ابيه قال : ان علياً كره تنظيم الحصى في الصلاة ، وكان يكره أن يصلي على قصاص شعره حتى يرسله ارسالا .

اقول : محل الاشتباه في هذا الحديث قوله « وكان يكره » الخ ، و وجه كونه دالا على الأرغام انه اذا أرسل شعره يكون ذلك فيما اذا وضع أنفه على الأرض ونحوها، فانه اذا فعل ذلك كان مرسلا لشعره ، بخلاف ماإذا سجد على قصاص شعره فان الشعر حينئذيكون غير مرسل، وكان سابقاً متعارفاً توفير الشعر من غير حلق ، فالمعنى فيه اظهر والله اعلم .

واستدلال الشيخ رحمه الله من حيث أن في الحديث لفظ «كره» ، وكأن المراد بتنظيم الحصى عد الركعات بها فان ذلك قد يكون غالباً من باب الوسواس وفي بعض الاخبار من الشرك الخفي عد الركعات بالحصى . ووجهه أن فاعل ذلك يكون مستعيناً به ، فكأنه جعل له تعالى شريكاً يستعان به ، فلولم يتبع الوسواس لذهب ذلك عنه كما تضمنته أخبار ترك اطاعة الشيطان فيما يوسوس به وانه اذا رأى ذلك ترك صاحبه .

ويحتمل ارادة تنظيم الحصى عبثاً ، وهو بعيد وان قرب من جهة لفظ التنظيم . وما تقدم فيما اذا أمكن احصاء الركعات بغير نحو ذلك .

ويمكن ان يكون مثل هذا لما كان أصله اطاعة وسواس الشيطان كان منهياً عنه ، فانه بعد ذلك ، قد يصل الى هذه المرتبة . والله تعالى اعلم .

وفى خبر حبيب الخثعمى قال شكوت الى ابى عبد الله عليه السلام كثرة السهو فى الصلاة فقال : احص صلاتك بالحصى أو قال احفظها بالحصى .

[شرح بيتين للمتنبى]

ومن ذلك قول المتنبى فى مطلع قصيدة .

فدالك من يقصر عن مداكا ... فما ملك اذا لا فداكا

ولو قلنا فدالك من تساوى ... دعونا بالبقاء لمن قلاكا

اقول : معنى البيت الاول ظاهر ، واما الثـانى فان كان « يسـاوي » بالياء المثناة من تحت فالمعنى انا لو قلنا يفديك من يساويك وفرض لك مسـاو لكنا دعونا بهذه لمن يساويك ويكون بعيداً عن مرتبتك بكونه دونـك فيكون القلا بهذاالمعنى ، واذا جعلناالمساوى فقط فداك فمن لم نجعله فداء نكون قد اردنا بقاءه ، لانا اذا قلنا يفديك فلان واخترناه للفداء نكون قد تركنا غيره على حالة البقاء فلم نزد له الفنا بالفداء له ، فيكون كالدعاء له بالبقاء لاستلزامه اياه استلزاماً خطابيـاً .

وعلى تقدير كون « تساوى » بالتاء المثناة من فوق كما رأيته في نسخة فتحتمل المعنى الاول ، الا ان الياء المثناه من تحت انسب بالمعنى الاول .

ويحتمل ان يكون المعنى انا لو قلنـا فدالك من تسـاويه بمعنى المواساة في مالك ونحوه دعونا ايضاً بـأن من قلاك وابعد عنك ولم يكن ممن تساويهم بان يكون باقياً ولا يفديك كما دعونا لك، والدعاء له اما لانه غير موجود حيث أن المساواة عامة لكل احد أو انا ندعو له بـالبقاء لحرمانه ماتعطيه ، فانه حينئذ يبقى محتاجـاً حيث لم يصل اليـه فيضك عليه واحسـانك اليه كغيره فتدعو له بالبقاء على هذه الحالة لانه يكون بسيء الحال بدون ذلك .

ويحتمل معنى آخر ، وهو انا اذا فرضنا لك من يساويك فمع الحبر اياك تدعو له بالبقاء حيث انه اذا فاته قربك يكون محروماً هذا الامر العظيم ، فبقاؤه على هذه الحالة بقاء سهل كما قيل :

ومن صدعنا حسبه الصد والجفـا ومـن فاتنـا يكفيه انـا تفوته

ويحتمل معنى آخر ، وهو أن يكون من قبيل ماقيل في قوله تعالى « قل ان كان للرحمان ولد فأنا اول العابدين »[1] انه بمعنى التعليق على المحال ، وانه

---

١) سورة الزخرف : ٨١ .

لو فرض هذا المحال كنت اول من يعبده والحال أن وجود الولد محال ، فالمعنى حينئذ انا لو فرضنا لك مساويا كنـا ندعوا لمن يهجرك ويبعد عنك ومساويك محال وجوده .

[حديث صلاة جار المسجد]

ومن ذلك مارواه الشيخ رضى الله عنه في التهذيب عن محمد بن يعقوب رضى الله عنه بسنده الى زرارة قال : كنت جالساً عند ابى جعفر عليه السلام ذات يوم اذ جاءه رجل فدخل عليه فقال له . جعلت فداك انى جار المسجد لقومى ، فاذا أنا لم أصل معهم وقعوا في وقالوا هو كذا وكذا . فقال : أما لئن قلت ذلك لقد قال امير المؤمنين عليه السلام من سمع النداء فلم يجبه من غير علة فلا صلاة له . فخرج الرجل فقالوا له : لاتدع الصلاة معهم وخلف كل امام . فلما خرج قلت له : جعلت فداك كبر علي قولك لهذا الرجل حين استفتاك فان لم يكونوا مؤمنين . قال : فضحك عليه السلام وقال : ماأراك بعد الا ههنـا يا زرارة فأى علة تزيد أعظم من انه لايأتم به . ثم قال : يازرارة ماترانى قلت صلوا فى مساجدكم وصلوا مع أئمتكم .

اقول : معنى قولهم هو كذا وكذا انه رافضى او شيعى وانه لايصلى معنا لعدم اعتقاده بهم ، وقوله عليه السلام له « لقد قال » الخ كانه وكن له على وجه التقيه اعراف الرجل كان يعلم عدم جواز الاقتداء .

« من سمع الاذان فلم يجبه الى الصلاة من غير علة فلا صلاة له » بمعنى نفى كما لها اونفيها ان وجب الحضور .

وقوله عليه السلام « لاتدع الصلاة » الخ معناه لاتترك الصلاة معهم وخلف كل امام وان لم يكن اهلا للامامة ، بمعنى أن يكون متابعاً لهم فى الصلاة ولا

يكون مقتدياً بالامام ، وزرارة فهم من ذلك الامر بالاقتداء فقال كبر علي قولك، فان غير المؤمن لايجوز الاقتداء به فكيف يـأمره بذلك ، فضحك عليه السلام تعجباً من مثل زرارة وانه لم يفهم مااراد عليه السلام وقـال له : ماأراك الاههنا بمعنى انك لم تصل الى مرتبة فهم مثل هذا وانت باق في مثل هذا المكان وهو عدم فهم مثله ، فأي علة تريد اعظم من انهلايأتم به فهذا ممن ترك الصلاة معهم واجافه قد امهم الصلاة معهم بقولهالمؤذن « حى على الصلاة » فليس هذاممن لاصلاة له . ثم نبهه على انه قال عليه السلام « صلوا في مساجدكم وصلوا مع أئمتكم » أي الذين يؤمنون النـاس بمعنى ان تكـون صلاتكم معهـم لاانكم تقتدون بهم ، ولو اراد الاقتداء لقال صلوا مقتدين بهم ونحو ذلك .

[عبارة مشكلة في مختلف الشيعة]

ومن ذلك عبارة في مختلف الشيعة سئلت عنها قبل هذا الوقت بمدةطويلة ولم يحضرني الان ما أجبت به سابقـاً ، ثم اشتهرت في هذه الاوقات وذهبت افكار الناس الى حلها على أوجه لايليق نقلها ، وقد سئلت عنها في هذه الاوقات فكتبت ماخطر لي في توضيح معناها، ولننقل أولا العبارة بعينها وقد ذكرت في مسألة جواز الصلاة في التكة والقلنسوةاذا كانتا من وبر الارانب ونحوها ،قال العلامة طاب ثراه : احتج الشيخ رحمه الله بـأنه قد ثبت للتكة والقلنسوة حكم مغاير لحكم الثوبمن جوازالصلاة فيهما وانكانتا نجستين أو من حريرمحض، فكذا يجوز لو كانتا من وبر الارانب وغيرها ، ولان الملزوم للمـدعى وجوداً وعدماً ان كان ثابتاً ثبت المطلوب وكذا ان كان منفياً .

والجواب عن الاول بالفرق بين كونهما نجستين وكونهما من وبر مالاتحل الصلاة في وبره وقد بيناه فيمامضى، وعن الثاني بالمنع من استلزام نفي الملزوم

حالتي وجوده وعدمه المطلوب، لجواز كون النفي راجعاً الى الذات لا الى وجودها مع فرض استلزامها وجوداً وعدماً ـ انتهى .

وقال في المسألة التي قبل هذه وهي مسألة الجواز في الابريسم : احتج الشيخ بالاصل وعدم التكليف بالتحريم ولان تسويغ الصلاة فيهما مع النجاسة، واخراجهما عن عموم حكم الثياب في ذلك يستلزم تسويغ الصلاة فيهما اذا كانتا من ابريسم محض ، لاشتراكهما في المصلحة المطلوبة من الصلاة فيهما واخراجهما عن حكم الثياب واجاب العلامة رحمه الله هنا بأن المنع في النجس عارض وفي الأبريسم ذاتي فافترقا .

اقول : اني نقلت العبارتين لتعلق الحل بهما ، والذي خطر لي في معنى العبارة الاولى أن الشيخ رحمه الله استدل لجواز الصلاة في التكة والقلنسوة اذا كانتا من وبر الارانب وغيرها بأنه قد ثبت للتكة والقلنسوة حكم مغاير لحكم الثوب من جواز الصلاة فيهما وان كانتا نجستين أو من حرير محض ، فكذا يجوز لو كانتا من وبر الارانب ونحوها ، وقد تقدم قبل هذه المسألة استدلاله لجواز الصلاة فيهما اذا كانتا من ابريسم بالاصل وعدم التكليف بالتحريم وبأن تسويغ الصلاة فيهما مع النجاسة واخراجهما عن عموم حكم الثياب في ذلك يستلزم تسويغ الصلاة فيهما اذا كانتا من ابريسم محض لاشتراكهما في المصلحة المطلوبة من الصلاة فيهما واخراجهما عن حكم الثياب .

هكذا استدل الشيخ رحمه الله في مسألة الجواز في الابريسم كما ذكر العلامة طاب ثراه ، واجاب هناك بالفرق بين النجس والابريسم بأن المنع في النجس عارض وفي الأبريسم ذاتي فافترقا .

واستدل الشيخ في مسألة وبر الارانب ايضاً بأن الملزوم للمدعى وجوداً وعدماً بمعنى ان الملزوم ـ وهو جواز الصلاة فيهما في غير وبر الارانب ـ

للمدعى وهوجواز الصلاة في وبر الارانب الذي هو لازم لذلك الملزوم انكان ثابتاًوجوده ثبتالمطلوب الملزومهله، وكذايثبت المطلوبلوكان وجود الملزوم منفياً ، ووجه ثبوته مع المنفى انا علقنا وجود اللازم بوجود الملزوم ونفيهينفى وجوده ، ففى صورة النفي يكـون المراد أن هـذا الملزوم المنفى وجوده اذا وجد وجد اللازم .

فمعنىقوله « وكذا ان كان منفياً » انه يثبت المطلوب ايضاً ان كان الملزوم منفياً ، لان قوله « وكذا انكان منفياً » معناه ان الملزومفى حالتى وجودهوعدمه لوكانمنفياًلزمالمطلوب ايضاً، حيثأنذلك معلق على وجوده، فاذاوجد الملزوم وجد اللازم ، والذى فرض ملزوماً موجود فيلزم وجود اللازم .

وجواب العلامة عن الاول بالفرق كما تقدم ، وعن الثـانى بأنا نمنع كون نفيالملزومفىحالتىوجوده وعدمهيستلزمالمطلوب،أي اللزوم فيحالتىالوجود والعدم ، لجوازكون النفي راجعاً الى نفس ذات الملزوم لاالـى وجود الذات مع فرض استلزام الذات باعتبار وجودها وعدمها المطلوب .

وحاصله : انالدليل مبنى على وجود الذات وعدم وجودها ، ونحن نمنع ذلك ويجوز رجـوع النفى الى الذات ولايلزم حينئذ اللزوم وجوداً وعدماً ، لانه مع انتفاء اصل الذات لايلزم ترتب الوجود والعدمعليها ،وانما يترتبعلى وجودها وعدمها بناء على مافي الدليل مـن قوله ولان الملزوم للمدعى وجوداً وعدماً ـ الخ .

ويوضـح ذلك ما اذ أردنا الاستـدلال على وجود النهار بوجـود الشمس وطلوعها . فقلنا النهار موجود لوجود ذات الشمس وطلوعها ، فيكون النهـار لازماً لوجود الشمسوجوداً وعدماً ، وذلكفيمااذا كانت ذات الشمسموجودة، فلو انتفت الذات اصلا لميستدل بما لاحقيقة له وجعله ملزوماً للنهارليستدلعليه

بالملزوم وجوداً وعدماً .

فان قلت: نراهم يستدلون بالملزوم مع عدم وجود الذات ، ومنه قوله تعالى « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا »[1].

قلت : فرق بين المقامين ، فان مانحن فيه أدعى فيه وجود اللازم لوجود الملزوم الذي يلزم منه الوجود بوجوده والعدم بعدمه ، ومع نفي أصل الذات وعدم وجوها لايليق الاستدلال على وجوداللازم بوجود الملزوم الذي يحصل منه الوجود بالوجود والعدم بالعدم . وهذا بخلاف فرض وجود الملزوم واللازم كما في الاية ، فان اللزوم هناك على تقدير الفرض ونفيه ، وهذا لاينافي عدم وجود الذات اصلا، فان المعنى لووجد كذا لوجد كذا .

وبالجملة فالمقام هنا مبنى على الوجود وان لزم العدم بالعدم بمقتضى الزوم مع المساواة. وايضاً فالاية فيها رد على من أدعى تعدد الاله ـ فتأمل .

واعلم انه كان يمكن تأدية ماذكر بكلمات قليلة لكن المقام اقتضى زيادة البسط لزيادة التوضيح .

[شرح بيتين لمجنون ليلى]

ومن ذلك قول مجنون ليلي :

اتوب اليك يا رحمان مما   جنيت فقد تكاثرت الذنوب
واما عن هوى ليلى وتركي   زيارتها فاني لاأتوب

أقول : الاشكال مشهور في البيت الثاني ، وهو قوله « وتركي زيارتها » وقد خطر لي في توجيهه ان معناه وان اترك بالبناء للمفعول زيارة لها ، من قبيل رجل عدل وانما هي اقبال وادبار ، وهذا معنى واضح . والترك بهذا المعنى

---

١) سورة الانبياء : ٢٢ .

مستعمل كثيراً، ومنه قوله تعالى «وتركهم في ظلمات لايبصرون»[1].

وقول عنزة :

فتركته جزر السباع ينشنه   ما بين قلة رأسه وألمعصم

وجزر السباع نحو زيارتها وان اختلفا بالفاعل والمفعول .

وربما وجه البيت بكون الواو للقسم ، وهدا مبنى على اصطلاح غيرعربى مع بعده .

وسألنى سائل فقال انه ورد في الحديث الرياء شرك وتركه كفـر ، فأجبته على تقـدير ثبوت الحديث ان تركه كفـر بمعنى ما تقدم في بيت المجنـون ، والمعنى ابقاء ذلك والمداومة عليه كفر ،والكفر والشرك يستعملان في غير الشرك والكفر الخاصين كما هو واقع كثيراً في الاخبار .

ويحتمل وجهاً آخر، وهو أن يكون المراد بالرياء المعفول على وجه الرياء كالصـلاة مثلا فانه يقال هذه الصلاة رياء وهذا الصوم رياء، فالمعنى فعل هـذا الشيء رياء شرك وترك هذا الشيء من غير رياء فعل كفر كفعل الصلاة مثلا رياء وتركهـا .

[حديث عمار جلدة بين عيني]

ومن ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : عمار جلدة بين عيني تقتله الفئة الباغية . وفي رواية اخرى : عمار جلدة بين عيني وانفي .

اقول : انهذا مثل مشهور مستعمل فيمن يكن له عزة عظيمة عند القائل . وكان وجه تخصيص الجلدة التي بين العين والانف أن العين لما كانت أعز من غيرها من أجزاء البدن باعتبار كان ماجاورها أعز من غيره ، وكان ما بين العينين

١) سورة البقرة : ١٧ .

محفوفاً بعضوين عزيزين فكان المشبه بها كالمحاط بذلك . ولو أريد ما هو أبلغ من هذا قيل فلان عيني ، وهذا غير مناسب منه عليه السلام في هذا المقام .

وربما كان زوال هذه الجلدة سبباً لتلف ضوء العين او نقصه أو تلفهما أو بعضها بخلاف ما جاورها في غير هذا المكان فان زواله لايؤثر تأثير زوال هذه الجلدة .

وحديث افراد العين لاينافي حديث التثنية ، لا مكان وقوع كل منهما منه عليه السلام ، ولاستعمال العين في المتعدد كقول الهذلي :

والعين بعدهم كأن حداقها　　　سملت بشوك فهي عور تدمع

فقال حداقها وهو جمع حدقة وقال عور وهو جمع ايضاً ومثل هذا واقع في غيرها ومن ذلك ماحببت نقله هنا . قال الزمخشري في ربيع الابرار: وعن هند بنت الجون قالت : نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيمة خالتها ام معبد ، فقام من رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومج في عوسجة الى جانب الخيمة ، فأصبحنا وهي كأعظم دوحة وجاءت بثمر كأعظم ما يكون في لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد ما أكل منها جائع الا شبع ولا ظمأة الا روى ولاسقيم الابراء ولا أكل من ورقها بعير ولاشاة الادر لبنها ، فكنا نسميها المباركة وينتابنا من البوادي من يستشفي بها ويتزود منها ، حتى اصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمرها واصفر ورقها ففزعنا فماراعنا الا نعي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم انها بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات شوك من أسفلها الى اعلاها وتساقط ثمرها وذهبت نضرتها ، فما شعرها بمقتل امير المؤمنين علي عليه السلام فما اثمرت بعد ذلك وكنا ننتفع بورقها ، ثم اصبحنا واذا بها قد نبع من ساقها دم عبيط وقد ذبل ورقها ، فبينا نحن فزعون مهمومون اذ أتانا امر مقتل الحسين عليه السلام ويبست الشجرة على اثر ذلك .

وقال الشيخ نصرالله بن محلى وكان من ثبات أهل السنة : رأيت في المنام علي بن ابى طالب عليه السلام فقلت له : يا اميرالمؤمنين تفتحون مكة وتقولون من دخل دارأبى سفيان فهو آمن ثم يتم على ولدك الحسين عليه السلام يوم الطف ما تم . فقال لي: اما سمعت أبيات ابن الصيفى فى هذا فقلت : لا . فقال : اسمعها منه فاستيقظت وبادرت الى دار الحيص بيص ، فخرج الي فذكرت له الرؤيا فشهق ووجش بالبكاء وحلف بالله ان كانت خرجت من فمى أو خطى الى احد وان كنت نظمتها الا فى ليلتى هذه ثم أنشدها .

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم ابطح
وحللتم قتل الاسارى وطالما ... غدونا عن الاسرى نعف ونصفح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل اناء بالذى فيه ينضح

ذكر هذا وهو المنام ابن خلكان في تاريخه وظنني نقلته اولا من كتاب دمية القصر للباخرزى أو من غيره ثم بعد ذلك رأيته فى تاريخ ابن خلكان فى ترجمة الحيص بيص .

[حديث شأن انا أنزلناه]

ومن ذلك حديث فى الكافى فى كتاب الحجة فى (باب شأن انا انزلناه فى فى ليلة القدر) وفى تركيب بعض ألفاظه ومعانيها اشكال احببت ان أوضح ما خطر لي فى توجيه ذلك ، والحديث وعن ابى عبد الله عليه السلام قال : بينا ابى جالس عليه السلام وعنده نفر اذ استضحك حتى اغرورقت عيناه دموعاً ثم قال : هل تدرون ما أضحكني؟ قال : فقالوا لا . قال : زعم ابن عباس انه من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا . فقلت له : هل رأيت الملائكة يا ابن عباس تخبرك بولايتها لك فى الدنيا والاخرة مع الامن من الخوف والحزن .

أقول : معنى هذا أنه لما ادعى انه داخل في قوله تعالى « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلاخوف عليهم ولا هم يخرجون »[1] قال له عليه السلام: الملائكة أخبرتك بذلك وانك آمن من الخوف والحزن ، وغرضه عليه السلام تنبيهه على انه غير مستقيم كما سيبينه له بعد .

قال : فقال : ان الله تبارك وتعالى يقول « انما المؤمنون اخوة »[2] وقد دخل في هذا جميع الأمة ، ظاهره ان مراد ابن عباس اني داخل لا من حيث اخبار الملائكة بل من جهة دلالة قوله تعالى « ان الذين قالوا ربنا الله » الاية ، فانه عام لكل من قال ذلك ثم استقام ، كما ان قوله تعالى « انما المؤمنون أخوة » عام فيدخل كل من آمن في الاخوة .

(فاستضحكت) يمكن ان يكون ضحكه عليه السلام تعجباً من استدلاله بذلك لانه غير مستقيم، بناء على ما يأتي في الحديث مما يبينه له من ذلك .

(ثم قلت صدقت يا ابن عباس) هذا يحتمل ان يكون معناه انك صدقت في دلالة الايتين على العموم ، ولكن سيظهر لك انك غير داخل فيه في الاية . ويحتمل ان يكون أراد به معنى سلمنا لك ذلك لكن يأتي ما يظهر منه خلافه وعدم الدخول .

(أنشدك الله) أي أسألك بالله (هل في حكم الله جل ذكره اختلاف ، قال فقال لا فقلت ما ترى في رجل ضرب رجلا أصابعه) هذا بدل بعض من كل (بالسيف حتى سقطت ثم ذهب) وفي التهذيب فما ترى في رجل ضربت أصابعه بالسيف حتى سقطت فذهبت (واتى رجل آخر فأطار كفه فأتى به اليك وانت قاض كيف انت صانع ؟ قال : اقول لهذا القاطع اعطه دية كفه، وأقول لهذا المقطوع

١) سورة الاحقاف : ١٣ .

٢) سورة الحجرات : ١٠ .

صالحه على ماشئت وأبعث به) في التهذيب أو ابعث به ، والمعنى اما انتعطيه الدية أوتصالحه أوتبعث به (الى ذوى عدل) ليوفقا بينهما .

(قلت : جاء الاختلاف في حكم الله عز ذكره ونقضت القول الاول) وهو الاعتراف بعدم الاختلاف في حكم الله (أبى الله عز ذكره أن يحدث في خلقه شيئاً من الحدود ليس تفسيره في الارض اقطع قاطع الكف اصلا) أي قاطعها من أصلها او اقطعها من اصلها (ثم اعطه دية الاصابع) لانه ليس له عليه الا الكف .

(هذاحكم الله ليلة ينزل فيها امره ان جحدتها بعد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله فأدخلك الله النار كما اعمى بصرك يوم جحدتها علي بن ابى طالب) هذا دعاء منه عليه السلام عليه أنه ان جحد ليلة القدر مرة اخرى بأن يدخله الله النار كما اعمى بصره لما جحدها في المرة الاولى . وتركيب جحدتها علي بن ابى طالب انعلياًمفعول أول والضمير مفعول ثانيمقدمللاتصال وعدم الالتباس، يقال جحده حقه . ويحتمل نصب على بنزع الخافض بتضمين معنى يناسبه، وضميرجحدتها يرجع الى ليلة القدر .

(قال فلذلك عمى بصري) هذا استفهام من ابن عباس ، وظاهره الانكار . ويحتمل كونه غير انكارى ، ويحتمل كونه اعترافاً منه بذلك، ويؤيده قوله عليه السلام بعدماتكلمت بصدق مثل أمس .

(قال : وماعلمك بذلك) أي انك لاتدرى وجه عمى بصرك من أي شيء (فوالله ان عمى بصرهالامن صفقة جناح الملك) .

هذا الكلام منه عليه السلام للنفر الذين عنده ليخبرهم به ان عماه كان من صفقة جناح الملك وقع معترضاً بين ماقبله وما بعده . ويحتمل ان يكون من قول ابىعبدالله عليهالسلام وان نافية . وعما يجوز كونه مصدراً مضافاً الى

بصره اي ما عمى بصره الا من ذلك ، ويجوز كونه فعلا وبصره فاعله أي ما عمى الا من ذلك .

(قال فاستضحكت ثم تركته يومه ذلك لسخافة عقله) استضحاكه عليه السلام اما لاعترافه أو لانكاره ذلك ، والاول انسب بالتكلم بالصدق (ثم لقيتـه فقلت يا ابن عباس ماتكلمت بصدق مثل أمس، قال لك علي بن ابي طالب ان ليلة القدر في كل سنة وانه ينزل في تلك السنة امر لسنة ، وان لذلك الامر ولاة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله . فقلت : من هم ؟ فقال : انا واحد عشر من صلبي ائمة محدثون فقلت : لا أراها كانت الا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فتبدى لك الملك الذي يحدثه فقال : كذبت يا عبد الله) من قوله قال لك علي الى هنا ابتدأ بيان لابن عباس لما صدر منه وان سبب العمى ذلك (رأت عينـاي الذي حدثك به علـي ولم تره عيناه ولكن وعى قلبه ووقر في سمعه) هذا من كـلام الملك بعد قوله له كذبت ياعبدالله ، ومعناه ان الذي حدثك به كان بالنسبة الي مما رأيته بعيني على وجه المجاز ، بمعنى رأيت من ألقاه الي من ملك آخر بعيني ولم تر ذلك عينا علي بن ابي طالب ولكن وعى ذلك قلبه وألقى فيه وسمعه ولم ترني عيناه (ثم صفقك بجناحه فعميت) أي بعد أن قال لك ذلك صفقك بجناحه فبين له سبب عماه .

(قال فقال ابن عباس : ما اختلفنا في شيء فحكمه الى الله) هذا جواب من ابن عباس، وحاصله انه اذا وقع اختلاف يرد ذلك الى الله أي الى كتابه ونحوه او ان الحكم الواقعي الله اعلم به وما اختلفتم في شيء فحكمه الى الله .

(فقلت له فهل حكم الله في حكم من حكمهم بأمرين قال لا) لما قال ابن عباس انما اختلفنا في شيء فحكمه الى الله اجابه عليه السلام بأنه هل يوجد في حكم من احكامه الحكم بأمرين مختلفين . فقال لا فثبت ان حكم الله لا يكـون الا

واحداً وان الذى يرد حكمه الى اللهمع الأختلاف ان يرد الى من يعلم الحكم الذى يرتفع به الاختلاف .

(فقلت ههنا هلكت واهلكت) أي من هذا او مثاله وعدم الاعتراف بماقال لك علي بن ابى طالب ممالو رجعت اليه لظهر لك وجهه وارتفع الاختلاف هلكت واهلكت .

هذا مايظهر مما تضمنه هذا الحديث فى شأن ابن عباس والله تعالى اعلم ، وبعض هذا الحديث فى التهذيب وهوما يتعلق بالقصاص ولم ينقله بتمامه .

[حديث الولاء]

ومن ذلك ما رواه محمد بن قيس فى الصحيح عن الباقرعليه السلام قال: قضى فى رجل حرر رجلا فاشترط ولاءه فتوفى الذى اعتق وليس له ولـد الا النسـاء ثم توفى المولى وله مال وله عصبـة ، فاختـلف فى ميراثه بنات مولاه والعصبـة ، فقضى بميراثه للعصبـة الذين يعقلون عنه اذا احـدث حدثاً يكـون فيه عقـل .

أقول : هذا الحديث نقله جدى المبرور قدس الله روحه فى شرح الشرائع مستدلا به على ان المعتق اذا لم يخلف اولاداً ذكوراً بل خلف النساء فقط يكون ميراث المعتق بالبناء للمفعول لعصبة المعتق بالبناء للفاعل ، وقد استدل به على ذلك العلامة فى المختلف والشيخ الطوسى فى الاستبصار ، وافتى بمضمونه فى النهاية والايجاز وكذلك القاضى وابن حمزة وغيرهم ، وفى الاستبصار باب ان ولاء المعتق لولد المعتق اذا مات مولاه الذكور منهم دون الاناث فان لم يكن له ولد ذكر كان ذلك للعصبة ، ونقل هذا الحديث وفيه « وترك مالا » بدل قوله وله مال وكذا فى التهذيب والمختلف بلفظ وترك مالا ، فكأن مافى شرح الشرائع

منقول من غير الكتب المذكورة او من الكافي ولا يحضرني هذا الموضع منه وقد وقع في احاديث متكثرة التعبير بالورثة وأولى الارحام اذا كانوا للمعتق مبنياً للمفعول وانهم يقدمون على اهل الولاء في الميراث .

اذا تقرر ذلك فقد اعترض بعض المعاصرين على جدي قدس سره بأن هذا الحديث لايصلح للدلالة ، لان المراد بالعصبة في قوله « وله عصبة »عصبة المعتق والمراد منهم الوارث لاعصبة المعتق نظراً الى مجرد القرب ، فيعود الضمير اليه لقربه .

وهذا من ضيق العطن بمعرفة تراكيب الكلام وأسلوبه وعدم ملاحظة ما يناسب المقام ، فان استعمال العصبة بمعنى الوارث استعمال غريب لايظهر وجه العدول اليه عن مثل الورثة وأولى الارحام مع ان العصبة شرط كونهم وارثين فيه الخلاف المشهورة ، ولو سلم فأي فائدة في القيود المذكورة على هذا التقدير وهي قوله « الذين يعقلون عنه اذا احدث حدثاً يكون فيه عقل ، فانها حينئذ لغو لا فائدة فيها ،لان اخراجه عن موضوعه واستعماله كذلك أي وجه لها لربطها به وأي مناسبة ، بخلاف ما اذا أريد بها عصبة المعتق ، فان فائدتها بيان كون العصبة هم الذين وصفهم كذا وكذا ، وهذا مما صرف أفهام من قال من علمائنا رضوان الله عليهم بذلك الى حمل العصبة على عصبة المعتق وترك مرجع الضمير القريب ، ومن المعلوم المقرر أن القرينة اذا وجدت حالية أو مقالية عقلية او نقلية تصرف ما يظهر او يحتمل الى غيره . ولولا هذا امكن ان يقال المجاز مع القرينة يعارض الحقيقة وتعارضه ونحو ذلك .

وقد فهم هذا مثل العلامة والشيخ الطوسي وغيرهم رحمهم الله ممن قال بهذا القول واستدل بهذا الحديث ولم يظهر رد استدلالهم به ، وهؤلاء من أئمة اهل اللسان والعارفين بمواقع الكلام ، وليس هذا حجة بل مجموع ماذكرهنا

وغيره مما ذكرته في موضع آخر من القرائن مما يدفع عنهم الاعتراض في فهم هذا الحديث مع شهرة مسألة مستحق الولاء من الورثة والعصبة وتكرر القول والنزاع في ذلك من المخالف والموافق كما يظهر لمن تتبع ذلك في كتب الحديث والفروع والخلاف وغيرها كالمختلف والمبسوط والخلاف والتهذيب وغيرها .

فان قلت ، لاي وجه آخر قوله « وله عصبة » عن قوله « وترك مالا » وهلا قال وله عصبة بعد قوله الا النساء .

قلت : لهذا وجه ينبغي تأمله وفهمه على وجهه ، وهو انه ذكر أولا وفاة الرجل المعتق وان وارثه النساء فقط ، وهذا لايناسبه ذكر العصبة حينئذ ، ان المعتق لم يمت حينئذ بل المناسب لذكرهم تأخرهم عمن يكون لذكرهم به مناسبة ، وذلك بعد موت المولى وبعد موته ناسبه ذكر مايتعلق به بعد موته من كون العصبة يدعونها تركه من المال المتروك فذكر الاول موت المعتق وذكر وارثه ثم موت المولى وذكر العصبة ونزاعهم مع النساء .

وفي المختلف ورووا عن الائمة عليهم السلام ان امير المؤمنين عليه السلام قضى في امرأة اعتقت رجلا واشترطت ولاءه ، فاختصم في ولائه بعدها أولادها وعصبتها فحكم بالولاء لعصبتها . ومثل هذا كثير يفضي نقله الى التطويل .

على ان قوله « وله عصبة » لايدل على ان له عصبة فقط ، فلو كان له غير العصبة ممن هو أقرب لم يكن له ميراث ولو أريد له وارث لم يكن لقوله « الذين يعقلون » الخ فائدة .

وفي قوله « الذين يعقلون » الخ ايماء الى ان البنات ليست لهم هذه الصفة فلا يرثن وان كن اقرب من العصبة ، وايضاً فالمقام مقام مستحق الولاء الذى هو مشروط للمعتق وهو حق له .

[شرح بيتين للمتنبى]

ومن ذلك بيتان للمتنبى مطلع قصيدة وهماقوله :

لا الحلم جادبه ولابمثاله   لولا ادكار وداعه وزياله

ان المعيد لنا المنام خياله   كانت اعادته خيـال خياله

اقول : معناهما انى لولا كثرة تذكرى وداعه وفراقه بحيث لا يزول عـن خاطرى حتى فى المنام لم‌يسمح الحلم به ولابمثاله ، فبسبب ذلك‌ظهرمنه ماهو كالجود ، فسماه جوداً لصدوره عنه للعلة المذكورة والا وهو بخيـل بذلك ، ونسبة البخل اليه والى‌المحبوب فى‌بخله بالزيادة حتى فى المنام شائع‌متعارف وقدتكرر نظمه ثم قال على وجه الاضراب عن الاول وهو جوده به وبمثاله ان الحلم لا يسمح به ولابمثاله مع هذا بل ولابخياله بل بخيال خياله .

ويحتمل وجهاً آخر ، وهو ان يكون من باب عيادة نحو المريض ، وعاد يتعدى بنفسه الى مفعول واذا ادخلت عليه‌الهمزة تعدى‌الى مفعولين مثل اكسبته اياه وابلغته اياه بمعنى جعلته كاسباً اياه ونحو ذلك مما هو كثير وهذا يحتمل وجهيـن :

احدهما : انى‌صرت من السقم لوداعه وفراقه كخيال خياله ، فكانت‌اعادته خياله لي اعادة لما هو خيال خياله .

والثانى : ان اعادته كان اعادة خياله لخيالى، واضافته اليه لانه سبب لانى صرت خيالا يزور خياله خيالى .

وعلى هذين‌الوجهين المعيد هو المحبوب ويجوزكونه الحلم ايضاًوليس فى هذين الوجهين احتياج الى دفع المنافاة بالاضراب كما فى‌الاول وهو جود الحلم به بمثاله ، فانه يكون كلاماً مستقلا على الوجهين ، وعلى الاول يكـون

اعادته بعد الوداع والمفارقه من العود لا من العيادة ، والاعادة ، حينئذ مسندة الى المنام .

وعلى الوجهين يكون المنام بمعنى الظرف والاسناد الى المحبوب ويجوز الى غيره باعتبار، ويمكن ان لايعتبر معنى الاضراب على الاول ايضاً .

[عبارة في تفسير القاضي في الراسخين في العلم]

ومن ذلك عبارة في تفسير القاضي في قوله تعالى في أواخر سورة النساء « لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الاخر اولئك سنؤتيهم اجراً عظيماً »[1] قال بعد قوله « والمقيمين الصلاة » نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك أو عطف على ما انزل اليك ، والمراد بهم الانبياء، أي يؤمنون بالكتب وبالانبياء ، وقرىء بالرفع عطفاً على الراسخون أو الضمير في يؤمنون أوعلى انه مبتدأ والخبر اولئك سيؤتيهم، والمؤتون الزكاة رفعه لاحد الا وجه المذكورة .

اقول : ارى أن هذه العبارة غير محتاجة الى الايضاح ، وتوضيحها لمن يحتاج اليه أن الراسخون مبتدأ وخبره اما جملة يؤمنون أو جملة اولئك سنؤتيهم وعلى تقدير كون الخبر جملة يؤمنون لا جملة اولئك سنؤتيهم يمكن نصب المقيمين على المدح أو جره على العطف على ما انزل ، وعلى قراءة الرفع فعطفه على الراسخون اوعلى ضمير يؤمنون بناء على جوازه او انه مبتدأ وخبره جملة اولئك سنؤتيهم ، ورفع المؤتون بأحد الاوجه المذكوة في رفع المقيمين ووجه كون النصب على المدح مبنياً على كون يؤمنون خبراً أنه غير مناسب

---

١) سورة النساء : ١٦٢ .

وقوعه منصوباً مع كون الخبر جملة اولئك سنؤتيهم لانه غير ملائم لسياق المبتدأ وماعطف عليه مما هو كالمبتدأ ومايتعلق به وكون الاخبار عن الجميع من المبتدأ وما عطف عليه ، وهذا بخلاف ما لو كانت جملة يؤمنون خبراً .

وحاصله ان الحكم على محكـوم عليه ينبغي ان يكون متعلقاً بالجميع ، والمبتدأ وما بعده من جملة وغيرها يحمل الخبر فيها على الجميع، ومع النصب له على المدح لا يكون المنصوب محكوماً عليه ، والسياق يقتضي دخوله فيمن يؤتى الأجر العظيم . والله اعلم .

وفي جعل اولئك خبراً تجوز، فان الخبر الجملة لأولئك وحده ، وقد صرح به بعد ذلك .

[مسألة صلاة الجنازة]

ومن ذلك ما اتفق من حضوري جنازة رجل من أعيان المؤمنين رحمه الله فجرى ذكر صلاة الجنازة فقلت: اني اتعجب من شيء وهو أني في هذه المدة المتطاولـة في هذه البلاد ما رأيت احداً يصلـي على الجنازة ويستأذن من ولي الميت اماماً كان او غيـره ، وكان في المجلس رجل يدعي الفضل فقال : هـذا معتبر في الامام دون المنفرد . فقلت له : لافرق بينهما ، مع ان الامام ايضاً ما رأيته يستأذن قط نعم اذن الفحوى في مثل ذلك كاف . فأرسل ذلك الرجل الي رقعة بعد نقله في المجالس ان كلامي لا وجه له ، وهذه صورة ما كتبه بألفاظـه من غيـر زيادة ولا نقصان ولا اصلاح لبعض ألفاظها . وبعد التحية الوافية لا يخفى على جنابكم ان الفقهاء ذكروا أن الاولى لميراث الميت هو اولى بأحكامه، وهذا الكلام لا يدل على ان صلاة المنفرد مشروط باذن من له الاولوية ، فان تمسكتم بهذه العبارة فلا يدل على مدعاكم من ان صلاة المنفرد مشروط بالاذن.

نعم ذكروا هذا الاشتراط في تحقق الامامة لامطلقا . وبالجملة الاولوية لابد على الاشتراط مطلقا لكن في الامـامة قد صرحوا به وان كان لكم دليل آخر فلابد لكم من البيان ، فان الامر مخفى علينا والجرم في هذه المسألة من مثلكـم بلا دليل بعيد فبينوا توجروا .

فكتبت له الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهى الى الجناب العالي حرسه الله بعد اهداء جزيل السلام والدعـاء ، هو انه كان بلغنى انكم كتبتم رسالة تتضمن مايتعلق بمسألة ولى الميت ، والرقعة وصلت الي في هذا اليوم وهو يوم ارسال الجواب ، فتـأملت ألفاظها المنيفة ومعانيها الشريفة وما تضمنته من ارادة الجواب عما ذكرته في ذلك الوقت من أنه لافرق بين الامام والمنفرد بناءعلى ماهو التحقيق مما وصل اليه نظري القاصر في هذه المسألة ولم أجد القائل بالفرق بين الامام والمنفرد .

وحاصل الجواب انكـم اعترفتم بـأن الفقهـاء ذكروا أن الاولى بميراث الميت هو أولى بـأحكامه ، ومن المعلوم أنه ليس المراد مشاركة غيره له في الولاية ، بل المراد منه مستحق الولاية على الخصوص الا لشارك الوارث غيره وولى الميت غيره ، وهذا غير مراد قطعـاً ، والتفصيل باعتبار لايخفى . أو انه ليس بمراد من هذه الصيغه كما وقع في غيرها بهذه المعنى مما هو مذكور في محاله ، وقد صرحوا بافادة هذه الصيغة هذا المعنى .

قال الشيخ ميثم البحراني رحمه الله في كتاب النجاة في القيامة في تحقيق امر الامامة : ان اهـل اللغة لايطلقـون لفظ الاولى الا فيمن يملك تدبير الامـر المتصرف فيه،فانهم يقولون السلطان أولى باقامة الحدودوالولد أولى بالميراث والزوج اولى بامرأته ، وليس مرادهم الا ما ذكرنـاه واتفق المفسرون على ان

قوله تعالى « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم »[1] ان المراد به أولى بتدبيرهم والقيام بأمورهم ـ انتهى .

فدلت العبارة على اختصاص الولي باحكامه ومنها الصلاة، واذا ثبت اختصاصه بهذا الحق ولم تدل العبارة على تقييد ولا تخصص بقيت على اطلاقها أو عمومها، فتصرف غيره مطلقا في هذا الحق بغير اذنه تصرف في حق الغير بغير اذن وهو غير جائز عقلا وشرعاً ويأتي ما يدل على ذلك ايضـاً ، فثبت بذلك ما ادعيته ، وكلامكم يتضمن دعوى الفـرق فيلزمكم على هذا أن تثبتوا أن المنفرد يجوز له تحسب هذا الحق واخراجه من تصرف الولي دون الامام .

نعم لو دل الدليل على ان حق الولي منحصر في الامامة امكن الفرق والدليل لا يدل على ذلك ، واظهرية بعض افراد المطلق من غيره لو سلمت لا تقتضي التقييـد .

ويمكن أن يقال : ان الامام قدرته على الغصب أقوى من قـدرة المنفرد ، الا أن يجاب بأن الامام يشترط فيه العدالة ، فلهذا لم يعتبر الغصب فيه لانه ينافي العدالة. فالعجب من قولكم ان هذا الكلام وهو كلام الفقهاء لايدل على المدعى من ان صـلاة المنفرد مشروطة بالاذن ، فانا ان نظرنا اليه مجرداً لم نفرق بين الامرين ، ويأتي ان ما استدل به لايقتضي الفرق وبالجملة فمـا ادعيتموه لنا لا علينا وعليكم لالكم، والعام أو المطلق يبقى على عمومه او طلاقه الى أن يوجد المخصص اوالمقيد وهو غير موجود على وجـه يفيد، وكان اللائق ان تذكروا مايدل على تقييد الذى دل عليه اطلاق العبارة فقط لا ان هذا الكلام لايدل على المطلوب فانه خارج عن طريقه المتعارف .

هذا مايتعلق بالعبارة، وأما مايتعلق بدليل المسألة فقد استدلو بما في مرسلة

---

[1]) سورة الاحزاب : ٦ .

ابن ابی عمیر من قول ابی عبد الله علیه السلام: یصلی علی الجنازة أولی الناس بها أو یأمر من یحب . ومراسیل ابن ابی عمیر معلوم حالها فی الاعتماد علیها، ومثلها مرسلة ابن ابی نصر ، واستدلو ایضاً بآیة « اولی الارحـام » والحدیثان دالان علی أن الحکم حق لولي المیت وله الاذن لمن أحب ، ولا وجه بحسب الدلالة للفرق سوی ماادعاه القائل به ویأتی عدم صلاحیة لذلك .

ولننقل هنا عبارة الشرائع والمدارك ، قال فی الشرائع : الثانی فی المصلی، واحق الناس بالصلاة علیه أولاهم بمیراثه . وقال فی المدارك : ذکر العلامة فی المنتهی ان المراد بالأولی هنا المستحق للمیرات، وکو المرادأن من یرث أولی بالصلاة ممن لم یرث الی ان أجرا ، وهذا الحکم مقطوع به فی کلام الأصحاب وظاهرهم أنه مجمع علیه ، واستدلوا علیه بقوله تعالی « وأولو الارحام بعضهم اولی ببعض » وبمـا رواه الکلینی عن ابن ابی عمیر عن بعض أصحـابه عن ابی عبد الله علیه السلام قال یصلی علی الجنازة اولی الناس بها او یامر من یحب وعن احمد بن محمد بن ابی نصر عن بعض أصحابنا عن ابی عبد الله علیه السلام قال : یصلی علی الجنازة أولی الناس بها او یأمر من یحب .

ثم قال: قال جدي قدس سره فی روض الجنان : واعلم ان ظاهر الاصحاب ان اذن الولی انما یتوقف علیها الجمـاعة لا اصل الصلاة لوجوبه علی الکفایة ، فلا تناط برأي احد من المکلفین ، فلو صلوا فرادی بغیر اذن اجزأ ، وقد یقال انه لامنافاة بین کون الوجوب کفایتـاً وبین اناطته برأي بعض المکلفین ، علی معنی انه ان قام به سقط الفرض عـن غیره ، وکذا ان أذن لغیره وقام به ذلك الغیر والا سقط اعتباره وانعقدت الصلاة جماعة وفرادی بغیره اعلا ومع ذلك لابأس بالمصیر الی ماذکرنا لماقصرا لماخالف الاصل علی موضع الوفاق ان تم، وحملا للصلاة في قوله علیه السلام « یصلی علی الجنازة أولی الناس بها » علی

الجماعة لانه المتبادر – انتهى كلام المدارك .

ويظهر منه لمن تأمله انه غير قائل بالفرق ، وان بناءه على مخالفة الاصل من حيث قدحه في اصل الدليل وفي قوله « ان تم » اشارة الى ما لايخفى .

ودعوى التبادر مع الاطلاق والبناءعلى الدليل المذكور ممنوعة، ولو سلم انها تتبادر لكثرة وقوعها لاتدل على التخصيص .

وعندي كتاب المدارك بخط والدي رحمه الله وهو الذي قرأه على السيد محمد رحمه الله وعليه حواش كثيرة بخطه تتضمن تحقيقات وفوائد وقد كتب على قوله في المداركقال جدي في روض الجنان « واعلم ان ظاهر الاصحاب» الخ ماصورته :

اقول: لايخلو من نظر ، فان هذا ليس ظاهر جميع الاصحاب بل البعض والافالاكثر اطلقوا الحكم كما يعرفهمن لاحظ كلام القوم ، فالعلامة في القواعد قال والاولى بها هو الاولى بالميراث بعد قوله المطلب الثاني في المصلى ، والمفيد فيالمقنعة قال وأولى الناس بالصلاة على الميت أولاهم به وقالالعلامة في المختلفمسألة قالالشيخاولىالناس بالصلاة على الميت اولاهم بالميراث .

والذي اظنه ان جدي قدس سره ظن من قول العلامة في محل آخر والمشهور بين الاصحاب انالاولى بالميراثأولى بالامامة، ولا يخفى ان هذا لا يدل على أن غيره ليس أولى، بل هوفي مقام ذكر الامامة كما يعلم من مراجعة كلامه .

على أن كلام العلامة ليس حجة مع وجود اطلاق العبارات والادلة ايضاً ، فانهم استدلوا بآية « واولو الارحام بعضهم اولى ببعض » وبالاحاديث كمرسلة ابن ابي عميرعن بعض اصحابه عن الصادق عليه السلام قال يصلي على الجنازة أولى الناس بها . وهذا لايخفى تناوله .

أما ماظنه جدي قدس سره مـن أن الوجوب الكفائي يـنافي الأذن ، فقد اجاب عنه في شرح الشرائع بـأن الأذن لاينـافي الوجوب في أول باب احكام الميت وهذا لافرق فيه بين الصلاة وغيرهـا وان كان فيه نوع كلام من حيث ان الجواب لايفيد رفع السؤال . واقول : ان الحق في الجواب ان المتوقف على الأذن الفعل لاالوجوب ـ انتهى كلام والدي رحمه الله في حاشية المدارك .

ويظهر منه لمن تأمله حق التأمل ان من قـال بالفرق بين الأذن للامام دون غيره قليل ، وان منشأ هذا مـا فهم من عبارة العلامة وانهـا غير دالة على ذلك فانها متعلقة بالامامة وان جده في شرح الشرائع رد مااستدل به في شرح الارشاد للفرق وشـرح الشرائع متـأخر عن شرح الارشاد كمـا رده السيد محمد في المدارك ، وان القـائل بذلك ليس له دليـل واضح ، على أن مـا في شرح الارشاد محتمل لمجرد نقل الظاهر وما استدل به لانه استدلال منه .

وقول العلامة المشهور بين الاصحاب الخ ، ربمـا اشعر بأن هذا وجهه الشهرة ، واذا عبروا بـالمشهور أشعر ذلك بضعف الدليل كمـا هو متعارف في مثل ذلك مما اسند الى الشهرة .

هذا ان أريد غير ما أفاده والدي من مدلول عبارة العلامة ، وعلى ما أفاده لايحتاج الى هذا . والله تعالى اعلم .

هذا ماخطر لي في توجيه ماذكرته ، فلينظر فيه بعين الانصاف . وقد ظهر أنه لااجماع على الفرق ليكون كلامي خارقاً له ولا دليل ناهضاً عليه ومن فهـم تأمل ما ذكرته ونقلته ظهر له وجهه نقلا واستدلالا . والمقام اقتضى البسط زيادة عما كان ينبغي .

[عبارة للبيضاوى فى جنات عدن]

ومن ذلك عبارة في تفسير القـاضي في سورة مريم عليها السلام في قوله تعالى« جنات عدنالتى وعد الرحمان »[1]الاية . قال : وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم أو علمللعدن بمعنى الاقامة كبره ، ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التى .

اقول : معناه ان عدناً في « جنـات عدن » علم لانه قبل الاضافة كان علماً ومع اضـافة جنة وجنات لايخرج عن العلمية بـالاضافة ، فهو علم مع الاضافة ايضاً وجنة عدن علم ايضاً فهو مع الاضافة علم وبدونها ايضاً علم .

وقوله « ولذلك » الخ تعليل للوجه الثانى ، فمعنى لانه المضاف اليه في العلم ان الاضافة اليه وقعت في حالة كونه علماً لم يتغيـر بالاضـافة ، وعلميته قبلها معلومة كالخلد والفردوس والمأوى ، فـاذا أضيفت الجنة الى أحدها كان المضاف اليه هو ذلك العلم وان كان مع الاضافة علماً ايضاً .

ومعنى تعليل الوجهالثانى أن تأنيث« التى » وافرادها مع كونه وصفاًلجنات باعتبار ما اضيف اليهجنات وهو الاقـامة . ويحتمل أن يكون التعليل للقسمين. ووجـه الاول أن جنات جمع والتى مفرد ، لكن لكونه جمع جنة عدن وجنة عدن علم مؤنث صح وصفه بالتى ، والعلم هو جنة عدن لا جنـات عدن ، لبعد كون الجمع علماً .

[حكم حلق اللحية]

ومن ذلكمسألة تتعلق بحكم ازالة شعر اللحية بحلق أو جز أو نحو ذلك،

---

١) سورة مريم : ٦١ .

سـألني عنها بعض الاصحاب فكتبت فيمـا يتعلق بها مـاخطر لي ، وهو هذا : لا يحضرني الان تصريح بـالتحريم من علمائنـا رضوان الله عليهـم في هذه المسألة، وقد خطر لي فيه وجهان لايبعد مع ملاحظتهما وجمع أطرافهماالقول بالتحريم .

أقول : ما اورده الصدوق « ره » في الفقيه قال : قـال رسول الله صلى الله عليه وآله : حفوا الشوارب واعفوا اللحى ولا تتشبهوا بـاليهود . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان المجوس جزوا لحاهم ووفروا شواربهم وانانحن نجز الشوارب ونعفي اللحى .

وهـذان الحديثان وان كانا مرسلين لكن ايراد الصدوق لهما مع اعتماده على ما في هذا الكتاب والفتوى بمـا فيه يقوي الاعتماد عليها ، وقد أوردهما الشهيد « ره » في الذكرى ، والحـديث الاول يروى مـن طرق العامة ، وهو المشهور في كتبهم .

والامر فيه باعفاء اللحى بمعنى ترك جزها ظاهره الوجوب ، وان لم يعفها وجزها فقد ترك المأمور به . والاخذ من الشوارب استحباب بدليل لاينافي بقاء الامر في غيره على الوجوب، وربما يفرق بين حف الشارب واستحباب الاخذ منه. ومثل ماذكرله نظائر كمافي تقسيم الاغسال. والتعبيرعن الواجب والمستحب منها بقوله واجب ، وقد أريد في بعضها من الوجوب الاستحباب المؤكد .

وفي الحديث من التأكيد مـاهو من النهي عن التشبيه بـاليهود ، وظاهر النهي التحريم أيضاً ، فان من تشبه باليهود يكون قد ترك المنهي عنه . وظاهر الحديث أن اليهـود كانـوا يعفون الشوارب ويجـزون اللحى كمـا في حديث المجوس ، ولو كانوا يعفون الجميع كان التشبيه بهم من حيث اعفاءالشوارب.

وبالجملة ففي هذا الحديث بعد الامر بجز الشوارب واعفاء اللحى تأكيد

لذلك بقوله عليه السلام « ولا تشبهرابااليهود » ، ففيه أمر ونهي كل منهماظاهره التحريم بالمخالفة . والحديث الثاني دل على ان المجوس هكذا فعلهم وانـا نحن نفعل خلافهـم ، فهو علـى خلاف فطرة الاسلام بهذا الفعـل . ففى تضمن الحديث لفعله عليه السلام وفعل المجوس مـايخالفه ويخالف الفطرة ما يتأدى بقبح فعلهم وحسن فعله ، وهذا مما يتأكد به معنى الامـر والنهي ويدل عليه .

الوجه الثانى : أنه قد قرر الشـارع أن في شعر اللحية الدية اذا لـم ينبت ومع النبات الارش . والمـراد ازالة شعرها بأي وجه كان ، ومـا كان فيه الدية على الجانىففعله حراممع العمد، فاللحية حكمهاحكم النفس والاعضاءوالمنافع ونحوها التى ثبت فيها الدية على بعض الوجوه وحرمتها كحرمتها .

وهذا لاشبهـة في تحريمــه اذا كان من فعل الغير ، حتى أن الديـة قد ثبت مع العمد للاحترام المذكور ، والظاهر تحريم ذلك اذا وقع من نفسه ، فانه من المعلوم انه يحرم ان يقتل الانسـان نفسه أو يقلع عينه أو يقطع يده عمداً ، فشعر اللحية اذا أزاله كان كغيره مما فيه الدية لامن باب القياس بل من الجهة المذكورة ، وليس هذا من قبيل الاموال لكون النـاس مسلطين على اموالهم ، للفرق الظاهر على ان الاموال لو أتلفهاصاحبها او أسرف فيها او كان علىوجه السفه او التبذير ونحوه كانحراماً . وحاصله : اللحية مما هو كمال الرجل وله حرمة شرعاً يلزم بانتها كها الديةاذا كان من الغير مع التحريم في بعضالصور، والتحريم اذا كان ذلك من صاحب اللحية او بأمره .

فان قيل : الدية تلزم ايصاً في شعر الرأس والانسان لو حلق رأسه اوجزه لم يكن ذلك حراماً عليه .

قلت : هذا خرج بدليل ، والدليل دال ايضـاً على الاستحباب من صاحبه او من يـأمره في الحلق وعلى الجواز في الجز ، وربما استحب أيضـاً وقد

يجب الحلق بدليل ومع هذا لو كان بجناية من الغير كانت الدية ثابتة بالجناية ايضاً ، واللحية لم يرد فيها مـا يقتضي استثناؤها فتبقى على حكمها كغيرها مما فيه الدية مع التحريم .

واعلم ان الحديث ذكر فيه الجز ، وهو يحصل بـالمقراض ونحوه ممـا يقطع به كالسكين ، وهو دال على مايفيده الجز ، فما يحتال به ممـا هو شائع من ازالة شعراللحية بالمقراض دون الحلق لمدفع الشبهة لاوجه . له نعم تحريم الازالة بالحلق بطريق أولى ان لم يدخـل تحت الجز ، ولولا مافي الاخبارمن ذكر القضية وان الزائد في النار من الامر بتدوير اللحية ونحوه مما يدل على هذا لمكان الخبر مما يمكن فيه دخول نحو هذا في بعض الفروض .

وفي بعض الاخبار ولا يحضرني الان في أي كتاب ما معناه ان قـوم لوط كانت فيهم عشر خصال أوجبت الغضب عليهم منها حلق اللحى واعفاء الشوارب ومنها الفاحشة المعلومة ، واظن ان الباقي مما هو محظور في هذه الشريعةأيضاً والله أعلم .

وفي الكافي في الحسن عنه صلى الله عليه وآله : من السنة ان تأخذالشارب حتى يبلغ الاطار ، وفي القـاموس الاطار ككتاب يفصل بين الشفة وبيـن شعر الشارب اذا طال يؤخذ منه ما كان زائداً الى ان يبلغ الاخذالأطار .

قال الغزالي في الاحياء « حفوا الشوارب واعفوا اللحى » أي اجعلوهـا حفاف الشفة وحفاف الشيء حوله ، ومنـه قوله تعالى « وترى الملائكةحافين من حول العرش »[1] انتهى .

وفي النهاية يحفونهم بأجنتحهم أي يطيقون بهم ويدورون حولهم .

والحديث المتقدم فيه حفوا دون احفوا، فيدل على ما ذكر من معنى الحف

---

١) سورة الزمر : ٧٥ .

لا الاحفاء والاحفاء يدل على المبالغة والاستيصال وليس في الحديث السابق، فاستيصال الشارب أو المبالغة مبنى على احفوا لاعلى حفوا، وحديث الاطار يدل على خلاف ذلك ، ويناسبه تفسير الغزالي للحف، فاحفاء الشارب بعد ما تقرر مبنى على فهم اتحاد معنى الحف والاحفاء وقد ظهر الفرق بينهما، ولما كان احفوا وارد ايضاً عندهم قال الغزالي وفي لفظ آخر «حفوا» ، وهذا يشعر بالاستيصال وقوله « حفوا » يدل على مادون ذلك ـ انتهى .

فاستشكل الجمع بينهما، ومع حفوا وحده لااشكال ،وقال في القاموس حف شاربه ورأسه احفاهما فكأنه حاول الجمع بين اللفظين . والله تعالى اعلم .

ورأيت بعدما كتبت هذا في قواعد الشهيد رحمه الله في الخنثى المشكل قال :ولا يجوز له حلق اللحية لجواز رجوليته ـ انتهى . وهذا تصريح لتحريم حلق اللحية للرجل بطريق أولى، لانه ادا حرم مع احتمال الرجولية كان ذلك أولى مع تحققها .

| لو نذر الصوم وعارض أيام التحريم |

ومن ذلك ما رواه الشيخ رضي الله عنه في التهذيب والاستبصار بسنده الى محمد بن الحسن الصفار عن القاسم بن ابى القاسم الصيقل قال: كتبت اليه ياسيدي رجل نذر أن يصوم يوماً من الجمعة دائماً ما بقي ، فوافق ذلك اليوم يوم فطر أو اضحى أو جمعة أو ايام تشريق أو سفر أو مرض هل عليه صوم ذلك اليوم اوقضاؤه أو كيف يصنع ياسيدى؟ فكتب اليه : قد وضع عنك الصيام هذه الايام كلها أو تصوم يوماً بدل يوم انشاءالله .

قال جدى طاب ثراه في منتقى الجمان بعد نقل هذا الحديث : وأعلم انه يوجد في كلام بعض الاصحاب القدح في المكاتبة الاولى باقتضائها مساواة

يوم ليومي العيدين في المنع من الصوم ، وقد أجمع الاصحاب على خلافه ، وأنت تعلم ان الاشارة فيها قابلة للتأويل ، ولكن فرض اتفاق اليوم المنذور من الجمعة فيه يحتاج الى مزيد تكلف ربما يقوى به احتمال كونه مصحفاً ـ انتهى .

أقول : في هذا الحديث اشكالان :

احدهما : ان نذر اليوم من الجمعة المراد به يوم من الاسبوع ولو مجازاً ومن جملة الاسبوع يوم الجمعة . ويمكن توجيه هذا بأنه نذر مثلا صوم يوم قدوم غائبه أو شفاء مريضه دائماً فاتفق ذلك يوم الجمعة ، وهذا يصدق عليه أنه يوم من الجمعة كغيره من أيام الاسبوع ، فانه يصير معيناً بتعليقه على ماذكر .

والاشكال الثاني : من جهة صوم يوم الجمعة ، وهذا الجواب عنه يحتاج الى التكلف .

ويمكن يكون هذا اللفظ زائداً أو مصحفاً او أن المشار اليه بقوله « في هذه الايام كلها » هو ماعدا يوم الجمعة كما اشار اليه في المنتقى ، أو يقال انه مبني على كونه عيداً .

وقد ورد اطلاق النهي من صوم العيد ، وورد عنهم عليهم السلام الاعياد اربعة الفطر والاضحى والغدير ويوم الجمعة ، وفي حديث آخر أن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين .

وربما كان وضع الصيام في الجمعة باعتبار صومه دائماً والاجماع المنقول ربما كان على صوم الجمعة لابقيد الدوام ، ومثل هذا كثير في الاحاديث التي لم يعمل بها أو لم يشتهر العمل بها . والله اعلم .

والتوجيه بأن صوم الجمعة مكروه غير مناسب ، لان الكراهة في العبادات لاتنفي اصل الرجحان ، والحديث دال على انعقاد النذر وانه يصوم بدله . وكأنه لايستبعد ان يكون من نذر صوم يوم الجمعة دائماً ينعقد نذره ويصوم بدله وان كان غريباً والله أعلم .

| معنى افادة المصدر التأكيد |

ومن ذلك عبارة في تفسير القاضي بعد قوله في سورة بني اسرائيل « ولا تمش في الارض مرحاً »[1] قال أي ذامرح، وهو الاختيال، وقرئ « مرحاً » وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر ابلغ من صريح النعت ـ انتهى .

وقال في الكشاف : مرحاً حال أي ذا مرح ، وقرئ « مرحا » ، وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التأكيد ـ انتهى .

اقول: معنى افادة المصدر على التأكيد أنه لما كان اصله ذامرح وحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه يكون قد تعلق حكم النهي أولا بصاحب المرح ثم تعلق بالمرح، فهو في قوة النهي مرتين، وهذا يفيد تأكيداً ليس في صريح النعت فهو صفة المشبهة ، فان حكم النهي يتعلق بها فقط ، والتعبير بصريح النعت في هذا ونحوه ومايدخل فيه الحال ونحوه لا النعت الخاص .

ويمكن ان يقال : ان التأكيد من حيث ان مرحاً يتضمن معنى شيئاً مرحاً وان كان لبيان النوع وكان حالا فانه لاينافي ذلك والاول أظهر .

ووجه كون الصفة ابلغ باعتبار الحكم انه قد تقرر أن صيغة فعل أبلغ من فاعل كحذر ومهمز ، والقراءة المشهورة وهي كونه مصدراً، وسياق الاية والمقام يدل على النهي عن المشي مرحاً مطلقاً، فالعدول عن مارح ونحوه الى صيغة مرح يكون ـ والله اعلم ـ باعتبار أن فاعل المرح ينبغي أن يكون مرحاً لا مارحاً ، فالحكم عليه بالنهي يفسد كون الحكم أبلغ في الزجر عن ذلك أو ان الحكم عليه بمرح ، وتعلق النهي به يكون أبلغ .

ونظير هذا قوله تعالى « وماربك بظلام للعبيد »[2]، وهو ماخطر لي من وجهه

١) سورة الاسراء : ٣٧ .

٢) سورة فصلت : ٤٦

ولعل غيري ما ذكره ، وهو انه تعالى لو صدر منه ظلم وان قل يكون ظلاماً .

فان قلت : رجل عدل كان في عدل مبالغة بجعله نفس العدل ، فيكون في المرح مصدر ايضاً مبالغة في الحكم .

قلت: كلام القاضي والكشاف مبنيان على كون مرحاً جاء بمعنى ذي مرح وانه اصله ثم جعل المصدر حالا ، ولم يقصد هنا جعل المصدرنفس مايتعلق به ، فلو قيل رجل عدل اصله ذوعدل كان من هذا القبيل مع وجود فرق بينهما يظهر بالتأمل . والله اعلم .

[حل عبارة من رجال الاسترابادي]

ومن ذلك عبارة في كتاب الرجال للميرزا محمد رحمه الله في الفائدة الاولى من الفوائد التي في أواخرالكتاب بعد نقل ماذكره محمد بن يعقوب قدس الله روحه من رجال العدة سابقاً الى أن قال : وكلما ذكرت في كتابي المشار اليه عدة من اصحابنا عن سهل بن زياد الخ . وعبارة ميرزا محمد فلا يضر اذا ضعف سهل مع وجودثقة معه في مرتبته ، على ان اتفاق الجماعة على الكذب بعيد جداً . وهذه العبارة توهم ان المراد بالثقة ما في رجال العدة مع انهم ليسوامن في مرتبته .

أقول : كان اولا تخطر لي انها غيرمستقيمة ثم تأملتها فرأيتها مستقيمة لاغبار عليها . وتوضيح ذلك : ان محمد بن يعقوب رحمه الله يروى بطريق العدة تارة عن سهل بن زياد واحمد بن محمد كثيراً كما في اول الزكاة ومايجزى من الهدى وغيرهما، وتارة يروىعنه معمحمد بنيحيى، وتارة عنه مع غيرمشاركها فيقول عدة من اصحابنا عن سهل بن زياد عن احمد بن محمد بن ابى نصر أو عن محمد بن الحسين أوعلي بنحسان ونحوذلك .

اذا تقرر هذا فمعنى العبارة انه لايضر اذن ضعف سهل اذا وجد معه ثقة في مرتبته على انه لولم يجد معه ثقة في مرتبته ، فان لم يوجد احد أو واحد وكان غير ثقة ان كان فاتفاق جماعة العدة على ماهو كذب منه أو محتمل للكذب بعيد جداً وكان محمد بن عيسى يشهد عليه بالغلو والكذب واخرجه من قم ، فعلى تقدير كونه يكذب اتفاقهم على رواية هذا بعيد عن كونه كذباً .

وللصدوق طاب ثراه في الفقيه في (باب مايصلي فيه ومالا يصلى فيه) كلام يقرب من هذا المعنى بعد نقل حديث من جملته : وعن الرجل هل يصلح له أن يصلي والسراج موضوع بين يديه في القبلة ؟قال: لايصلح لهان يستقبل النار. قال : هذا هو الذي يجب ان يعمل به ، واما الحديث الذي روى عن ابي عبدالله عليه السلام انه قال : لا بأس ان يصلي رجل والنار والسراج والصورة بين يديه لان الذي يصلي له أقرب من الذي بين يديه ، فهو حديث يروى عن ثلاثة من المجهولين بأسناد منقطع يرويه الحسن بن علي الكوفي وهو معروف عن الحسين بن عمرو عن ابيه عمرو بن ابراهيم الهمداني وهم مجهولون برفع الحديث . قال : قال ابوعبد الله : ولكنها رخصة اقترنت بها علة صدرت عن ثقات ثم اتصلت بالمجهولين والانقطاع من اخذ بها لم يكن مخطئاً ـ الخ .

وهذا الكلام يدل على نحو ما دل عليه كلام ميرزا محمد ، فان حاصل معناه ان رواية الثقات له تقتضي العمل به وحمله على الرخصة جمعاً بينه وبين ما تقدم .

بقي احتمال آخر في العبارة المتقدمة ، وهو ان يريد بالجماعة سهل بن زياد ومن شاركه ، وهذا لايخلو من بعد وان قرب من جهة دلالة الاتفاق على الكذب ، فان الاول معناه الاتفاق على نقل الكذب ، ومعنى هذا الاتفاق على نفس الكذب وصدوره عنهم .

[توضيح عبارة من شرح اللمعة]

ومن ذلك عبارة في شرح اللمعة في كتاب الصيد والذباحة اشتهرت بالاشكال وآراها غير مشكلة برئت مما ينسب اليها من القصور ، وانا اكشف عن وجه حقيقتها لمن يحتاج الى ذلك ، قال طاب ثراه بعد قول المصنف رحمه الله(ذكاة الجنين ذكاة امة) هذا لفظ الحديث النبوى وعن اهل البيت عليهم السلام مثله ، والصحيح رواية وفتوى انذكاة الثانية مرفوعة خبراً عن الاولى ، فتنحصر ذكاته في ذكاتها لوجوب انحصار المبتدأ في خبره ، فانه اما مساو اواعم وكلاهما يقتضى الحصر ، والمراد بالذكاة هنا السبب المحلل للحيوان كذكاة السمك والجراد ، وامتناع ذكاة الجنين ان صح فهو محمول على المعنى الظاهر وهو فري الاعضاء المخصوصة ، أو يقال ان اضافة المصادر تخالف اضافة الأفعال للاكتفاء فيها بأدنى ملابسة، ولهذا صح لله على الناس حج البيت وصوم رمضان ولم يصح حج البيت وصام رمضان بجعلهما فاعلين .

اقول : توضيح هذه العبارة انه اذا كان الثاني مرفوعاً حال كونه خبراً انحصرت ذكاته في ذكاتها لوجوب انحصار المبتدأ لخبره اذا كان المبتدأ مساوياً له اواعم منه ، وهنا اما أن يراد بسبب الحل اوفرد واحد فيكون مساوياً وان اعتبرت ذكاته اعم انحصرت في ذكاة امه ، فكل منهما يقتضى الحصر ولا يرد اختلاف الذكاتين . ومعه ينتفي التساوي أو كونه أعم ، لان المراد هنا السبب المحلل للحيوان سواء اعتبر مساوياً ام اعم كذكاة السمك والجراد ، فان الذكاة فيهما تدخل في السبب المحلل .

ولا يرد على هذا أنه حينئذ يمتنع ان يقال ذكيت الجنين اذا ذكى امه فقط، لانه يجاب اولا بأن هذا غير ممتنع لانه اذا كان المراد السبب المحلل لم يمتنع

ان يقال ذكيت الجنين بمعنى أوجدت سبب حله كما يقال ذكيت الجراد وذكيت السمان ، فان السبب يوجد بايجاد سبب ذكاة امه ، ولو صح ذلك وهو الامتناع كان مجهولا امتناعه على المعنى الظاهر وهو فري الاعضاء المخصوصة ؛ واما على ارادة ايجاد سبب الحل فلا يمتنع .

أو يجاب بأن اضافة المصادر تخالف اضافة الافعال ، والمراد الاضافة لغة لاالمصطلح عليها عند النحاة ، لعدم صحة اضافة الافعال عندهم ، فهي بمعنى النسبة ونحوها سواء كانت مضافة بالمصطلح عليها ام لا ، ففي اضافة المصادر يصح كذكاة الجنين دون الافعال كذكيت الجنين اذا كان المذكى امه فيهما ، وذلك لانه يكتفى في اضافة المصادر بأدنى ملابسة ولا يكتفى في الافعال بذلك، ولهذا صح « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » وصح صوم رمضان باسناد الحج والصوم الى البيت ورمضان ، وقيده بجعلهمافاعلين لانهما لو كانا مفعولين لم يكونا من هذا القبيل ، والمراد من الاول الحج المضاف الى البيت ومثله الصوم المضاف الى رمضان لا الاضافة اللفظية بمعنى كون المضاف اليه مفعولا ، وان صح فانه لايناسب المقام لان الكلام مبنى على النسبة في مثل ذلك ، وهذه الاضافة اللفظية ليست كذلك .

فان قلت : يصح ان يقال حج البيت على الفاعلية مجازاً مثل صائم نهاره وقائم ليله .

قلت : بعد تسليم جوازه فهو مجاز ، والكلام انما هو في الاستعمال حقيقة أو مجازاً شائعاً أو هو كالحقيقة، والاضافة المعنوية هنا من قبيل الحقيقة او المجاز الشائع والمجاز غير الشائع غير معتبر في هذا المقام ولاتدل عليه .

واعلم ان قوله تعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » ذكروا له وجهين :

احدهما : ان يكون حج البيت اضافته معنوية ، فالمراد الحج المضاف الى البيت من قبيل غلام زيد ونحوه ، وعلى هذا يكون من استطاع بدلا من النـاس .

والثاني : أن يكون من باب الاضافة اللفظية ، فيكون البيت مفعولا مقدماً مضافاً اليه والفاعل من استطاع ، والكلام مبني على الاول والثاني لايناسب المقام وسياق الكلام كما تقدم وان صح ، ومثل حج البيت صوم رمضان في احتمال الاضافتين وعدم مناسبة الاضافة اللفظية ، ونحو هذا ذكاة الجنين فانه يحتمل الاضافتين ، والمراد منها المعنويةلان الحكم يتعلق بالذكاة المضافة الى الجنين ، فانه لبيان حكم هذه الذكاة لالبيان تذكية الجنين بمعنى المفعول فظهر أن البيت وصوم رمضان مطابق تمثيله لذكاة الجنين بالمعنى المقصود وفي الجميع احتمال الاضافة التي هي غير مقصودة ، وقد اشار الى انه لو حمل على الاضافة اللفظية امكن ذلك ايضاً بقوله « وامتناع ذكيت الجنين ان صح » الخ ، ولكن هذا غير محتاج اليه ولا يناسب سياق الكلام والمقام بعد ماظهر وتقرر .

وهنا دقيقة تدرك بالذوق والتأمل ، وهي أن تجوز في مثل جرى النهر وسال الميزاب وصائم نهاره وقائم ليله صح فيه اسناد الجريان والسيلان الى النهر والميزاب باعتباروقوع ذلك فيهمامن فاعل ذلك ، وصح اسنادفعل ذلك الفاعل الى ماوقع فيه الصوم والقيام ، فاذا قيل صام النهار مطلقا كان ذلك غير صحيح ولا يناسب ، فهو كما تقول صلى اليوم وطاف اليوم ومثل حج البيت حقيقة اسناد الحج الى احد قصد البيت ، فالمناسب للتجوز فيه أن يسند الحج الى مثل حامله ومركوبه ونحوهما لا أن يجعل البيت الذي هو المفعول به فاعلا ، اذ لامناسبة تقتضي ذلك ، فان

اسناد القصد الى البيت يقتضي مقصوداً غيره وليس سوى قاصده وقصد نفسه غير مفعول ، والقلب هنا لاوجه له . وفي صائم نهاره ونحوه لامعقول به ليرد فيه مايرد في حج البيت ومثله صوم النهار . وبهذا يظهر وجه قوله « ولم يصح حج البيت وصام رمضان » .

واعلم ان الاضافة قد تكون حقيقية وقد تكون مجازية ، واضافة حج البيت وصوم رمضان من قبيل الاضافة الحقيقية ، لان الحج معناه القصد المطلق ، واذا قال حج بيت على الاضافة المعنوية كان معناه القصد المضاف الى البيت. وكون الاضافة لامية لا ينافي ذلك ، لان من معانيها الاختصاص وشبه الملك ، فان اضافة مثل جل الفرس حقيقية وكذا صوم رمضان ، فان الصوم المطلق اذا أضيف الى رمضان كان حقيقية، وكذا اذا اضيف الى غيره مثل صوم الخميس فانه يفيد اختصاص الصوم بالخميس . والمقام اقتضى زيادة بسط في الكلام والافدون هذا كاف .

[شرح جملة من دعاء المصباح]

ومن ذلك ما في بعض أدعية مصباح الشيخ الطوسي رحمه الله « وزين الارض بالنبات وخفف عنها بالاحياء والاموات » .

اقول : معناه انه تعالى خفف عن الارض بأن جعل من عليها احياء واموات ولم يجعل الجميع احياء ، فجعلهم احياء واموات تخفيف بالنسبة الى جعلهم جميعاً احياء وان كان التخفيف بالاموات ، والتخفيف يقتضي بقاء شيء غير ما خفف به فلهذا اذكر الاحياء ، ويكون الثقلين الانس والجن لثقل الارض بهما او لثقلهما على الارض ليظهر وجه ذلك .

[تعدية لفظة زوج]

ومن ذلك ماهو المتعارف في مثل زوجت فلانة من فلان ، كقوله زوجت موكلتي من موكلك وبعت مال زيد من فلان ، مع ان كلا من الصيغتين يتعدى بنفسه .

وقد خطر لي وجه لذلك ، وهو ان ذلك يتعدى بنفسه تارة وبالحرف اخرى ، وقد وضع في صورة الخطاب استعماله متعدياً بنفسه ، مثل زوجتك فلانة وبعتك كذا ، واستعمال زوجتك من فلانة وبعت منك كذا غيرمعهود .

وأما مع الغيبة فانه يتعدى بالحرف نحو قوله تعالى « وزوجناهم بحور عين »[1] ولهذا يقال زوجت فلانة لفلان وموكلتي من موكلك ، ففي الغيبة يستعمل متعدياً بالحرف وفي الخطاب بنفسه ، وان جاء بحسب اصل الفعل التعدي معه مطلقاً . فظهر ان ما صار الآن شائعاً من قولهم زوجت موكلتي موكلك من دون من نظر الى قوله تعالى « زوجناكها »[2] كماترى ، فانهذا من الغيبة وزوجناكها من الخطاب والله تعالى اعلم .

[التعدية في آية كريمة]

ومن ذلك ما خطر لي في نحو قوله تعالى « من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم »[3] ان وجه العدول الى عن في الايمان والشمائل ان الانسان مثلا اذا كان متوجهاً الى جهته كان السمت المقابل والمتأخر على

١) سورة الدخان : ٥٤ .
٢) سورة الاحزاب : ٣٧ .
٣) سورة الاعراف : ١٧ .

خط يناسب فيه الاتيان بمن وجهه اليمين والشمال مايلة ومنحرفة عن ذلك السمت فهي متجاوزة اياه ، فناسبها الاتيان بعن دون من والله تعالى اعلم ولا يحضرني ذكر هذا الوجه من أحد ولعل غيري ذكره .

| تفسير التعجب في ابيات ثلاثة |

ومن ذلك قول الشاعر :

ولست اعجب من جسمي وصحته ... في حبه انما سقمي صحتي هو العجب

ويقرب منه قول الاخر :

ليس مابي من الفراق عجيبا ... عجبي من فراقهم وبقائي

وقول الاخر :

وماعجب موت المحبين في الهوى ... ولكن بقاء الفاسقين عجيب

واقول : معنى البيت الأول انى صرت في حالة ألحق فيها بالمجانين والحيوانات في عدم الشعور بسبب حبه ، فلاا تعجب من صحة بدني لانه لاحالة لي ولا شعور ينافيان الصحة ، وانما اتعجب من السقم فانه انما يحصل لمن له شعور وحزن وانا لست كذلك .

ويحتمل أن يكون المعنى أنه لما كان سقمي في تربته لاتعهد لاهل السقم لزيادتها عما هو متعارف . ويكون معنى اول البيت ان حال صحتي ليست محلا للتعجب لانه لايتعلق بها مايتعلق بالسقم ، بل ان صح جسمي كنت مثل غيري من الاصحاء بخلاف حالة السقم ، وفي هذا تأمل .

ويحتمل معنى آخر ، وهو ان المحبة صارت كالغذاء للبدن والروح وذلك يقتضي الصحة فلاتعجب منه ، والتعجب انما يكون حينئذ من السقم ، اذ مع الغذاء الصالح ينبغي التعجب من السقم لامن الصحة وهذا الاحتمال خطر لبعض الاصحاب .

[توضيح جملة في شرح اللمعة]

ومن ذلك قول جدى طاب ثراه في شرح اللمعة في كتاب الوصايا في وصية من بلغ عشراً قول مشهوربين الاصحاب مستنداً الى روايات متظافرة بعضها صحيح الا انها مخالفة لاصول المذهب وسبيل الاحتياط ـ انتهى .

وقال في المسالك : لان هذه الروايات التي دلت على الحكم وان كان بعضها صحيحاً الا انهـا مختلفة بحيث لايمكن الجمع بينهـا ، فاثبات الحكم المخالف للاصيل مشكل ـ انتهى .

وحاصل مراده بما ذكر أن الاصـل الذى ثبت كون البلوغ يحصل به هو المقرر البلوغ من الاحتلام أو الانبات ، اذ بلوغ خمسة عشرة سنة في الذكر وان غير البالغ لايمضى تصرفه، وهذا امر ثبت وتقرر وغيره مخالف له . ووجه الاحتياط ظاهر ، فان قيد اخراج المال عن ظاهره أنه له من طفل وغيره ولنقل الروايات ليظهر منها ما افادهن .

قوله « لايمكن الجمع بينهما » ففي رواية ابن فضال : اذا بلغ عشر سنين جازت وصيته . وفي رواية اخرى : اذا اصاب موضع الوصية جـازت . وفي رواية محمد بن مسلم اذا حضره الموت ولم يدرك جازت وصيته لذوى الارحام ولم تجز للغيـر . وفي رواية زرارة: اذا أتى على الغلام عشر سنين فانه يجوز له في مـاله اعتق او تصدق واوصى على وجه معروف وحق فهو جـائز . وفي رواية منصور قـال : اذا كان ابن عشر سنين وأوصى بثلث ماله في حق جازت وصيته ، واذاكان ابن سبع سنين فأوصى من ماله بشيء . وفي رواية محمد بن مسلم : يجـوز طلاق الغلام اذا كان قد عقل وصدقته ووصيته وان لم يحتلم . وفي رواية الحلبي قال: سئل عن صدقة الغلام مالم يحتلم؟ قال : نعم اذا وضعها

في موضع الصدقة . وفي رواية محمد بن قيس في رجل توفي وله جارية قد ولدت منه بنتاً وابنته صغيرة غير انها تبين الكلام فاعتقت امها فأجاز عتق الجارية لامها . وفي روايـة الحسن بن راشد : اذا بلغ الغلام ثمان سنين فجـائز امره في ماله وقد وجبت عليه الفرائض والحدود، واذا تم للجارية سبع سنين فكذلك. وفي رواية هشام قال: انقطاع يتم اليتيم الاحتلام وهو اشده . وفي رواية عيسى ابن زيد : يحتلم لاربع عشرة . وفي رواية عبد الله بن سنـان : اذا بلغ اشده ثلاث عشرة سنة ودخل في الاربع عشرة وجب عليه ما وجب على المحتلمين احتلم او لم يحتلم ــ الى قوله : وجاز له كل شيء .

وهذه الاخبار نقلها الشيخ رحمه الله في التهذيب في وصية الصبي والمحجور عليه ، وفي شرح الشرائع في صحيحة عبد الرحمان اذا بلغ الغلام عشر سنين جازت وصيته، وفي صحيحة ابي بصير اذا بلغ الغلام عشر سنين واوصى بثلث ماله في حق جازت وصيته ، وفي صحيحة محمد بن مسلم قال الغلام اذا حضره الموت فأوصى ولم يدرك جازت وصيته لذوي الارحام ولم تجز للغرماء .

فهذه الاحاديث كما أفاده الجمع بينهـا مشكل والخروج بها عما ثبت من الاصل مشكل ايضاً والله اعلم .

[شرح عبارة لغوية في الصحاح]

ومن ذلك عبارة في الصحـاح وهي قوله : وعرفـات موضع بمنى ، وهو اسم في لفظ الجمع فلا يجمع، قال الفراء ولا واحد له ، وقول الناس نزلنا عرفة يشبه بمولد وليس بعربي محض ، وهـي معرفة وان كان جمعاً ، لان الاماكن لاتزول فصار كالشيء الواحد وخالف الزيدين بقول هؤلاء عرفات حسنة

بنصب النعت لانه نكرة وهى معروفة ، قال تعالى « فاذا افضتم من عرفات »[1]
قال الاخفش: ...اصرفت لان التاء صارت بمنزلة الياء والواو في مسلمين ومسلمون لانه تذكير ... صار التنوين بمنزلة النون ، فلما سمى به ترك على حاله كما يترك مسلمون ... سمى به على حاله - انتهى .

قال في القاموس : عرفات اسم فى لفظ الجمع فلا يجمع معرفة وان كان جمعاً لان الاماكن لاتزول فصارت كالشيء الواحد مصروفة لان التاء بمنزلة الياء والواو فى مسلمين ومسلمون - انتهى .

اقول : توضيح المراد قوله في لفظ الجمع فلا يجمع يريد به أن جمع المؤنث لايجمع . لأن كل جمع لايجمع .

وقوله « وهي معرفة وان كان جمعاً» تذكير ضمير كان باعتبار تذكير جمعاً كما هي قاعدة في جواز التذكير والتأنيث في مثله اذا وقع بين مذكر ومؤنث .

وقوله « لان الاماكن » الخ معناه انه لما كان العلم الشخصى موضوعاً للواحد لا لمتعدد وعرفات على تقدير كونه جمعاً لعرفة يكون علماً لمتعدد وسماه متعدداً وهذا لايناسب العلم. وجوابه انه لما وقع علماً لاماكن لاتزول ولا تتغير كانت هذه الاماكن كالشيء الواحد ، فصح ان يكون عرفات علماً متعدداً بهذا الاعتبار، وهذا زيدين وزينبات فانه لايكون علماً لانه يصدق على كل جمع ولهذا كان نكرة ويدخل الألف واللام ، اذ ليس المراد به زيدون مشخصون بحيث لايصدق على غيرهم ، ومثل زيدين مما يزول ويتغير فلو وضعا علماً لثلاثة زالت العلمية بزوال البعض . ولا يقال لاثنين ولا الواحد زيدون ، هذا بخلاف عرفات الذى هو جمع لعرفة وعرفة فان ترك ما هو مقتضى طبعهما واذا فعلى الخير يكون قد سماه لايزول ولا يتغير ، وعلى تقدير الجمع يقال هؤلاء

١) سورة البقرة : ١٩٨ .

عرفات حسنة فيشار الى افراد هذا العلم بهؤلاء ولكونه معرفة وحسنة نكرة كانت منصوبة على القطع .

وقوله « لانه تذكير »معناه ان مسلمين ومسلمون جمع لمذكر وهو تذكير لجمع المؤنث ، فناسب أن تكون التاء فيه في مقابلة ماهو في تذكر .

[دوام الشر والخير]

ومن ذلك ماقيل انه ورد « شر لايدوم خير من خير لايدوم » .

اقول: يمكن ان يقال وجهه ان الانسان بمقتضى طبعه وشهواته يميل الى فعل ما فيه شر وينفر عما فيه خير ومنه حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات . فاذا فعل الشر وداوم عليه صارت المداومة مؤكدة لما هو مقتضى الطبع وتقتضي البقاء عليه ، فاذا لم يداوم عليه يكون قد جاهد نفسه على ترك ماهو مقتضى طبعها واذا فعل الخير يكون قد خالف ماهو مقتضى الطبع والعادة ، واذا داوم عليه تأكدت المجاهدة فاذا قطعه يكون قد تركما أتعب نفسه في اصله ، وليس في الترك سوى الرجوع الى مقتضى الطبع ، وبه يضعف اعتبار العادة فترك دوام شر اقوى من ترك دوام الخير فيكون خيراً منه بهذا الاعتبار .

والتفضيل في مثل هذا واقع كثيراً ، وان لم يوجد الاصل في احدهما من حيث أن عدم دوام الخير لاخير فيه كما في الحديث « لصوم يوم من شعبان أحب ألي من ان افطر يوماً من شهر رمضان » و « أبدلني بهم خيراً منهم وابدلهم بي شراً مني » باعتبار اعتقاد الغير أنه عليه السلام فيه شر وان افطار شهر رمضان فيه محبة ، وهذا مبنى على ان المقام يقتضي ان المراد بعدم الدوام الرفع بالكلية لا على معنى رفع الايجاب الكلي وان دل هذا التركيب على الثاني .

ولو حمل على ما يدل عليه أصل التركيب بقي من الخير فيهما مايحصل به

المحصيل ووجهه يظهر مما سبق ، فان ترك المداومة على الشرفية مجاهدة لمقتضى الطبع والعادة في المتروك ، وترك مداومة الخير فيه فعل ما يقضيه الطبع من كراهة الخير في المتروك ،ويحصل الخير في الشر باعتبار ترك بعضه ويبقى في الخير مالم يترك منه .

ويحتمل وجهاً آخر ،وهو ان فعل الشر غالباً يترتب عليه ضرر لفاعله ولغيره في الدنيا والاخرة ، وترك الخير فيه غالباً ترك النفع لفاعله ولغيره وترك الضرر خير من ترك النفع .

[بيان عبارة للبيضاوى]

ومن ذلك عبارة للقاضي عند قوله تعالى « لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمـر »[1] قال لا الشمس ينبغي لها يصلح لها ويسهل ان تدرك القمر في سرعة سيره ـ الى ان قال : وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لايتيسر لها الا ما أريد بها .

أقول : ايلاء مصدر مضاف الى مفعوله الاول وهو حرف النهى والشمس مفعوله الثاني ، وظاهر هذا التركيب ان المراد جعل الشمس والية بحرف النفي من غير فصل بينهما كأن يقال مع الفصل لاينبغي للشمس ان تدرك القمر ويحتمل ارادة ايلاء النفي حرف النفي الشمس لا ايلاء الشمس حرف النفي، كأن يقـال الشمس لاينبغى لها .

اذا تقرر هذا فظاهر مراد القاضي بناء على الوجه الاول أن مقتضى الظاهر انه اذا أريد نفـي الصفة عن ذات موجـودة ان يتعلق النفي بها وحدها لا بهـا وبموصوفها كالايجـاب ، فاذا قلت « زيد قائم » واردت بسلب القيام عنه فانك

١) سورة يس : ٤٠ .

تقول زيد ليس بقائم لا ليس زيد قائماً ، والشمس هنا موجوده والمقام والظاهر يقتضيان نفى قدرتها لا نفيها مع القدرة ، كما اذا أريد نفى قدرة زيد فانه يقال زيد لا قدرة له او ليس له قدرة كما تقدم ، فالعدول فى الاية الشريفة عن هذا حيث دخل النفي على ذى القدرة وعليها لافادة سلب هذه الذات عن أن تكون قادرة ، فيفيد سلب القدرة مع سلب الذات . ووجهه على ماذكره أن سلب الذات لفائدة ان هذه الذات ليست محلا لان توصف بالقدرة .

فان قلت : السلب على هذا يتعلق بنفي القادر على هذا المذكور ، وهذا لا يدل على نفي مطلق القدرة ليثبت كونها مسخرة .

قلت يمكن الجواب بأن سلب الذات وان تعلق به قدرة خاصة لكن السلب يدل على أن هذه الذات ليست محلا لمطلق القدرة ، لانها حينئذ تصير كالمعدوم بالنسبة الى القدرة ، وقد يكون مراده أن العدول ليدل ذلك على كونها مسخرة لا أن هذا يدل على كونهـا مسخرة ، فالمعنـى ان هذه الذات اذا سلبت كانت كالمعدوم بحسب القدرة فينتفى مطلق القدرة ، وذكر فرد مما يتعـلق به القدرة لا ينافى ذلك .

هذا ما يتعلق بالوجه الأول وهو جعل الشمس والية بحرف النفى من غير فصل بينهما ، وعلى الوجه الثانى وهو ايلاء حرف النفي الشمس لا ايلاء الشمس حرف النفي بمعنى تقدم النفي عليها دون العكس للدلالة على انها مسخرة الخ والمعنى على هذا انه اذا قيل زيد ليس بقائم دل على نفي القيام عن زيد ، فاذا قيل ليس زيد بقائم وعدل عن مقتضى الظاهـر كما تقدم كان زيد وقائم واقعين بعد النفي ، وذكر الشمس بعد النفي أدل على كونها مسخرة من دخول النفـي على ما بعدهـا فقط ، وذكر هذا وان افاد ما تقدم وكونه متفرعاً على الوجـه الثانى ايضاً او يقال انه مع تقدم النفي على الشمس تكون القضية السالبة وهى

تصدق مع وجود الموضوع وعدمه ومع تأخره تكون معدولة المحمول وهي لا تصدق مع عدم الموضوع ، فالعدول عما يدل على تحقق وجود الموضوع وهو المعدولة الى غيره لتنزيل وجود الشمس من حيث عدم القدرة منزلة المعدوم وان كان الوجود متحققاً او منزلة مايحتمل الوجود دلالة ذلك على التسخير أضعف من دلالة ما نزل منزلة المعدوم على ذلك أو ما احتمل الوجود والعدم ان لم تسلب الدلالة له حينئذ .

ومثل هذه التمسكات والوجوه جزئياتها ليست محصورة في علم المعاني ومن تتبع نكات صاحب الكشاف وغيره يرى منهم تصرفات اقتضاها طبعهم وفكرهم موافقة لمقتضى العقل والاعتبار ولما ذكرفي علم المعاني وان لم تذكر بخصوصها وقد وقع في القرآن الكريم وغيره تنزيل ذي البصر والسمع والنطق منزلة الاعمى والاصم والابكم ومن يعقل منزلة من لايعقل وغيرذلك ، فأجرى عليهم مايجرى على من هو كذلك باعتبارعدم وجود مايترتب على ذلك، فكأن صاحبها كالفاقد لها .

وهذا غير منحصرفيماذكربل يجرى في غيره أيضاً، فلا بعد في كون العدول الى غيره للدلالة على ما ذكر ، ولو ذكر هذا صاحب الكشاف أو غيره ممـا تقدم على القاضي لم يستبعد ولعله مذكورمن غيره ولولم يذكر فهو من أفاضل هذا الفن ، فاذا ذكر شيئاً موافقاً لا يستبعد .

ومثل هذه المقامات لاينظر فيها الى اصل القواعد المنطقية أو جزئيات علم المعاني ، فانها ليست مبنية على براهين قطعية بل هي وجوه مستحسنة وخطابيات تفيد ماعليه بحسب مقتضى الحال .

ويمكن ان يقال : ان تقديم النفي يدل على انها ليست ذاتاً تقدر ويصح منها ذلك ، وتأخيره يدل على انها ذات لاتقدر ولايصح منها ، وانتفاء ذات القادرة

يدل على انها مسخرة ، وانتفاء القدرة عن الذات لايدل على التسخير صريحاً ، فانه مع عدم القدرة على هذا قد لاتكون مسخرة بأن تكون غيرقادرة على هذا الفعل ولا تكون مسخرة بل لعجزها عن ذلك كما في كل قادر يعجز عن بعض المقدورات دون بعض . وحاصله الفرق بين نفي ذات قادرة على هذا ونفي قدرة الذات عليه .

بقي احتمال بعيد ، وهو أنه قد ثبت كونها مسخرة بقوله تعالى « والشمس والقمر والنجوم مسخرات »[1] وقوله تعالى « وسخر الشمس والقمر »[2] فوقوع الشمس بعد لامن غيرفصل بما تقدم يدل على أنها من المسخرات التي لايصلح لها ذلك ،كما اذا قلت المسخرات لا الشمس منها تقدرعلى كذا ، واذا قلنا لا تقدر الشمس على كذا لم يكن فيه ولاالقمر منها يقدر على كذا ولا النجوم منها يقدرعلى كذا ، واذا قلنا لاتقدرالشمس على كذا لم يكن فيه هذه الدلالة وان دل في الجملة على هذا الوجه ، فمسخرة على هذا غير داخل في كونه مدلولا عليه بل ما بعده ،كما اذا قلت افعال هذه المرأة تدل على انها امرأة صالحة ويجوز حينئذ دخوله بمعنى ان ايلاءها لا يدل على ذلك ، ووجهه قد يظهر مما تقرر سابقاً . والله تعالى اعلم .

وماذكر مما ظاهره التكرار لبعض المعاني بعد ملاحظته ليظهر من كل عبارة نوع يندفع به التكرار ولو باختلاف العبارات المقتضي للتغاير في الجملة .

---

١) سورة الاعراف : ٥٤ .

٢) سورة لقمان : ٢٩ .

فهرس الكتاب